سلسلة: المدخل إلى دراسة كتب السلف (٣)

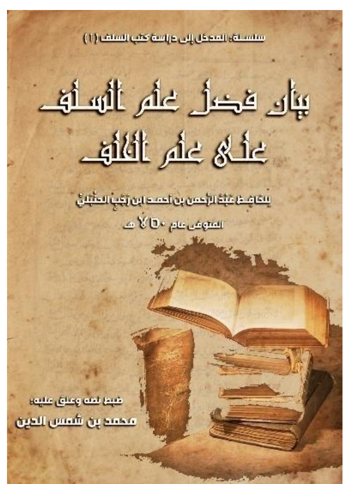
مناظرة القائلين بخلق القرآن

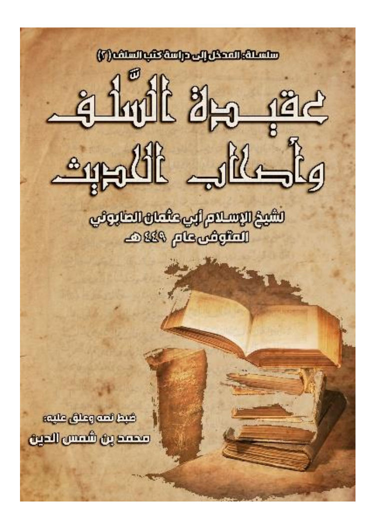
عبد العزيز بن يحيى الكناني (ت 240 هـ)
أحمد بن حنبل (ت 241 هـ)
عبد الله الآذرمي (ت› 250هـ)
ابن الشحام (~230~ هـ)
العباس بن موسى (~230~ هـ)
ابن قدامة المقدسي (ت620 هـ)

ومعه: بيان مذاهب الناس في كلام الله
وردود على شبهات لم تطرح في المناظرات

إعداد:
محمد بن شمس الدين

صدر من هذه السلسلة





للمراسلة في شؤون تخص الكتاب على

islamspedia@gmail.com

الفهرس

سبب اختيار هذا الكتاب

سلسلة المدخل إلى دراسة كتب السَّلَف بدأتُها بكتاب «فضل علم السلف على علم الخلف» للحافظ ابن رجب، وذلك كان بمثابة المقدمة للتعريف بالسلف وفضل كلامهم، والتشويق إليه، وما فيه من ضوابط لمعرفة العلم النافع يستحضرها الطالب في مسيرته.

وثنَّيتُ بكتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث لكونه جامعًا لشَتَاتِ المسائل.

وجعلت ثالثها هذا الكتاب، وقد كنت نويتُ أن يكون هو كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز بن يحيي رحمه الله لأسباب:

مرَّت معنا مسألة أن القرآن غير مخلوق، ولم تكن وافية، وما قد يمر معنا في أكثر الكتب سيكون أمره في القائلين بخَلقِ القرآن وحكمهم، ولن تجد نقاشًا لأقوالهم وكشفا لشُبُهاتهم كما في هذا الكتاب، فقد يستغرب المسلم من تكفير السَّلَف لهم، كذلك فإنَّه قد يسقُطُ عند أدنى شبهة تعرِض له في هذه المسألة ما لم يكن متمكنًا منها، عارفًا بأدلة أهل السنة عليها.

(١) قلَّة الكلام في هذه المسألة، وضعف طرحها في يومنا هذا بسبب

ما لبَّسَه الأشاعرة على الناس مع كثرة عددهم وعلو صوتهم.

(٢) ومما أدى إلى ضعف الناس في هذه المسألة: قراءتهم في كتب الأشاعرة، وكذلك ظنهم كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة مِن كتب السَّلَف أو مِن كتب أهل السنَّة والجماعة، وفيه قول اللفظية واضحًا صريحًا، كذلك خوفهم من الكلام في المسألة لما فيها من كلام قاله السلف في تكفير القائلين بخلق القرآن وهذا يخالف الخِطاب الإسلامي المعاصر المدجَّن، فكل ذلك مما يُدخل الشبهات في القلوب، ويضعفها في هذه المسألة. وهذا الكتاب مما يعزز قوة المسلم وعقيدته في هذه المسألة.

كذلك فإن الطالب بحاجة إلى تَعلُّم كيفيَّة فكِّ الشُّبهات وردِّها.

وبعد أن انتهيت من تحقيق الكتاب، بدا لي أن أنقل مناظرات أخرى لمزيد الفائدة، فنقلت أربع مناظرات قصيرة، ثم مناظرةَ ابنِ قدامةَ؛ إذ أنه ناظر الأشاعرة، وهم شرٌّ مِن الجهمية الأولى في هذه المسألة، فمذهبهم أخفى لما عندهم من التقيَّة، وأنَّهم يقولون القول ويقصدون غيره، وشبهاتهم أكثر.

ثم بدا لي أن أضيف شيئًا من الزِّيادة لتوضيح مذهب الساِلميَّة في القرآن الكريم لأنَّ كثيرًا من الناس يخلطون بينه وبين قول أهل السنَّة، فنقلت مذاهب الناس في المسألة عن محمد ابن أبي بكر القيِّم مما يزيد

تصوُّرَ هذه المسألة وضوحًا.

وزِدت على الكتاب مجموعةً مِن أشهر الشُّبهات التي يطرحها المخالفون، وبيَّنتُ الرَّدَّ عليها.

فصار هذا الكتاب بإذن الله جامعًا لما يتعلَّقُ بمُناظرة أهل الأهواء في كلام الله تعالى.

عملي في هذا الكتاب

- جمعت فيه أهم ما نقل إلينا مِن مناظرات في قضيَّة خلق القرآن.
- ضبطت الآيات في كتاب الحيدة على حرف ابن كثير المكي لأنه الحرف الذي قرأ به عبد العزيز كما اتضح لي من المخطوط، وهي قراءة أهل مكة في زمانه، واخترت رواية البزي عنه، ولم أفعل ذلك في كتاب ابن قدامة لأنه لم يتبيَّن لي الحرفُ الذي كان يقرأ به.
- قد أكمل الآية التي يذكر المؤلف جزءًا منها.
- وضعت العناوين للفصول، وجعلتها بين معقوفتين [ ]
- بيَّنت ما تيسَّر من الألفاظ والعبارات التي قد تشكل على القارئ.
- هذا الكتاب جزء مِن سلسلة، فافترضت أن القارئ قد قرأ الكتاب السابق، فالمواضع التي علقتُ عليها في الكتاب السابق لن أعلق على مثلها هنا، أو قد أعلق بتعليق مختصر.
- في المناظرات لونت كلمة «قال» ونحوها بلون خاص للقائل.
- عزرت بعض ما جاء في الكتب وخاصة مناظرة ابن قدامة إذا ذكر عنهم شبهة فإني آتي بها من كتب أئمتهم.
- جعلت أرقام الحواشي منها ما هو إلى الأعلى [١] وهذا ما فيه شرح مفردات أو فوائد، ومنه منخفض [١] وهو ما فيه تخريج أو تنبيه متعلق بالمخطوط.

مقدمات

مقدمة حول فتنة خلق القرآن

قال الذهبي رحمه الله: [١]كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُم قَائِماً فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ قُفْلُ بَابِ الفِتْنَةِ؛ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَانكسرَ البَابُ، قَامَ رُؤُوْسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيْدِ عُثْمَانَ حَتَّى ذُبِحَ صَبراً، وَتَفرَّقتِ الكَلِمَةُ، وَتَمَّتْ وَقعَةُ الجَمَلِ، ثُمَّ وَقعَةُ صِفِّيْنَ.

فَظَهَرَتِ الخَوَارِجُ، وَكَفَّرتْ سَادَةَ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الرَّوَافِضُ وَالنَّوَاصِبُ.

وَفِي آخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهرتِ القَدَرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهرتِ المُعْتَزِلَةُ بِالبَصْرَةِ، وَالجَهْمِيَّةُ وَالمُجَسِّمَةُ بِخُرَاسَانَ فِي أَثْنَاء عَصرِ التَّابِعِينَ مَعَ ظُهورِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ المائَتَيْنِ، فَظَهَرَ المَأْمُوْنُ الخَلِيْفَةُ - وَكَانَ ذَكِيّاً مُتَكَلِّماً، لَهُ نَظَرٌ فِي المَعْقُوْلِ - فَاسْتجلَبَ كُتبَ الأَوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكمَةَ اليُونَانِ، وَقَامَ

[١] سير أعلام النبلاء ج١١ص٢٣٦.

فِي ذَلِكَ وَقَعَدَ، وَخَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ رُؤوسَها، بَلْ وَالشِّيعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ.

وَآلَ بِهِ الحَالُ أَنْ حَمَلَ الأُمَّةَ عَلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَامتَحنَ العُلَمَاءَ، فَلَمْ يُمْهَلْ.

وَهَلَكَ لِعَامِهِ، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرّاً وَبَلَاءً فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الأُمَّةَ مَا زَالتْ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ العَظِيْمَ كَلَامُ اللهِ -تَعَالَى- وَوَحْيُه وَتَنْزِيْلُه، لَا يَعْرِفُوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى نَبَغَ لَهُمُ القَوْلُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوْقٌ مَجْعُولٌ، وَأَنَّه إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ -تَعَالَى- إِضَافَةَ تَشرِيفٍ، كَبَيتِ اللهِ، وَنَاقَةِ اللهِ.

فَأَنكَرَ ذَلِكَ العُلَمَاءُ.

وَلَمْ تَكُنِ الجَهْمِيَّةُ يَظْهَرُونَ فِي دَوْلَةِ المَهْدِيِّ والرَّشِيدِ وَالأَمِينِ، فَلَمَّا وَلِيَ المَأْمُوْنُ، كَانَ مِنْهُم، وَأَظهرَ المَقَالَةَ.

رَوَى: أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الدَّوْرَقِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ نُوحٍ:

أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ بِشْرَ بنَ غِيَاثٍ المَرِيسِي يَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظفَرَنِي بِهِ، لأَقْتُلَنَّه.

قَالَ الدَّوْرَقِيُّ: وَكَانَ مُتَوَارِياً أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا

إِلَى الضَّلَالَةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ المَأْمُوْنَ نَظَرَ فِي الكَلَامِ، وَنَاظَرَ، وَبَقِيَ مُتوقِّفاً فِي الدُّعَاءِ إِلَى بِدعَتِهِ.

قَالَ أَبُو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ: خَالَطَه قَوْمٌ مِنَ المُعْتَزِلَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُ القَوْلَ بِخَلقِ القُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقبُ بَقَايَا الشُّيُوخِ[١]، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُه، وَامتَحَنَ النَّاسَ.

---

(١) خوفا من ردة فعلهم.

مقدمة في مذاهب الناس في كلام الله

نقل محمد بنُ شمسِ الدين قيِّمِ الجوزيَّة مذاهِبَ النَّاسِ في كلامِ اللهِ تعالى، وهي سبعةٌ، يحسُنُ بطالِبِ العِلم معرفتها وتمييزها، فسأنقل كلامه مع تصرُّف يسير واختصار:

[مذهب الاتحادية]

ذَهَبَ الِاتِّحَادِيَّةُ -الْقَائِلُونَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ- أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُ اللَّهِ؛ نَظْمُهُ[1] وَنَثْرُهُ[2]، وَحَقُّهُ وَبَاطِلُهُ، سِحْرُهُ[3] وَكُفْرُهُ، وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ وَالْهَجْرُ[4] وَالْفُحْشُ، وَأَضْدَادُهُ كُلُّهُ غَيْرُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَائِمِ بِهِ كَمَا قَالَ عَارِفُهُمْ:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ

وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِهِمُ الَّذِي أَصَّلُوهُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

---

(١) **الكلام المنظوم**: هو بمعنى القصيدة والشِّعر.

(٢) **المنثور**: هو الكلام العادي الذي ليس شعرًا.

(٣) **السِّحر**: هو الكلام الباطل الذي فيه قلب للحقائق.

(٤) **الهجر من الكلام**: هو الهَذَيان، أو الكلام الفاحش.

هُوَ عَيْنُ هَذَا الْوُجُودِ، فَصِفَاتُ الوجود هِيَ صِفَاتُ اللَّهِ، وَكَلَامُ الموجودات هُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

[مذهب الفلاسفة المتأخرين]

وهُم أَتْبَاع أرِسْطُو، وَهُمُ الَّذِينَ يَحْكِي ابْنُ سِينَا وَالْفَارَابِيُّ وَالطُّوسِيُّ قَوْلَهُمْ: إنَّ كَلَامَ اللَّهِ فَيْضٌ فَاضَ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ[1] عَلَى النُّفُوسِ الْفَاضِلَةِ الزَّكِيَّةِ، فَأَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ الْفَيْضُ عِلمًا.

ولِهَذِهِ النُّفُوسِ عِنْدَهُمْ ثَلَاثُ قُوًى: قُوَّةُ التَّصَوُّرِ، وَقُوَّةُ التَّخْيِيلِ، وَقُوَّةُ التَّعْبِيرِ؛ فَتُدْرِكُ بِقُوَّةِ تَصَوُّرِهَا مِنَ الْمَعَانِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ غَيْرُهَا، وَتُدْرِكُ بِقُوَّةِ تَخَيُّلِهَا شَكْلَ الْمَعْقُولِ فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ، فَتَتَصَوَّرُ الْمَعْقُولَ صُوَرًا نُورَانِيَّةً تُخَاطِبُهَا، وَتُكَلِّمُهَا بِكَلَامٍ تَسْمَعُهُ الْآذَانُ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ في الواقع، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْقُوَّةِ الْخَيَالِيَّةِ الْوَهْمِيَّةِ.

قَالُوا وَرُبَّمَا قَوِيَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ عَلَى إسْمَاعِ ذَلِكَ الْخِطَابِ لِغَيْرِهَا، وَتَشْكِيلِ تِلْكَ الصُّوَرِ الْعَقْلِيَّةِ لِعَيْنِ الرَّائِي فَيَرَى الْمَلَائِكَةَ وَيَسْمَعُ خِطَابَهُمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ لَا فِي الْخَارِجِ.

---

(١) **العقل الفعال**: هو القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم [مفاتيح العلوم ص. ١٥٦].

[مذهب الجهمية والمعتزلة]

مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى أَنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ وَمِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَمْ يَقُمْ الْكَلَامُ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَاتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ وَاخْتَلَفُوا فِي فُرُوعِهِ.

[مذهب الكُلَّابِيَّة]

أَتْبَاعِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ، أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْنًى قَائِمٌ بنفسِ اللهِ، لَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ، وَأَنَّهُ ملَازِمٌ للرَّبِّ كالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ، وَأَنَّهُ لَا يُسْمَعُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

أما الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ فهي حِكَايَةٌ لَهُ، دَالَّةٌ عَلَيْهِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وَهُوَ عندهم أربعةُ مَعَانٍ فِي نَفْسِهِ: الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْخَبَرُ، وَالِاسْتِفْهَامُ. فَهِيَ أَنْوَاعٌ لِذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ الَّذِي لَا يُسْمَعُ، وَذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الْمَتْلُوُّ الْمَقْرُوءُ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْأَصْوَاتُ وَالْحُرُوفُ هِيَ تِلَاوَةُ الْعِبَادِ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَوَّلُ مَنْ يُعْرَفُ أَنَّهُ قَالَ بِهِ ابْنُ كُلَّابٍ، وَبَنَاهُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْمُتَكَلِّمِ، وَالْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ مخلوقة فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بالرَّبِّ تَعَالَى لِأَنَّهُ لَيْسَ مَحَلًّا للمَخلوقات، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مُنْفَصِلَةٌ

عَنِ الرَّبِّ، وَالْقُرْآنُ اسْمُ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

[مذهب الأشعري]

مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ، أَنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ، وَهُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا يَنْقَسِمُ، وَلَا لَهُ أَبْعَاضٌ، وَلَا لَهُ أَجْزَاءٌ. وهو عنده ليسهو الْأَمْرَ والنَّهْيَ والْخَبَرَ، بل تلك صفاتٌ لهذا المعنى الواحدِ وَأَنْوَاعٌ لَهُ.

والتَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ وَالزَّبُورُ كلها تعبِّرُ عنه؛ فإذَا عَبَّرَ اللهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِالْعَرَبِيَّةِ كَانَ قُرْآنًا، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ كَانَ تَوْرَاةً، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ كَانَ اسْمُهُ إِنْجِيلًا، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ عِبَارَةٌ عَنْهُ وَلَا يُسَمِّيهَا حِكَايَةً، وَهِيَ خَلْقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَالْبَلِيَّةُ الْعُظْمَى نِسْبَةُ ذَلِكَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِهَذَا وَدَعَا إِلَيْهِ الْأُمَّةَ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَمَنْ عَدَاهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ.

[مذهب الكرامية]

أتباع محمد بن كرَّام السجستاني، وَهُوَ أَنَّ كلامَ اللهِ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ قَائِمٌ بالرَّبِّ تَعَالَى، وَهُوَ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ مَسْمُوعَةٌ، وَهُوَ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ.

فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُتَكَلِّمٌ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ **بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا**، كَمَا يَقُولُهُ سَائِرُ فِرَقِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ فَعَلَ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا، فَإِنَّهُمْ أَثْبَتُوا كَلَامًا وَفِعْلًا حَقِيقَةً قَائِمَيْنِ بِالْمُتَكَلِّمِ الْفَاعِلِ، وَجَعَلُوا لَهُمَا أَوَّلًا، فِرَارًا مِنَ الْقَوْلِ بِحَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا.

[مذهب السالمية]

مَذْهَبُ السَّالِمِيَّةِ[1] وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، أَنَّهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، لَا يَتَعَلَّقُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ، وَسُوَرٌ وَآيَاتٌ سَمِعَهُ

---

(١) «جَمَاعَة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الْحسن مُحَمَّد بن أَحْمد بن سَالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَةِ وسوادها» - «اللباب في تهذيب الأنساب» (ج٢ص٩٣) وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا «وَلَهُ أَصْحَابٌ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظٍ هُجنَةٍ أَطلقُوهَا وَذكرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَاربَ التِّسْعِيْنَ، سَنَةَ بضعٍ وَخَمْسِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ» - «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (١٦/ ٢٧٣)

تنبيه: السَّفَّاريني صاحب المنظومة المعروفة بالسفَّارينية كذلك اسمه محمد بن أحمد بن سالم، وهو شخص آخر متوفى عام ١١٨٨هـ وهو موافق لأهل السنة في أكثر مسائل أصول الدين، ولكنه فتح باب بدعة خطيرة لمَّا قال إنَّ أهل السنَّة؛ الأشعرية والماتريدية وأهل الحديث، وتبعه على هذه البدعة أقوام من المميّعة، على أنه ذكر موافقة الأشعرية للجهمية في كلام الله تعالى وبيَّن أن ذلك قول الزنادقة، ولكن المميعة غضوا الطرف عن هذا وتبعوه عل ما غلِط فيه.

جَبْرَائِيلُ مِنْهُ، وَسَمِعَهُ مُوسَى بِلَا وَاسِطَةٍ، وَيُسْمِعُهُ سُبْحَانَهُ مَنْ يَشَاءُ، وَإِسْمَاعُهُ نَوْعَانِ: بِوَاسِطَةٍ، وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَحُرُوفُهُ وَكَلِمَاتُهُ لَا يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، بَلْ هِيَ مُقْتَرِنَةٌ.

[مثال]

﴿بسم الله﴾ الْبَاءُ مَعَ السِّينِ مَعَ الْمِيمِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لا يسبق الباء السين، ولا السين الميم، ولَمْ تَكُنْ مَعْدُومَةً فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلَا تُعْدَمُ، بَلْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةً بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ قِيَامَ صِفَةِ الْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ قَالُوا: تَصَوُّرُ هَذَا الْمَذْهَبِ كَافٍ فِي الْجَزْمِ بِبُطْلَانِهِ.

وَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّةُ شَاهِدَةٌ بِبُطْلَانِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ كُلِّهَا، وَأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، وَالْعَجَبُ أَنَّ عددا من الناس المنتسبين للسنَّة يَروجُ عليهِم هذا المذهب.

[مذهب أتباع الرُّسُل]

أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ تَلَقَّوْا هَذَا الْبَابَ عَنْهُمْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ صِفَةَ الْكَلَامِ كَمَا أَثْبَتُوا لَهُ سَائِرَ الصِّفَاتِ، وَمُحَالٌ قِيَامُ هَذِهِ الصِّفَةِ بِنَفْسِهَا، وَمُحَالٌ قِيَامُهَا بِغَيْرِ الْمَوْصُوفِ، قَالُوا وَالْكَلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يُوجَدُ بِقُدْرَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِرَادَتِهِ قَائِمًا بِهِ، لَا يُعْقَلُ غَيْرُ هَذَا، وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْكَلَامِ فِي الْأَزَلِ لَمْ يَصِرْ قَادِرًا عَلَيْهِ فِيمَا بعد، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ حَالُهُ قَبْلَ وَبَعْدَ سَوَاءً وَهُوَ لَمْ يَسْتَفِدْ صِفَةَ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِهِ، فَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تُجَدَّدَ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَاقِدًا لَهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوص النَّبَوِيَّةُ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ إِذَا شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَأَنَّ كَلَامَهُ يُسْمَعُ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ الَّذِي هُوَ سُوَرٌ وَآيَاتٌ وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ هي كَلَامُهُ حَقًّا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي قَالَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ، حُرُوفَهُ وَمَعَانِيهِ نَفْسُ كَلَامِهِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ حَقِيقَةً، وَالْقُرْآنُ اسْمٌ لِهَذَا النَّظْمِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي بَلَّغَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ جِبْرَائِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَصَرِيحُ السُّنَّةِ وَالْمَعْقُولُ وَكَلَامُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ به، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن

فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] فالله يقول ﴿كُن﴾ متى شاء، و﴿كُن﴾ حَرْفَانِ يَسْبِقُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، فَالَّذِي اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ هُوَ الَّذِي فِي صَرِيحِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ.

وتَأَمَّلْ نُصُوصَ الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَنُصُوصَ السُّنَّةِ، وَلَاسِيَّمَا أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ وَحَدِيثَ الْمِعْرَاجِ وَغَيْرَهَا، كَقَوْلِهِ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ»[١] وَقَوْلِهِ: " «إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أُحْدِثَ أَلَّا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ»[٢] وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانُ وَلَا حَاجِبٌ» [٣]

وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّهُ يُكَلِّمُ مَلَائِكَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي، وَيُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُكَلِّمُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ وَيُكَلِّمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَيُسَلِّمُ

---

[١] رواه النسائي (١٥٢٥) بزيادة «الليلة».

[٢] رواه أبو داود (٩٢٤) وقال شعيب «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم» ورواه النسائي (١٢٢١) وقال الألباني «حسن صحيح».

[٣] رواه البخاري (٧٤٤٣) ومسلم (١٠١٦).

عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ كُلَّ لَيْلَةٍ يَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ»[١]

إِلَى أَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي إِنْ دُفِعَتْ دُفِعَتِ الرِّسَالَةُ بِأَجْمَعِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَجَازًا كَانَ الْوَحْيُ كُلُّهُ مَجَازًا، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْمُتَشَابِهِ كَانَ الْوَحْيُ كُلُّهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَإِنْ وَجَبَ أَوْ سَاغَ تَأْوِيلُهَا عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا سَاغَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ.

[١] متواتر. أخرجه الشيخان وأفرده الدارقطني بجزء اسمه "حديث النزول".

خلاصة	حقيقة كلام الله	تعلقه	إمكانيَّة سماعه	تعاقب حروفه	صفة الكلام	حروف وكلمات القرآن	ما القرآن؟
الوحدوية	هو بعينه كلام الخلق		مسموع	متعاقبة		كل شيء في الوجود هو الله، ومن ذلك القرآن	قول البَشر
الفلاسفة	معاني من العقل الفعال	متعلق بنفس الشخص الذي يسمعه.	يُسمَع على سبيل التَّوَهُّم		ليست صفة		قول البَشر
الجهمية والمعتزلة	شيء خلقه الله بقدرته	مرتبط بالقدرة	مسموع	متعاقبة	ليست صفة	مخلوقة	قول البَشر
الكلابيَّة	معاني في نفس الله	صفة ملازمة لله	غير مسموع	لا حروف فيه	لازمة أزلية	مخلوقة	قول محمدٌ ﷺ أو جبريل. حكاية لكلام الله النفسي
الأشاعرة	معاني في نفس الله	صفة ملازمة لله	مسموع	لا حروف فيه	لازمة أزلية	مخلوقة	قول محمدٌ ﷺ أو جبريل. عبارة عن كلام الله النفسي
الكرامية	قول لله	صفة متعلِّقة بالمشيئة. والله لم يكن متكلِّمًا ثم صار متكلمًا	مسموع	متعاقبة	حادثة	غير مخلوقة	قول الله
السَّالميَّة	حروف وأصوات غير مخلوقة	صفة مستقلَّة	مسموع	غير متعاقبة	لازمة أزلية	غير مخلوقة	قول الله
أتباع الرُّسُل	قول لله	صفة متعلِّقة بالمشيئة	مسموع	متعاقبة	لازمة أزلية	غير مخلوقة	قول الله

وبعد هذا العرض نلاحظ ما يأتي:

أكثر المبتدعة يرون أنهم إذا قالوا بأن الحروف إذا كانت متعاقبة بعضها بعد بعض، فهذا يلزَمُ منه أنَّه مخلوق، فذهبوا مذهبين:

١- مذهب الجهمية والكلابيَّة والأشاعرة: أقرّوا بالتعاقب؛ فقالوا بخَلق القرآن، واضطر الكلابية والأشاعرة للقول بأنَّ كلام الله الذي دلت الأدلة على أنه غير المخلوق هو شيء مغاير للقرآن.

٢- السَّالميَّة: قالوا إن القرآن غير مخلوق، وهو كلام الله كما جاءت البراهين على ذلك، ولكنهم اضطروا لنفي تعاقب الحروف.

أما أتباع الأنبياء فلم يتَّفقوا معهم في أصل بدعتهم في أن التعاقب يلزم منه أن الكلام مخلوق، فقالوا: هو متعاقب غير مخلوق.

الكرَّاميَّة وافقوا أتباع الأنبياء على ذلك، ولكنَّهم قالوا بأن الله لم يكن متكلمًا ثم صار متكلِّمًا، لأنَّ عقولهم اقتضت هذا، وهو باطل، فقد وافقوا الجهميَّة والمعتزلة والأشعرية في نسبة الخرس لله تعالى، إلا أنهم نسبوها له وقالوا إنه صار متكلمًا بعدها، أما الجهمية والمعتزلة والأشعرية فنسبوا له الخرس أزلًا وأبدًا فهو لا ينفكُّ عنه بالنسبة لهم.

[مسألة تكلم العباد بالقرآن]

اختلف النَّاس في القرآن إذا قرأه العبد على مذاهب:

قال بعض المعتزلة؛ أَبِي هُذَيْلٍ وَالْإِسْكَافِيِّ وَأَصْحَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ كَلَامَهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كُلِّ تَالٍ، فَيَجْرِي كَلَامُهُ الْمَخْلُوقُ عَلَى لِسَانِ التَّالِي، وَفِعْلُ التَّالِي هُوَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ فَقَطْ وَهِيَ الْقِرَاءَةُ: فَالْقِرَاءَةُ صُنْعُ الْعَبْدِ عِنْدَهُمْ، وَالْمَقْرُوءُ صُنْعُ اللَّهِ وَخَلْقُهُ، فَالْمَسْمُوعُ عِنْدَهُمْ مَخْلُوقٌ بَيْنَ صُنْعَيْنِ: صُنْعِ الرَّبِّ وَصُنْعِ الْعَبْدِ.

قال أَكْثَرِ الْبَغْدَادِيِّينَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ: إِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الْمُحْدِثُ لِأَفْعَالِهِ وَتِلَاوَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ كلامه فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُ وَلَا يُفَارِقُهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا الْمَسْمُوعُ هُوَ صُنْعُ العَبدِ أَلْفَاظُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَهَذَا.

وَقَالَ كَثِيرٍ مِنَ الْكُلَّابِيَّةِ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ كَلَامَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ثُمَّ مَكَّنَ جبْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ نَقْلًا وَيُعَلِّمَهُ رَسُولَهُ ﷺ، فَجَبْرَائِيلُ إِذَا نَطَقَ بِهِ كَانَ نُطْقُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ غَيْرِهِ، لَكِنَّ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ فِي الْحَقِيقَةِ لِجَبْرَائِيلَ وليست لله، وَلَا سَمِعَهُ جبْرَائِيلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْمَحَلِّ الَّذِي خُلِقَ فِيهِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: بَلِ اللَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَ جبْرَائِيلَ مَعَانِيَهُ، فَعَبَّرَ

عَنْهَا جَبْرَائِيلُ بِعِبَارَتِهِ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَلَامُ جَبْرَائِيلَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا كَلَامُ اللَّهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أوحيَ إلى الرسول محمد ﷺ مَعَانِيه، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْشَأَ أَلْفَاظَهَا وَعَبَّرَ بِهَا مِنْ عِنْدِهِ دَلَالَةً عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي أَلْقَاهُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ(١).

فَالْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ عَلَى قَوْلِهِمْ قَوْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ قَوْلُ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: بَلْ لِسَانُ التَّالِي مُظْهِرٌ لكلام الله نفسِه، فَيُسْمَعُ مِنْهُ عِنْدَ التِّلَاوَةِ كَمَا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَإِذَا قَالَ التَّالِي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] كَانَ الْمَسْمُوعُ كُلُّهُ حُرُوفُهُ وَأَصْوَاتُهُ

---

(١) قال الرازي: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ سَمِعَ جِبْرِيلُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ سَمْعًا لِكَلَامِهِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى عِبَارَةٍ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَلَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فَقَرَأَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَفِظَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَصْوَاتًا مُقَطَّعَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فِي جِسْمٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَلَقَّفَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْلُقَ لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّهُ هُوَ الْعِبَارَةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ» [تفسير الرازي سورة البقرة، الآية٤].

هو[١] كلامَ اللَّهِ الْقَائِمَ بِهِ.

قول أتباع الرُّسُل

الْكَلَامُ يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ مَبْدئيًّا لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، فَإِذَا قَالَ الْوَاحِدُ مِنَّا: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» مُؤَدِّيًا لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ هَذَا قَوْلُكَ وَكَلَامُكَ.

وَمِنْ هَاهُنَا غَلِطَتِ الطَّائِفَتَانِ

- **إِحْدَاهُمَا**: جَعَلَتِ الْكُلَّ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا.
- **وَالثَّانِيَةُ**: جَعَلَتِ صوتَ القارئ غيرَ مخلوق، وَهُوَ صوت الرَّبِّ تعالى.

وَالْحَقُّ مَا عَلَيْهِ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ: أَنَّ الصَّوْتَ صَوْتُ الْقَارِئِ، وَالْكَلَامَ كَلَامُ الْبَارِي.

---

[١] **تنبيه**: في الشاملة كتبوا «غير» ولعله كذلك في إحدى المخطوطات، وهذا تحريف، والصحيح «عين» وأنا كتبتها «هو» إذ أنني انقل بتصرُّفٍ محاولًا تسهيل العبارات.

مناظرة عبد العزيز بن يحيى الكناني

(كتاب الحَيدة والاعتذار)

نبذة عن كتاب الحيدة

كتاب الحيدة يتميز بإمامة وجلالة كاتبه، وأنَّه من تلاميذ السَّلَف الصالح، كذلك احتواء الكتاب لبعض القواعد المهمة التي تنفع المسلم لاحقا، ومنها ما يتعلق بالكلام المفصل والموصل، والخاص والعام، وغيرها من قواعد تسير معه في سائر العلوم.

ومما يؤخَذ عليه: قول عبد العزيز للمأمون في غير ما موضع أنه «لو كان كذا فدمي حلال» وهو يريد بذلك أن يبين وثوقه من قول نفسه، لكن لا يجوز لأحدٍ أن يبيح دمَ نفسه، كما أنَّه يلزَم فيمَن يخاطِب مثل هذا الفاجر المأمون أن يخوِّفه من أمر الدماء، ويعظِّمها عنده، لأنَّ مثل هذا الكلام يشجِّعه على الإيغال فيها.

وقد يلوم لائمٌ عبدَ العزيز على تملُّقِه للمأمون في الكلام، وهذا قد يكون مِن باب استجذاب سَمعه، وتليين جانبه للحقِّ، وعدم تنفيره من كلام عبد العزيز.

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي عن هذا الكتاب: «وهو من أروع الكتب التي حملت قوة علم السلفيين، وشجاعتهم، وقوة ثباتهم وعدم مبالاتهم بالسلطان المبتدع الضال، ومن قرأ الكتاب يتبين له جهل المبتدعة بالمعقول والمنقول، وأن سلاحهم الوحيد في نشر بدعهم هو الحيلة والمكر والروغان المستمر، وعدم معرفتهم بباطلهم والرجوع إلى الحق. ولما لهذا الكتاب من مكانة في العقيدة السلفية، حاول أعداء هذه المدرسة الطعن في الشخص والكتاب» [١]

وقد اعتمدت في التحقيق على مخطوطة مكتبة جامعة الملك سعود رقم (١٣٠٠)، ومخطوط شستربيتي (٣٠٤٧)، واستفدت من المطبوع بتحقيق عليّ الفقيهي، وليس فيه الكتاب الثاني الذي حكى فيه عبد العزيز ما جرى بعد المناظرة.

---

[١] موسوعة مواقف السلف (ج٣ص٤٨٣)

نُبذَة عن مؤلِّف كتاب الحيدة والاعتذار[١]

هو عبد العزيز بْن يحي بْن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون، الكناني المكي.

قال الدَّارَقُطْنِيّ: قرأت في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنفه في فضائل الشافعي، وذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه، فقال: وقد كان أحد أتباعه والمقتبسين عنه، والمعترفين بفضله عبد العزيز بن يحي الكناني المكي، كان قد طالت صحبته للشافعي واتباعه له، وخرج معه إلى اليمن، وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي بينة عند ذكر الخصوص والعموم والبيان.

وَنقل الخَطِيب أن عبد الْعَزِيز دخل على أحْمد بن أبى دؤاد المعتزلي وَهُوَ مريض بمرض الشلل النِّصفي (الفالج) فَقَال له: «إني لم آتِك عَائِدًا وَلَكِن جِئْت لِأَحْمَد الله أن سجنك في جِلْدك».

---

[١] مصادر الترجمة: موسوعة الدارقطني، طبقات الشافعيين، وغيرها.

من شيوخه

- الشافعي.
- سفيان بن عيينة.
- مروان بن معاوية الفزاري

ومن تلاميذه

- الحسين بن الفضل البجلي
- أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد
- أبو بكر يعقوب

من كتبه

- الحيدة والاعتذار (كتابنا هذا).
- الرد على الزنادقة والجهمية.
- فَضلِ بني هاشِمٍ
- السُّنَنِ والأحكام
- الاعتذار

ولم أصل إلى غير كتابنا هذا مطبوعًا ولا مخطوطًا، وقد نقل عنه أحمد ابن تيمية عن كتابه «الرد على الجهمية»

نبذة عن بشر المَرِيسي

قال ابن خَلِّكَان: أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المَريسي الفقيه الحنفي المتكلم. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرَان، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئاً. ويقال: إن أباه كان يهودياً صياغاً بالكوفة[١]

وقال: وسمعت أهل مصر يقولون: إن المريس جنس بين بلاد النوبة وأسوان من ديار مصر وكأنهم جنس من النوبة، ثم إني رأيت بخط من يعتني بهذا الفن أنه كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب إليه.

والمَريس: في بغداد هو الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر.

وقال الذهبي عنه: المُتَكَلِّمُ، المُنَاظِرُ، البَارِعُ، كَانَ بِشْرٌ مِنْ كِبَارِ الفُقَهَاءِ. أَخَذَ عَنِ: القَاضِي أَبِي يُوسُفَ.(٢)

---

[١] وفيات الأعيان (ج١ص٢٧٧).

(٢) قلت: وهنا أنبِّه مِن اغترار العوام بالمقدمات التي يقدمها الذهبي فيصف الشخص بالفقه والذكاء والورع أو ما شابه، فيحسن القارئ الظن بصاحب الترجمة، ثم إذا أكمل القراءة قد يجد من خزايا ذلك الشخص ما يجد، وهذا أسلوب الذهبي في غالب كتابه. وقد لا يذكر الخزايا أحيانا، وقد يذكرها ويبررها بأن صاحبها اجتهد فأخطأ أو ما شابه.

قال: وَنَظَرَ فِي الكَلاَمِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَانْسَلَخَ مِنَ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَجَرَّدَ القَوْلَ بِخَلْقِ القرَان، وَدَعَا إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ عَيْنَ الجَهْمِيَّة فِي عَصْرِهِ وَعَالِمَهُم، فَمَقَتَهُ أَهْلُ العِلْمِ، وَكَفَّرَهُ عِدَّةٌ، وَلَمْ يُدْرِكْ جَهْمَ بنَ صَفْوَانَ، بَلْ تَلَقَّفَ مَقَالاَتِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ. وَكَانَ جَهْمِيّاً، لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَشْرَبُ النَّبِيذَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الأَثْرَمُ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنِ الصَّلاَةِ خَلْفَ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ، فَقَالَ: لاَ تُصَلِّ خَلْفَهُ.

وَصَنَّفَ كِتَاباً فِي التَّوْحِيْدِ، وَكِتَاب (الإِرْجَاءِ)، وَكِتَاب (الرَّدُّ عَلَى الخَوَارِجِ)، وَكِتَاب (الاسْتِطَاعَةُ)، وَ (الرَّدُّ عَلَى الرَّافِضَةِ فِي الإِمَامَةِ)، وَكِتَاب (كُفْرُ المُشَبِّهَةِ)، وَكِتَاب (المَعْرِفَةُ)، وَكِتَاب (الوعيدُ)، وَأَشْيَاءَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي نِحْلَتِهِ.

[أول كتاب الحيدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ذِكرُ ما جرى بين عبد العزيز بن يحيي -رحمه الله- وبين بشرٍ المِريسي.

قرأتُ على أبي عمر أحمد بن خالد في ربيع الآخر عام اثنين وخمسين وثلاثمائة، حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السماك قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن أزهر بن حسين القطايعي، قال: حدثني أبو عبد الله العباس ابن محمد بن فرقد، قال: حدثني أبو محمد بن فرقد بهذا الكتاب من أوله إلى آخره، قال:

[مقدمة المؤلف]

قال عبد العزيز بن مسلم الكِنَانِي:

اتَّصل بي وأنا بمكةَ ما قد أظهره بشرُ بن غياث المِرِّيسيّ ببغداد مِن القول بخَلقِ القرَان، ودعائه الناسَ إلى مُوافَقَتِهِ على قولِه ومَذهبه وتشبيهه

على أميرِ المؤمنينَ المأمونِ وعامةِ الناسِ، وما قد دَفع الناسَ إليه مِن المِحنة، والأخذِ في الدخولِ في هذا الكفر والضلالة، وترهُّبُ الناسِ وتَفَزُّعُهم من مناظرته، وإحجامُهم عن الردِّ عليه بما يكسرون به قولَه، ويدحضون به حُجَّتَه ويُبطلون به مذهبَه، واستتارُ المؤمنين في بيوتهم وانقطاعُهم عن الجُمعاتِ والجَماعاتِ، وهروبُهم من بلد إلى بلد خوفًا على أنفسهم وأديانِهم، وكثرةُ موافقة الجُهال والرُّعاع من الناس لِبِشرٍ على كفره وضلالته، والدخولِ في بدعته، والانتحالِ لمذهبه، رغبةً في الدنيا، ورهبةً من العِقَابِ في الدنيا الذي لسطوة الأكابر.

قال عبد العزيز بن يحيى: فأزعجني ذلك من وطني، وأقلقني وأسهر ليلي أدام فكري وغَمِّي وهَمِّي؛ فخرجتُ من بلدي متوجهًا إلى ربي عز وجل أسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدِمت بغدادَ فشهِدتُ من غِلَظِ الأمر واحتدادِه أضعافَ ما كان يصلُ إليَّ، فَفَزِعتُ إلى ربي أدعوه وأتضرَّعُ إليه راغبًا وراهبًا، وأضع له خدِّي، وأبسطُ إليه يَدِي، وأسأله إرشادي وتسديدي، وتوفيقي ومعونتي، والأخذَ بيدِي، وأن لا يُسْلِمَني ولا يَكلَني إلى نفسي، وأن يفتحَ لفهمِ كتابِهِ قلبِي، وأن يُطلِقَ لشَرحِ بيانه لِسَانِي.

وأخلصت لله عز وجل نيتي ووهبتُ له نفسي؛ فعَجَّل تبارك وتعالى إجابَتي، وثبَّتَ عزمي، وشجَّع جَناني، وفتح لفَهمِ كتابه قلبي، وأطلقَ به

لساني، وشرح به صدري، فأبصرتُ رُشدِي بتوفيقه إياي، وأنِست إلى معونته ونصره وتأييده لي، ولم أسكن إلى مشاورةِ أحدٍ من خلقِ اللهِ في أمري، وجعلت أسترُ أمري وأُخفي خَبَري عن النَّاسِ جميعا، خوفًا من أن يَشِيعَ خَبَري، ويُعلمَ بمكاني؛ فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجتمع رأيي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والردِّ عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم، وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة.

وأيقنتُ أنهم لنْ يُحدِثُوا عليَّ حادثةً، ولنْ يَعجلوا عليَّ بقتل وغيره من العقوبة بعد إشهاري نفسي، والنداءِ بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني، وكان ذلك كله بتوفيق الله عز وجل لي، ومعونته إياي.

قال عبد العزيز بن يحيي: وكان الناس في ذلك الزمان وذلك الوقت في أمر عظيم، قد مُنِعَ الفقهاءُ والمُحَدِّثُون والمُذَكِّرون والداعون مِن القعود في الجامِعَين ببغداد وفي غيرِهما من سائر الجوامع والمواضِع، إلا بِشرٌ المريسي ومحمد بنُ الجهمِ بن صفوان الذي تُعرَف به الجهميةُ، ومَن كان مُوافقا لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقعُدون إليهما، ويجتمع الناس إليهما فيُعَلِّمُونَهم الكُفر والضَّلالَ، وكل مَن أظهَر مخالَفتهم، أو ذمَّ مذهبهم، أو

اتُّهِمَ بذلك أُحضِر، فإن وافقهم ودخل في كفرهم، وأجابهم إلى ما يدعونه إليه، وإلا قتلوه سِرًّا، أو حمَلوه من بلدٍ إلى بلدٍ، فكم من قتيل لم يعلم به، وكم مِن مضروبٍ قد ظهر أمره، وكم مِمَّن قد أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء خوفًا على أنفسهم لَمَّا عُرِضُوا على السيف والقتل، فأجابوا كرها، وفارقوا الحق عَيانا -وهم يعلمون- لِمَا حَذِروه من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبد العزيز: فلما كان في الجُمُعَة التي عزمت فيها على إظهارِ نفسي، وإشهارِ قَولي واعتقادي؛ صليتُ الجمعة بالمسجد الجامع بالرَّصافة من الجانب الشرقي بحيالِ القبلة والمِنبر بأول صفٍّ من صفوف العامَّةِ، فلَمَّا سلَّم الإمامُ من صلاة الجمعة؛ وَثَبْتُ قائمًا على رجلي ليراني الناسُ ويسمعوا من كلامي، ولا يخفى عليهم مقالتي، وناديتُ بأعلى صوتي لابني، وكنت قد أقمتُ ابني بحِيالِي عند الاسطوانة الأخرى، فقلت له: يا بُنَيَّ ما تقول في القرَان؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

قال عبد العزيز: فلَمَّا سمِعَ الناسُ كلامِي، ومسألتي لابني وجوابه إياي، هربوا على وجوههم خارجين من المسجد -إلا اليسيرَ من الناسِ- خوفًا على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون، وظهر لهم ما

كانوا يُخْفُونَ ويكتُمُونَ، فلم يَسْتَتِمَّ ابني الجوابَ لي حتى أتانِي أصحابُ السُّلطانِ، واحتملوني وابني فأوقفوني بين يَدَي عمرو بن مَسعَدة[١] وكان قد جاء لِيصُلي الجمعة، فلمَّا نظر إلى وجهي، وكان قد سمع كلامي ومسألتي لابني وجوابَ ابني إياي، فلم يحتَجْ أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أمجنونٌ أنت؟

قلت: لا.

قال: أفَمُوَسْوِسٌ أنتَ؟

قلت: لا.

قال: أفَمَعتوهٌ أنت؟

قلت: لا، إني لَصَحِيحُ العَقْلِ، جيِّدُ الفهم، ثابِتُ المَعرِفَةِ والحمدُ لله كثيرًا.

قال: فَمَظلومٌ أنت؟

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب كنيته أبو الفضل، أحد وزراء المأمون توفي سنة سبع عشرة ومئتين.

قلت: لا.

فقال لأصحابِه ورَجَّالَتِه[١]: مُرُوا بِهِمَا سحبًا إلى منزلي.

قال عبد العزيز: فحُمِلنا على أيدِي الرَّجالةِ حتَّى أُخرِجنا مِنَ المسجِدِ، ثُمَّ جَعَلُوا يتعادون بنا سَحبًا شديدًا، وأيدينا في أيدي الرجالَة يمنَةً ويَسرَة، وسائر أصحابِه خلفَنَا وقُدَّامَنا، حتى صِرنا إلى منزلِ عمرِو بنِ مسعدة على تلك الحالةِ العنيفة الغليظة، فوقفنا حتى دخل، وأمَرَ بِنَا فأُدخِلنَا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسيِّ حديدٍ، ووسادةٌ عليهِ، فلما صِرنَا بين يديه؛ أقبَلَ عليَّ فقال: من أين أنت؟

قلتُ: من أهل مكة.

فقال: ما حملك على ما فعلت بنفسك؟

قلتُ: طلبًا لثوابِ اللهِ تعالى، ورجاءَ الزُّلفةِ لديه.

---

(١) هم الجنود الذين يمشون ولا فَرَسَ لهم.

قال: فَهَلَّا فعلتَ ذلكَ سِرًا من غير نداءٍ ولا إظهارٍ لمخالفةِ أميرِ المؤمنينَ، أطال الله بقاه. ولكنَّكَ أردت الشُّهرة والرياءَ والسمعة والتسويق لتأخذ أموال الناس.

فقلت: ما أردتُ من هذا شيئا، ولا أردتُ إلا الوصولَ إلى أميرِ المؤمنينَ والمناظرةَ بين يديه، لا غير ذلك.

فقال: أوَ تَفعلُ ذلك؟

قلت: نعم، ولذلك قصدتُ وبلَغتُ بنفسي ما ترى، بعد خروجي من بلدي وتغَرُّبي مع سلوكِ البراري أنا وَوَلَدِي، رجاءَ تأدية حق الله عز وجل فيما استودعني من الفَهم والعِلمِ وما أُخذ عليَّ وعلى العُلماءِ من البيان.

فقال: إن كنتَ إنما جعلت هذا سببا لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين؛ فقد حَلَّ دمُك لمخالفِتك أميرَ المؤمنين.

فقلت له: إن تكلمت في شيء غير هذا، أو جعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلالٌ لأمير المؤمنين، وهو في حلٍّ منه.

قال عبد العزيز: فوَثَبَ عمرو قائما على رجليه، وقال: أخرجوه بين يديَّ[(١)] إلى أمير المؤمنين.

قال: فأخرجت، وركبٌ من الجانب الغربي وأنا وابني بين يديه يعدي[(٢)] بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرجالَةِ حتى صاروا إلى أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل وأنا في الدهليز[(٣)] قائمًا على رجلي، فأطال عند أمير المؤمنين القعودَ، ثم خرج فقعد في حجرة له، وأمر بي فأدخلت عليه، فقال لي: قد أخبرت أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- بخبرك وما فعلت، وما قلت وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك من المناظرة بين يديه، وقد أمر أطال الله بقاه، بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين عن هذه المقالة إلى مجلسه أعلاه الله في يوم الاثنين الآتي وتحضُر معهم للمناظرة بين يديه -أيده الله- ويكون هو الحاكم بينكم.

---

(١) أي: أمامي.

(٢) يجب أن تكون «يعدو» والله أعلم.

(٣)الدهليز هو الممر الذي يكون في داخل البناء أو البيت، وهي كلمة فارسية.

قال عبد العزيز: فأكثرتُ حمدَ الله على ذلك وشكرته وأظهرت الشكر والدعاء لأمير المؤمنين، فقال لي عمرو بن مسعدة: أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا حاجة إلى حبسك.

فقلت له: أعزك الله أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحدًا ولا يعرفني من أهله أحد، فمن أين لي من يكفلني، وخاصة مع إظهار مقالتي؛ لو كان الخلق يعرفوني لتبرؤوا مني، وهربوا من قربي وأنكروا معرفتي.

قال عمرو: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم، وتنصرف فتصلح من شأنك وتفكر في أمرك فلعلك أن ترجع عن غيك وتتوب من فعلك فيصفح أمير المؤمنين عن جرمك.

فقلت: ذلك إليك أعزك الله فافعل ما رأيت.

قال عبد العزيز: فوكل بي من يكون معي في منزلي وانصرفتُ.

فلما كان يوم الاثنين، صليتُ الغداة في مسجدي الذي كان على باب منزلي، فلما فرغت من الصلاة إذا بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه خلق كثير من الفُرسان والرجالةِ فحملوني مكرما على دابة حسنةٍ حتى صاروا بي على باب أمير المؤمنين فأوقفوني حتى جاء عمرو بن مسعدة

فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أُذِنَ لي بالدخول عليه؛ فدخلت، فلما صِرتُ بين يديه؛ أجلسني، ثم قال لي: أنت مقيم على ما كنت عليه؟، أو قد رجعت عنه؟

فقلت: بل مقيم على ما كنت وقد ازددت -بتوفيق الله إياي- بصيرة في أمري.

فقال لي عمرو: أيها الرجل قد حَمَلتَ نفسَك على أمر عظيم وبلغتَ الغايَة في مَكرُوهِهَا، وتعرَّضت لِمَا لا قَوَام لك به من مخالفة أمير المؤمنين، وادعيت ما لا يثبت لك به حجة على مخالفيك ولا لأحدٍ غيرِك، وليس وراءك بعد الحجة عليك إلا السَّيف، فانظر لنفسِك، وبادر أمرَك قبل أن تقع المُنَاظرة، وتظهر عليك الحُجَّة، فلا تنفعُك الندامَةُ، ولا تُقبَلَ لَكَ مَعذِرَةٌ، ولا تُقَالُ لك عثرة، فقد رَحِمتُك وأشفقتُ عليك مِمَّا هو نازلٌ بك، وأنا أستقيلُ أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- وأسألُه الصفحَ عن جُرمِك وعظيمِ ما كان مِنكَ إن أظهرت الرجوعَ عنه والندمَ على ما كان منك، وآخذُ لك الأمانَ منه -أيَّدَهُ اللهُ- والجائزةَ، وإن كانت لك ظلامةً أزلتُها عنكَ، وإن كانت لك حاجة قضيتُها لك، وإنما جلستُ رحمةً لك مما هو نازلٌ بك بعد ساعة إن أقمتَ على ما أنت عليه، ورجوتُ أن يُخَلِّصَك اللهُ على يديَّ مِن عظيم ما أوقعتَ فيه نفسِك.

فقلت له: ما ندمتُ أعزك اللهُ ولا رَجَعتُ، ولا خَرَجتُ عن بَلَدِي، وغرَّرْتُ بنفسي إلا في طلب هذا اليوم، وهذا المجلسِ رجاءَ أن يُبَلِّغَنِي اللهُ ما أُؤَمِّلُ من إقامَةِ الحق فيه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال عبد العزيز: فقام عمرو بن مسعدة على رجليه، وقال: قد حرصت في كلامِك جُهدي، وأنت حريصٌ مجتهد في سفكِ دمِك وقتلِ نفسِك.

فقلت له: معونةُ الله أعظم، والله عز وجل ألطف من أن يُسْلِمَني ويكلَني إلى نفسي، وعدلُ أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاه- أوسعُ من أن يَقصُرَ عني، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[لقاؤه بالإمام أحمد]

قال محمد بن الحسن[١] سمعتُ أبا عبد الله[٢] يقول: قال لي أبي: [٣]

---

[١]هو ابن الأزهر.

[٢]العباس بن محمد بن فرقد.

[٣]وهؤلاء جميعا ورد ذكرهم في إسناد الكتاب.

جاء عبدُ العزيز إلى أبي عبدِ الله أحمدَ بنِ حنبلَ رضي الله عنه وهو في الحبس فقال: إن هذا الأمر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دِقَّتِهِ، فاذكُرنِي، فبعث إليه أبو عبد الله أنا قد وقعتُ، وأخافُ أن أذكُرَكَ فأشيطَ بدمِك، فيكونُ قَتْلُكَ على يدِي، فأُقتلُ أنا أحبُّ إليَّ، فانصرِفْ بِسَلام.(١)

[نصيحة حاجبِ المأمون]

قال عبد العزيز: وأمرَ بي فأُخرجت إلى الدهليز الأول، ومعي جماعة موكلون بي، وكان قد تقدم إلى سائر بني هاشم -ممن يحضر مجلس أمير المؤمنين- أن يركبوا، ووُجِّهَ إلى الفُقَهَاءِ والقُضاةِ المُوافقينَ لهم على مذهبهم، وسائرَ المُتَكلمين(٢) والمناظِرينَ أن يحضروا دار أمير المؤمنين، وأمر القُوَّادَ(٣) والوزراء والأمراءَ أن يركبوا في السلاح، كلُّ ذلك ليُرهِبَنِي بهِم، ومَنَعَ الناسَ من الانصرافِ إلى أن ينقضيَ المجلسُ.

فلما اجتمعَ الناسُ وتتامُّوا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونَ

---

(١) يبدو أن هذا قبل مجيئه.

(٢) أهل الكلام في زمانه الجهمية والمعتزلة، لأن الأشاعرة والماتريدية لم ينشؤوا بعد.

(٣) القُوَّاد: جمع قائد.

بالكلامِ والجِدالِ، أُذِن لي في الدخول، فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجِبِ صاحب الستر الذي على باب الصَّحنِ، فلما رآني أمَرَ بي فأُدخِلت إلى حُجرتِه، ودَخل معي فقال لي: إن احتجت إلى أن تُحدثَ طُهرًا فافعل.

فقُلت: لا حاجة لي بذلك.

فقال: فصَلِّ ركعتين قبل دخولِك، فصليت أربع ركعات ودعوتُ اللهَ وتضرعتُ إليه، فلما فرغت؛ أمَر من كان بحضرته فخَرج من الحُجرَة، ثم تقدَّمَ إليَّ فقال لي وهو يسارني: يا هذا إن أميرَ المؤمنين لبَشَرٌ مثلُك، من ولد آدم، وكذلك كل من يُنَاظِرُك بحضرته فهو بَشَرٌ مثلُك، ولا تهيبهم[١]، واجمع فهمك وعقلك لمُنَاظَرَتِهِم، وإيَّاكَ والجَزَع، واعلمْ علمًا يقينًا أنه إن ظَهَرَتْ حجَّتُك عليهِم؛ انكسروا وانقطع كلامُهُم عنك وأذلَلْتَهُم وغلبتَهُم ولم يقدِرُوا على ضَرَر ولا مكروهٍ، وصار أميرُ المؤمنينَ -أطال الله بقاه- وسائرَ الأولياءِ والرعيةِ معك عليهِم، وإن ظهرَتْ حجتُهُم عليكَ أذلُّوكَ وقتلوك وأشهَرُوكَ وجعلوك للخلقِ عبرةً، فاجمعْ فهمَكَ ومعرفتَك ولا تَدَعْ

---

(١) لعلها «تَتَهَيَّبْهم»

شيئا مما تُحسِنُه أو تحتاجُ أن تتكلمَ به خوفًا من أميرِ المؤمنيَن أو من أحدٍ غيرِه، وتوكل على اللهِ واستخر الله تعالى، وقم فادخل.

فقلت له: جزاك الله خيرا فقد أديتَ النصيحة وسكَّنْتَ الرَّوعَة وآنستَ الوَحشة.

[دخول عبد العزيز على المأمون]

وخرج، وخرجتُ مَعَهُ إلى باب الصَّحْنِ.

قال عبد العزيز: فَشَالَ السِّترَ، وأخذَ الرجالُ بيَدَيَّ وعضُدَيَّ وجعل أقوامٌ يتعادون بي وأيديهم في ظهري وعلى عُنُقِي، فجعلتُ أسمع أميرَ المؤمنينَ وهو يقول: خَلُّو عنه، خلُّو عنه، وكَثُرَ الضَّجيجُ من الحُجَّابِ والأولياء بمثل ذلك، فخُلَّوا عني وقد كاد عقلي أن يتغير من شِدَّةِ الفَزَعِ وعظيمِ ما رأيتُ في ذلك الصَّحنِ من السِّلاحِ والرجالِ، وقد انبسطت الشمسُ عليهِم، وهم ملء الصحنِ صفوفًا، وكنتُ قليل الخبرةِ بدارِ أميرِ المؤمنينَ، ما رأيتُها قبلَ ذلك ولا دخلتُها، فلما صرتُ على بابِ الإيوان[1]؛

---

(١) الإيوان: كلمة فارسية، وهي القاعة التي لها ثلاثةُ جدران وقُبَّة، وتطل من الجهة الرابعة على مكان غير مسقوف.

وقفتُ هُناك فسمعتُه يقول: قربوه قربوه.

فلما دخلت من باب الإيوان وقَعَتْ عيني عليهِ، وقبلَ ذلك لم أتبيَّنْه لِمَا كان على بابِ الإيوانِ من الحُجَّابِ والقُوَّادِ والوزراء.

فقلت: السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ وبركاته.

فقال: أدنُ مني.

فدنوت منه.

ثم قال: أدن مني -زاده تكرارا- وأنا أدنو منه خطوة خطوة، حتى صرتُ في الموضِعِ الذي يَجلسُ فيه المُنَاظِرُونَ، ويُسمَع كلامُهُم، والحاجِبُ معي يقدمُني، فلمَّا انتهيتُ إلى الموضِع، قال لي المأمون: «اجلس» فجلستُ.

قال عبد العزيز: وسمعتُ رجلًا من جُلَسَائِه يقول وقد دخلت من الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من هذا قُبحُ وجهِهِ، لا واللهِ ما أريتُ خلقًا للهِ قطُّ أقبحُ وجهًا منه، فسمعتُه يقول هذا وفهمتُ كلامَه كلَّه ورأيتُ شخصَه على ما بي من الرَّعدة والجَزَعِ والخوفِ.

قال عبد العزيز: وتبيَّن لأمير المؤمنين ما أنا فيه وما نزل فيَ من الجزع والخوف، وجعل ينظُرُ إليَّ وأنا أرتعِدُ وأنتفِضُ، فأراد أن يؤنِسَنِي

ويُسَكِّنَ عنِّي ما لحِقَني وأن يبسُطَني؛ فجَعَلَ يُكثر كلامَ جُلَسائه، ويُكلم خليفَتَه عمرو بن مسعدة، ويتكلمُ بأشياءَ كثيرةٍ مما لا يُحتَاجُ أن يتكلمَ بها، يريد بذلك كلِّه إيناسي، وجعل يطيل النظر إلى الإيوان، ويديرُ طرْفَه فيه، فوقعَتْ عينُه على موضعٍ من نقشِ الجُصِّ قد انفتخ[١]؛ فقال: يا عمرو أما ترى هذا الذي قد انفتخ من هذا النقش، وسيقعُ، فبادِرهُ في يومِنَا هذا، فقال عمرو: قطع الله يدَ صانِعِه، فإنه قد استحق العقوبةَ على عَمَلِه هذا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال لي: الاسم.

فقلت: عبدُ العزيز.

فقال لي: ابن من؟

فقلت: ابن يحيي.

قال: ابن من؟

قلت: ابن عبد العزيز.

---

(١) الفتخُ هو اللين.

قال لي: ابن من؟

قلت: ابن مُسلم.

قال: ابن من؟

قلت: ابن ميمون الكِنَانِيّ.

قال: وأنت من كِنَانَة.

قلت: نعم، يا أمير المؤمنين.

فتركني ولم يكلمني هُنَيْهَةً، ثم أقبَلَ عليَّ فقال: من أين الرجل؟

قلت: من الحجاز.

قال: من أي الحجاز؟

قلت: من مكة.

قال: من تعرفُ من أهلها؟

قلت: يا أمير المؤمنين كل من بِهَا من أهلِها إلا وأنا أعرفُه، إلا رجلًا ضوى إليها أو جاوَرَ بها من الغُرباء؛ فإني لا أعرفه.

قال: فهل تعرف فلانًا، هل تعرف فلانا، حتى عددَّ جماعَةً من بني هاشمٍ كُلِّهم، أعرفُهُم حقَّ معرفَتِهِم، فجعلتُ أقولُ: نعم أعرفُه.

وسألني عن أولادهم وأنسابِهِم، فأُخبِرُه من غيرِ حاجةٍ به إلى شيء من ذلك، ولا مِمَّا تقدَّمَ مِن مسألتي، وإنما يريد به إيناسي وبسطي للكلام، وتسكينِ رَوعَتِي وجَزَعِي، فذهب عني ما كان لحقني من الجزع، وجاءت المعونة من الله عز وجل، فقوِيَ بها ظهري، واشتدَّ بها قلبِي، واجتَمَعَ بها فَهمِي، وعلا بها جِدِّي، وانشرح بها صدري، وانطلق بها لساني، ورجوت بها النصرَ على عدوي.

قال عبد العزيز: فأقبَل عليَّ المَأمونُ فقالَ: يا عبدَ العزيزِ إنه اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع، وقولِكَ إن القرآنَ كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق بحضرة الخلائقِ على رؤوس الأشهاد، ومسألتَك بعد ذلكَ الجمعَ بينَك وبين المناظرين على هذه المقالة بحضرتي وفي مجلسي، والاستماعَ منك ومنهم، وقد جمعتُكَ والمخالفينَ لكَ للمُناظرة بين يَدَيَّ وأكونُ أنا الحكمُ بينكم، فإن تكن لك الحجةُ عليهم والحقُّ معكَ؛ تبِعناكَ، وإن تكن الحُجَّةُ لهم عليكَ والحقُ معهم؛ عاقبناك واستتبناك.

[التحضير للمناظرة]

ثم أقبل المأمون على بِشرِ بن غياث المَرِيسيِّ، فقال: يا بشرُ قُم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه.

قال عبد العزيز: فوثَبَ إليَّ بشرٌ من موضِعِه الذي كان فيه كالأسَدِ يثِبُ إلى فريسته، فجاء فانحط عليَّ، فوضع فَخِذَهُ الأيسرَ على فخذي الأيمن، فكاد أن يَحطِمَهَا، وعَمِدَ عليَّ بقُوَّتِه كُلِّهَا.

فقلت له: مهلًا فإن أمير المؤمنينَ لم يأمرْك بقَتلي ولا بظُلمي، وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي.

قال: فصاحَ به المأمونُ تنحَّ عنه، وكرر ذلك عليه مرات حتى أبعده عني.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ وقال: يا عبد العزيز ناظره على ما يريد واحتج عليه، ويحتج عليك، وسائِله ويُسائلُك، وتناصَفَا في كلامِكُما، وتحفظا ألفاظَكُمَا، فإني مستَمِعٌ لكُما ومتحفظ ألفاظكما.

قال عبد العزيز: فقلت: السمعُ والطاعةُ لك يا أمير المؤمنين، ولكني أقول شيئا فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيه فعلَ.

فقال: قل ما تريد.

فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله- بقاك إني رجلٌ عربيٌّ، وفي كلامي دِقَّة، ولم يسمع أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاه- من كلامي شيئًا قبلَ هذا الوقت، فجليلُ كلامي في سمع أمير المؤمنينَ دقيقٌ، وبِشرٌ -يا أميرَ المؤمنين- رجب قد كثر سماعُ أميرِ المؤمنينَ لكلامِه، فصارَ دقيق كلامه في سمعِ أميرِ المؤمنين جَليًّا، فإن رأى أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاه- أن يأذن لي أن أُقَدِّمَ شيئًا من كلامي في هذا المجلسِ فيقيسَ ما يَدِقُّ بعدَه مِن كلامِي على ما تقدَّم، ويعرفُ مذهبي في كلامي، ثم يجمعُني ومن أحبَّ لمُنَاظرتي بعد هذا اليوم أيَّ وقتٍ شاء.

قال المأمون: أنا مشغول عن هذا بما يلزمُني من أمر المسلمين، وإنما جمعتُكَ ومُخالفيكَ لما أظهرتَ من مُخالفتكَ إياهُم وذَمِّكَ مذهَبَهم، وادعائِك الردَّ عليهِم، ومسألتَك الجمعَ بينك وبينَهم، ولستُ أجمعُك وإياهُم بعدَ هذا المجلسِ إلا عن مناظرة تجري بينك وبينُهم فتَحتاجُون إلى عودة لاستتمام ما بَقِيَ عليكُما من المُنَاظَرَةِ فأجمعُكما لذلك.

قال عبد العزيز: فقلتُ في نفسي، هذا الذي سألت الله عز وجل أن يُبَلِّغْنِيه وعاهدتُه لأن بَلَّغَنِيه لأقومَنَّ بحقِّهِ ولأَذُبَّنَّ عن دينه بما يُلهِمني من توفيقِه صابرًا محتسبًا وإن عُرِضتُ على السيف والقتل حتى إذا بلَّغَنِيَ اللهُ

ما أملته وأعطاني ما سألتُه، وأيَّدَني بالمَعونة، وكفاني المُؤنة وعطفَ قلوبَ عبادِه عليَّ، وصرفَ عني ما كنتُ أُحاذرُ من سوءٍ بادِرةٍ تكونُ قبلَ قيامي بحق الله تعالى؛ أأنقض عهده، وأخلف وعدَه، وأكفُرُ نِعمَه؛ فيسخط علي ويخذلني ويكلني إلى نفسي؟ والله لا فعلت ولو تلفت نفسي.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أميرَ المؤمنين إني لم أتهيَّبِ المناظرةَ ولم أعجَز عنها، وإنما أحبَبْتُ أن أُقَدِّمَ في هذا المجلس شيئا من كلامي ليَقِفَ من بحضرةِ أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاه- ومن في مجلسه على معنى كلامي ودقَّتِه فلا يَخفَى علَيهِم بعدُ مما يَجرِي شيء.

قال: فقال المأمونُ لبشرٍ: ناظِر صاحبَك على ما يُريد.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاك- إن رأيت أن تأذن لي فأتكلم في شيء قد شغل قلبي قبل مُناظَرتي لبشر.

فقال لي: تكلم بما شئت فقد أذنتُ لك.

فقلت: أسألُك بالله يا أمير المؤمنين، من بَلَغَك أنه كان أجمَلَ البَشَرِ من وَلَدِ آدَمَ ﷺ؟

قال: فأطْرَقَ مَلِيًّا، ثم رفع رأسه فقال: يوسُف ﷺ.

فقلت: صدقتَ يا أمير المؤمنين، فوالله ما أُعطِيَ يوسفُ الصِّدِّيقُ على حُسنِ وجهِهِ حبَّتين، ولقد سُجِنَ وضُيِّقَ عليهِ مِن أجلِ حُسنِ وجهِه بعد أن وُقِفَ على براءته بالشاهِدِ الذي أنطقَه اللهُ -تعالى- بتصديقِه وبيانِ براءته وبعدَ إقرارِ امرأةِ العزيزِ أنها هي راودته عن نفسه فاستعصم، فحُبِسَ بعد ذلك كلِّه لحُسنِ وجهِهِ، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾[يوسف: ٣٥] فدَلَّ بقولِهِ على أنه سُجِنَ بغيرِ ذنب لِعلَّةِ حُسنِ وجهِه وليُغَيِّبُوهُ عنها وعن غيرِها، فطالَ في السجن حبسُه حتى إذا عبَّرَ الرؤيا التي رآها الملك، وقف الملكُ على علمِه ومعرفَتِه فاشتاقَ إليه، ورغبَ في صُحبَتِه، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾[يوسف: ٥٤] وكانَ هذا القولُ من المَلِكِ عندما وَقَفَ عليهِ مِن علم يوسفَ ومعرفتِه قبلَ أن يسمعَ كلامَه، فلَمَّا دَخَلَ عليهِ وسمِع كلامَه وحُسنَ عِبارتِه، صيَّرَه على خزائن الأرض، وفَوَّض إليه الأمورَ كلَّها وتبرّأَ منها وصارَ كأنَّه مِن تحتِ يَدِهِ، فكانَ هذا الذي بَلَغَهُ يوسُفُ ﷺ بكلامِه وعلمِه لا بحسنه وجمالِه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[يوسف: ٥٤-٥٥] ولم يقل إني حسن جميل، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ نَشَآءُۚ ﴾[يوسف: ٥٦] فوالله يا أمير المؤمنين ما أبالي إن وجهِيَ قبيح مع ما هو فيه من حسن العلم والفَهم.

فقال لي المأمون: وأيُّ شيء أردتَ بهذا القولِ، وما الذي دعاكَ إلى ذكرِ هذا؟

فقلت: سمعتُ بعضَ مَن هاهُنا يقولُ لأمير المؤمنين: يكفيكَ من كلامه قُبحُ وجهِهِ، فما يضرُّني قبحُ وجهي مع ما قد رَزَقَنِيَ اللهُ عز وجلَّ مِن فهمِ كِتَابِه، والعلمِ بِسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ.

قال: فتَبَسَّمَ المأمونُ حتى وضع يده على فيه.

ثم قلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، فقد رأيتُكَ تنظُرُ إلى هذا النَّقْشِ وانفتاحِ الجُص وتذكُرُهُ، وسمَعتُ عُمَرًا يَعِيبُ ذلكَ ويدعو على صانِعِه، ولا يعيبُ الجُصَّ، ولا يدعو عليه؟

فقال المأمون: العيبُ لا يقعُ على الشيءِ المصنوعِ، وإنما يقعُ العيبُ على الصّانع.

قلتُ: صدَقتَ يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيبُ ربِّي عزَّ وجلَّ لِمَ خَلَقَنِي قبيحًا.

فازدادَ تبَسُّمًا حتى ظَهَرَتْ ثناياه.

[بداية المناظرة]

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ وقال: يا عبدَ العزيز: ناظر صاحبَك فقد طال المجلس بِغَيرِ مناظرة.

فقلت: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاك- كل متناظرَين على غيرِ أصلٍ يكونُ بينَهُما يرجِعَانِ إليهَ إذا اختلفا في شيء من الفروع؛ فهما كالسائِرِ على غير طَّرِيقِ، لا يعرفُ الحُجَّةَ فيتبَعَهَا ويسلُكَها وهو لا يعرف الموضِع الذي يريدُ فيقصدَه، ولا يدري من أين جاء فيرجِعُ يطلبُ الطريقَ فهو على ضلال أبدا.

ولكننا نؤصِّلُ بيننا أصلا، فإذا اختلفنا في شيء من الفُروعِ ردَدناهُ إلى الأصلِ، فإن وجدنَاهُ فيهِ وإلَّا رمَيْنَا به ولم نلتفت إليه.

فقال المأمون: نِعْمَ ما قُلتَ، فاذكرِ الأصلَ الذي تُريدُ أن يكون بينكما، وَيَذكُرُ بشرٌ أيضًا مثلَه حتى تتفقا على الأصل فتؤصلاه بينكما.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك-: أؤصل بيني وبينه ما أَمَرنا الله به واختارَه لنا وأدَّبَنا به وعلَّمنا ودلَّنَا عليه عند التنازع والاختلاف، ولم يكِلنَا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارنا.

فقال المأمون: وذلك موجود عن الله عز وجل؟

قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٩].

فهذا تعليمُ اللهِ وتأديبُه واختيارُه لعباده المؤمنين، وهو خيرٌ وأحسنُ ما أصَّلَهُ المُتنازعون بينهم، وقد تنازَعتُ أنا وبشرٌ فنحن نؤصل بيننا كتابَ اللهِ تعالى وسنةَ رسوله ﷺ كما أُمِرنا، فإن اختلفنا في شيء من الفُروع؛ ردَدناه إلى كتاب الله تعالى، فإن وجدناه فيه وإلاّ رَدَدناهُ إلى سُنَّةِ رسوله ﷺ، فإن وجدناه فيها، وإلاّ ضربنا به عرض الحائط ولم نلتفتْ إليه.

فقال بشر: وأين أمَرَنَا الله أن نرد ما اختلفنا فيه إلى كتابه وإلى سنة نبيه ﷺ؟

قلت: كأنَّك لم تسمعْ ما جَرى وما ابتدأتُ بِه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٩].

قال بشر: فإنما أمَرَنا اللهُ أن يُرَدَّ إليهِ وإلى الرسولِ، ولم يأمرْنا أن نَرُدَّهُ إلى كِتَابِه ولا إلى سنة رسوله.

فقلت له: هذا مالا خلافَ فيه بين المؤمنين وأهلِ العلم إن رددناه إلى الله تعالى فهو إلى كتابه، وإن رددناه إلى رسوله بعد وفاته فإنما هو إلى سنته، وإنما يشك في هذا الملحدون، وقد رُوِىَ هذا بهذا اللفظُ عن ابن عباس وعن جماعَةٍ من الأئمةِ الذِين أُخذ العلمُ عنهم رحمة الله عليهم.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فافعلا وأصلا بينكما يا عبد العزيز أصلًا واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما والحافظ لما ليجري بينكما والحاكم عليكما إن شاء الله تعالى.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه مَن ألحَدَ في كتابِ اللهِ جاحِدًا أو زائدًا لمْ يُنَاظَر بالتَّأويلِ، ولا بالتفسير، ولا بالحديث.

فقال المأمون: فبأي شيء تناظرُه.

فقلت: بنص التنزيل كما قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ

وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال حين ادَّعَتِ اليهودُ تحريمَ أشياء لم تحرَّم عليهم: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾[آل عمران: ٩٣]

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [النمل: ٩٢] فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة، ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن أقرَّ بالتنزيل، فأما من ألحَدَ في التنزيل فكيف يُنَاظَرُ بتَأويلِه؟

فقال لي المأمون: أوَ يخالِفُكَ في التنزيل؟

فقلت: نعم ليخالفني، أو لِيَدَعَ قولَه ومذهبَه ويوافقَني على مذهبي.

قال عبد العزيز: ثم أقبلتُ على بشرٍ فقلتُ: يا بشرُ ما حُجَّتُكَ على أن القرَان مخلوق، وانظر إلى أحَدِّ سهمٍ في كنانتك فارمني به، ولا تحتاجُ إلى مُعاوَدَتِي بغيرِه.

[كون القرآن شيئًا]

فقال بشرٌ: أتقول القرآن شيءٌ أم غيرُ شيءٍ؟ فإن قلتَ إنه شيءٌ فقد أقرَرتَ إنه مخلوقٌ إذ كانتِ الأشياءُ كلُّها مخلوقةً بِنَصِّ التنزيلِ، وإن قُلتَ: «إنه ليس بشيءٍ» فقد كفرتَ لأنَّكَ تزعُمُ أنه حُجَّةُ اللهِ على خلقه، وأن حجةَ الله ليسَ بشيء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: ما رأيت أعجبَ منك تسألني وتجيبُ نفسَك عني وتكفرُني ولم تسمع كلامي ولا قولي، فإن كنتَ سألتَ لأُجيبك، فاستَمع مني فإني أحسِنُ أن أعبِّرَ عن نفسي وأحتجَّ عن مَقالَتِي ومذهبي، وإن كنتَ إنما تريدُ أن تَخطُبَ وتتكلمَ لتُدهِشَنِي وتُنسيني حُجتي؛ فلن أزداد بتوفيق الله إيايَ إلا بصيرة وفهما، وما أحسبُك يا بشرُ إلا قد تعلمت شيئا أو سمعتَ قائلا يقول هذه المقالة التي قلتَها أو قرأتَها في كتابٍ فأنت تكره أن تقطَعَها حتى تأتيَ على آخرها.

قال عبد العزيز: فأقبل المأمون على بشرٍ فقال: صدق عبد العزيز، اسمَع مِنه جوابَه ورُدَّ عليه بعد ذلك بما شِئتَ مِنَ الكلامِ.

ثم قال لي: تكلم يا عبد العزيز وأجبه عما سألك عنه.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: سألتَ عن القرَان أهو شيء أم غير

شيء، فإن كُنتَ تُريدُ أنَّه شيءٌ إثباتا للوجود ونفيا للعدم؛ فنعم هو شيء، وإن كنتَ تريد أن الشيء اسمٌ له وأنه كالأشياء؛ فلا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهُمه ولا أعقِلُه ولا أسمَعُه، ولا بُدَّ من جواب يُفهمُ ويُعقلُ، إنه شيء؟ أو غير شيء؟

قال عبد العزيز: صدقتَ، إنك لا تفهمُ ولا تعقِلُ ولا تسمعُ ما أقولُ، ولقد وصفتَ نفسَك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت، أو كان بمثل ما وصفتَ به نفسك، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا

يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦-١٨].

ومثل هذا في القرآن كثير جدًا، ولقد امتدح الله -عز وجل- في كتابه أقوامًا بحسن الاستماع، وأثنى عليهم أحسن الثناء فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

وقال المؤمنون: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]

ومثل هذا في القرآن كثير.

فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا

ما اختاره أهل الكتاب، ولا ما اختاره الجن لأنفسهم.

قال عبد العزيز: قال لِيَ المأمون: دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنتَ فيه، وبَيِّنه واشرحه، واحتجَّ لنفسِك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله -عز وجل- أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه فلم يتسمَّ بالشيء ولم يجعل الشيءَ اسمًا من أسمائه ولكنَّه دلَّ على نفسِه أنه شيءٌ أكبرُ الأشياءِ إثباتا للوجود ونفيا للعدم، وتكذيبًا منه للزَّنادِقَةِ، والدَّهريَّة، ومن تقدمهم ممن جَحَدَ معرفَتَه وأنكر ربوبيته من سائر الأمم، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩] فدل على نفسه أنه شيء ليس كالأشياء، وأنزل في ذلك خبرا خاصًا مُفرَدًا لعِلمه السابقِ أن جَهمًا وبِشرًا ومَن قال بقولهما سيُلحدون في أسمائه ويُشَبِّهُونَ على خَلقِه، ويُدخلونه وكلامَه في الأشياء المَخلوقَة، فقال عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] فأخرج نفسه وكلامَه وصفاتِه من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيبًا لِمَن ألحَدَ في كِتَابِه، وافترى عليه، وشبَّهَهُ بِخَلقِه، فقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠] ثم عدَّدَ أسماءَه في كتابه فلم يتسمَّ بالشيء، قال النبي ﷺ: إن لله تعالى «تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» ثم عدها فلم نجده جعل الشيء اسما لله عز وجل، فقلت كما قال الله تعالى، وتأدبت كما أدبني الله تعالى. ثم ذكر جل اسمه كلامه كما ذكر نفسه ودل عليه بمثل ما دل على نفسه ليعلم الخلقُ أنه من ذاته وأنه صفةٌ من صفاته، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾[الأنعام: ٩١] فذم الله اليهودِيَّ حينَ نفى أن تكونَ التوراةُ شيئًا، وذلك أن رجلا من المسلمين ناظر رجلا من اليهود بالمدينة، فجعل المسلم يحتج على اليهودي مِنَ التوراة بما علم من صفة النبي ﷺ وذِكرِ نبوَّته فيها حتى أثبت نبوَّتَه ﷺ من التوراة فضحك اليهودي وقال: «ما أنزل الله على بَشَرٍ من شيء» فأنزل الله عز وجل تكذيبه، وذم قوله، وأعظمَ فريَتَه حين جَحَدَ أن يكون كلامُ اللهِ شيئا، ودل بذلك على أن كلامَه شيءٌ ليس كالأشياء، كما دل على نفسه أنه شيء ليس كالأشياء. ثم قال في موضع آخر: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾[الأنعام: ٩٣] فدل بهذا الخبر أيضا على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جَحَد أن كلام الله شيء، فلما

أظهر الله عز وجل اسم كلامه؛ لم يظهره باسم الشيء، فيُلحد الملحدون في ذلك ويُدخلونه في جُملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكِتَابِ والنُّور والهدى، ولم يقل: «قل: مَن أنزَلَ الشيءَ الذي جاء به موسى» فيَجْعَلُ الشيءَ اسمًا لكلامه، وكذلك سمى كلامه بأسماء ظاهرة يُعرَفُ بها، كما سمى نفسه بأسماءٍ ظاهرة يعرف بها، فسَمَّى كلامَه نورًا، وهُدىً، وشفاءً، ورحمةً، وحقًّا، وقرآنًا، وفرقانًا وأشباهَ ذلك لعِلمِه السابِقِ في جهم وبِشرٍ ومَن يقولُ بقولِهِمَا أنهم سيُلحدون في أسمائه وصفاته التي هي من ذاته وسيدُخِلونها في الأشياء المخلوقة.

[الحجة على أنَّ القرآن شيء لا كالأشياء المخلوقة]

فقال بشر: يا أميرَ المؤمنين قد أقر عبد العزيز أنه شيء، وادَّعى أنه ليس كالأشياء، فليأتِ بنص التنزيل -كما أخذ عليَّ وعلى نفسه- أنه ليس كالأشياء، وإلاّ فقد بطل ما ادعاه وصح قولي «إنه مخلوق» إذ كنا جميعًا أجمَعْنا واتفقنا أنه شيء، وقلتُ أنا «إنه شيء كالأشياء، وداخل في الأشياء» وقال هو: «ليس هو شيء كالأشياء، ولا داخل في الأشياء» فليأت بنص التنزيل على ما ادعاه، وإلا فقد ثبتت الحجة عليه بخلقه، إذ كان الله تعالى أخبرنا بنص التنزيل أذنه خالق كل شيء.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: هذا يلزمك يا عبد العزيز.

وجعل محمد بن الجهم وغيره يصيحون يقولون: ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل، وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه وجعل يقول: أقر واللهِ -يا أمير- المؤمنين بخلق القرآن.

فأمسكت فلم أتكلم حتى قال لي المأمون: مالك لا تتكلم يا عبد العزيز؟

فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أي شيء هو؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبني ولست أتكلم في هذا المجلس ويتكلم فيه غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه.

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره؛ فأمسَكوا.

فقال المأمون: تكلم يا عبد العزيز فليس يعارضك أحد غير بِشرٍ.

فقلت: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾[النحل: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥ إِذَا أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ [يس: ٨٢].

فدل عز وجل بهذه الأخبار كلِّها وأشباهٍ لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارجٌ عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بأمره وقوله، ثم ذكر خلق الأشياءِ كلِّها فلم يَدَعْ منها شيئًا إلا ذَكَرَه، وأخرج كلامَه وقولَه وأمرَه منها ليدُل على أن كلامه غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٣﴾ [الأعراف: ٥٤].

فجمع في هذه اللفظة الخلقَ كلَّه، ثم قال: والأمر، يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق عز وجل بين خلقه وبين أمره، فجعل الخلق خلقًا والأمرَ أمرًا، وجعل هذا غير هذا، وهذا غير هذا، فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠] يقول إذا أردت شيئا فإنما هو كلمح البصر يقول له كن مثلما أُرِيدُ فيكونُ كلمح بالبصر.

وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ [الروم: ٤] يقول: من قبل الخلق ومن بعد الخلق، ثم جمع عز وجل بين الأشياء المخلوقة في آيات

كثيرة من كتابه، وأخبر عن خلقهما بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها فقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [العنكبوت: ٤٤].

وقال عز وجل: ﴿حمٓ ۚ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأحقاف: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٦﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ [الروم: ٨].

وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢٢].

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: يجزيك بعض هذا فاختصر.

فقلت: يا أمير المؤمنين، فقد أخبَرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ عن خلقِ السماوات والأرض وما بينهما، فلم يَدَعْ شيئا من الخَلقِ إلا ذكره، وأخبر عن خلقه، وأنه إنما خلقه بالحق، وأن الحق قولُه وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وخارج عن الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غيرُ الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء وإنما به تكون الأشياء.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء، فأكذب نفسه، ونَقَضَ قولَه ورجع عمَّا ادعاه مِن حيثُ لا يدري، وأميرُ المؤمنين -أطال الله بقاه- الشاهدُ عليه وهو الحاكمُ بيننا.

قال عبد العزيز: فأقبَلَ عليَّ المأمونُ فقال: يا عبد العزيز قد قال بشر كلاما قد قلته وتحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضا.

وجعل بشرٌ يصيح ويقول: لو تركناه يتكلم لجاءنا بألف لون مما خَلَقَ اللهُ عز وجل بها الأشياء.

فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- ذهبت الحُجَجُ وانقطع الكلامُ، ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج إلى الباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاصَ من الله عز وجل.

قال: فصاح المأمون: يا بشر أقبِل على صاحبِك واسمع منه، ودع هذا الضجيج.

وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم. قال عبد العزيز: ثم أقبَل عليَّ المأمون وقال: تكلم يا عبد العزيز.

فقلت: يا بشر زعمتَ أني قد أتيتُ بأشياءَ متبايناتٍ متفرقاتٍ، فزعمتُ أن اللهَ خلق بها الأشياء؛ فما قلتُ إلا ما قال الله عز وجل في كتابه، وما جئتُ بشيء غير كلام الله ولا قلت ولا أقول. إن الله خلق الأشياء، ولا يخلقها إلا بكلامه.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، أليس قد قال إنه خلق الأشياء بقوله وبأمره، وبكلامه، وبالحق.

فقال لي المأمون: بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ هذا، وما قلته إلا على صحته، ولا خرجتُ عن كتاب الله عز وجل، ولا قلتُ إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرتُ إلا بما أخبرَ اللهُ عز وجل به، مِمَّا يوافق بعضُه بعضًا، ويصَدِّقُ بعضُه بعضًا، وكلُّ ما ذَكَرَ اللهُ عز وجل أنه خلقَ ويخلُق به الأشياءَ فهو شيءٌ واحدٌ له أسماءٌ، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماءٌ شَتَّى لشيءٍ واحد، كما سمى كلامَه نورًا وهدىً، وشفاءً، ورحمةً، وقرَانًا، وفرقانًا، فهذا مثلُ ذلك، وذلك مثل هذا، وإنما أجرى الله تعالى مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه مِن ذاتِه، فسمَّى كلامَه بأسماءٍ كثيرة، وهي شيء واحد، كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحدٌ أحد فردٌ صمدٌ، وإنما يُنكِر بشرٌ هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وزعم أنه لا يقبل إلا نصَّ التنزيل، فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرِها؟ لستُ أقبلُ منه إلا نصَّ التنزيل بما قال أن كلام الله هو قولُه، وهو أمره، وهو الحق.

فقال لي المأمون: ذلك يلزمُك يا عبدَ العزيز لِمَا عقدت على نفسك من الشرط.

فقلت: صدقتَ يا أمير المؤمنين، إن ذلك يلزمني وعليَّ أن آتي به من نص التنزيل.

قال: هاته.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامَه فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. يعني حتى يسمع القرَان، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عَنى القرَان، لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك.

وقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا

كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾[الفتح: ١٥] فسمى اللهُ القرَان كلامَه، وسماهُ قولَه.

وأخبر أن قولَه هو كلامُه بقولِه عزَّ مَن قائل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ٩١] فهذا خبر الله عن القرَان أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٧﴾ [الأنعام: ٦٦].

فأخبر عن القرَان أنه الحق، وقال عز وجل: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾ [يونس: ٩٤] فهذا خبر اللهِ عن القرَان أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧] فهذا خبر الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد: ١].

وقال عز وجل: ﴿الٓمٓ ۚ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال عز جل: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: ٥٣] فهذه كلها ومثلها في القرآن كثير أخبارُ اللهِ عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق.

ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله هو الحق، فقال عز وجل:

﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب: ٤] فهذا خبر الله عن قوله أنه الحق وأن الحق قوله.

وقال عز وجل: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣].

وقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: ٢٣] فهذه أخبار الله كلُّها عن الحق أنه قوله وأن قوله هو الحق، ومثلُ هذا في القرَان كثير.

ثم ذكر أن الحق كلامُه وأن كلامَه الحقُّ، فقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٣﴾ [يونس: ٣٣] فأخبر عن كلام الله أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: ٨٢] فأخبر عن الحق أنه كلامُه وأن كلامَه هو الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٧١] فهذا إخبار الله عز وجل عن الحق أنه كلامه وأن كلامَه هو الحق.

ثم ذكر عز وجل أن القرَان أمرُه، وهو كلامُه فقال عز وجل: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٢ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٣ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٤﴾ [الدخان: ١-٥] يعني القرَان، فأخبر الله أن القرَان أمرُه، وأن أمرَه القرَان.

وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الطلاق: ٥] يعني القرَان، فهذا خبر الله تعالى أن القرَان أمره وأن أمره القرَان، فهذا إخبار الله تعالى وقوله وتعليمه لخلقه في كتابه أن القرَان كلامه وأنه الحق، وأن الحق كلامه وأن الحق قوله وأن القرَان أمره، وأن أمره القُرَان، وأن هذه أسماء شتى لشيء واحد وهو الشيء الذي خلق الله به الأشياء وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء وغير داخل في الأشياء، وهو غير الأشياء وبه تكون الأشياء وهو كلامه وهو قوله وهو أمره وهو الحق، فهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

فقال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- إنه يحب أن يخطُب ويهذي بما لا أعقِلُه، ولا أسمعُه، ولا ألتفِتُ إليه، ولا أتى بحُجة، ولا أقبلُ من هذا شيئًا.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- من لا يعقل عن الله ما خاطب به نبيه ﷺ وما علَّمَه لعبادِه المؤمنين في كتابه، ولا يعلمُ ما أراد اللهُ بكلامِه وقوله؛ يدعي العلم ويحتج بالمقالات والمذاهب ويدعو الناس إلى البدع والضلالات؟

[لا يستوي السنّيُّ والجهميُّ]

فقال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، أنت تنزع بآيات من القرآن لا تعلمُ تفسيرَها ولا تأويلَها، وأنا أَرُدُّ ذلك وأدفعُه حتى تأتيَ بشيءٍ أفهمُه وأعقِلُه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد سمعتَ كلامَ بشرٍ وتسويتَه فيما بيني وبينه، ولقد فرَّقَ اللهُ فيما بيني وبينه، وأخبر أنَّا على غير السَّواءِ، وكذَبه في دعواه.

فقال المأمون: وأين ذلك لك من كتاب الله عز وجل؟

قلت: قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩] فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه ﷺ هو الحق، وأومن به، وبشرٌ يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا هو مما يقوم لي

به عليه حجة.

[مبحث الاستثناء والتخصيص]

فلم يقل كما قال الله عز وجل، ولا كما علم نبيه ﷺ أن يقوله، ولا كما قال موسى ﷺ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقَل عن الله وعن قوله وما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه ممن انتزعه بين يديه، وأظهر قبولَه والرضاء بقوله.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال الله بنص التنزيل إنه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وهذه لفظةٌ لم تَدَعْ شيئا إلا أدخلَته في الخَلقِ ولا يخرُج عنها شيء يُنسب إلى الشيء لأنها لفظة قد استقصت الأشياء كلَّها وأتت عليها مِمَّا ذكرها الله تعالى ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقًا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين عليَّ أن أكسِرَ قوله وأكذبه

فيما قال بنص التنزيل وأدحض حجته حتى يرجِعَ عن قوله، ويقفَ أميرُ المؤمنينَ على كسر قوله وكذبه وبطلان ما ادعاه.

فقال: هات يا عبد العزيز ما عندك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] يعني الريحَ التي أُرسلَت على قوم عاد، فهل أبقت الريحُ يا بشرُ شيئا لم تدمره؟

قال: لا لم تبقِ شيئًا إلا دمرته، فقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى، لأنه لم يَبق شيءٌ إلا وقد دخل في هذه اللفظة.

فقلتُ: قد واللهِ أكذَبَ اللهُ من قال هذا القول بقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا تَرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنُهم أشياءُ كثيرةٌ.

وقال عز وجل: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [الذاريات: ٤٢] وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم تُصَيِّر شيئًا منها كالرميم.

وقال عز وجل: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ٢٣] يعني بلقيس،

وكأن بقولك -يا بشرُ- يجب أن لا يبقى شيءٌ يقع عليه اسم الشيءِ إلا دَخَلَ في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي مُلكُ سليمان ﷺ وهو مائة ألف ضعفٍ مما أوتِيَتهُ بلقيس لم يدخل في هذه اللفظة. فهذا كله مما يكسر قولَكَ ويدحَضُ حُجتك، ومِثلُ هذا في القُرَان كثيرٌ مما يُبطِل قولَك، ولكني أبدأ بما هو أشنَعُ وأظهرُ فضيحةً لمذهبِك وأدفَعُ لبدعتك، قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال الله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال عز وجل: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

[عدم إقرار الجهميَّة بأنَّ لله علمًا]

وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ١١]

فأخبَرنا الله أخبارًا كثيرة في كتابه، أن له علمًا، أفتُقِرُّ يا بشرُ أن لله عِلمًا كما أخبرنا أو تخالف التنزيل؟

قال عبد العزيز: فحادَ بشرٌ عن جوابي وأبى أن يُصَرح بالكفر فيقول: «ليس لله عليم» فيكون قد رد نص التنزيل فتُبيَّنُ ضلالتُه وكفره، وأبى أن يقول: «إن لله علما» فأسأله عن علم الله، هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وعلم ما أريد به، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال حجته، فاجتلب كلاما لم أسأله عنه.

فقال: معنى علمه إنه لا يجهل.

فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين لا يكونُ الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليُقِرَّ بِشرٌ أن لله علمًا كما أخبرنا في كتابه، فإن سألتُه ما معنى العِلمِ-وهذا مما لا أسأله عنه- فليخبرني أن الله لا يَجهَل، وقد حاد بشرٌ يا أمير المؤمنين عن جوابي.

فقال بشر: وهل تعرف الحَيْدَة؟

قلت: نعم، إني لأعرف الحَيْدَةَ في كتاب الله تعالى، وهي سبيلُ الكُفَّارِ التي اتبعتَها.

فقال لي المأمون: يا عبد العزيز هل تجدُ الحَيدة في كتاب الله تعالى؟

قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، وفي سُنَّةِ المُسلمين، وفي لغة العرب.

فقال: وأينَ هي في كتاب الله تعالى.

فقلت له: قال الله عز وجل في قصة إبراهيم الخليل ﷺ حين قال لقومه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣] وإنما قال لهم إبراهيم عليه السلام هذا ليكذبهم ويَعيبَ آلهتهم ويسفهَ أحلامَهم، فعرفوا ما أراد بهم، وأنهم بين أمرين:

إما أن يقولوا: «نعم يسمعونا حين ندعو وينفعونا ويضرونا» فيشهد عليهم بلُغَة قومهم أنهم قد كَذَبُوا.

أو يقولوا: «لا يسمعونا حين ندعو، ولا ينفعونا ولا يضرونا» فينفوا عن آلهتهم القدرة.

وعلموا أن الحجة لإبراهيم عليه السلام -في أيِّ القولين أجابوه- عليهم قائمة، فحادُوا عن كلامِه واجتلبوا كلاما مِن غيرِ ما سألَهُم عنه فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٧٤] ولم يكن هذا جوابا لمسألة إبراهيم عليه السلام.

يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي

سفيان وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقأ شحمًا، فقال: «يا معاوية ما هذه الشحمة لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم،» فقال له معاوية: «يا أمير المؤمنين رحمك الله علمني وفهمني» ولم يكن هذا جوابا لقول عمر، إنما حاد عن جوابه لعلمِه بما فيه، فاجتلب كلاما غيره فأجاب به.

وأما الحيدةُ في لغة العرب فقول امرئ القيس:

تقول وقد مال الغَبيطُ[1] بنا معاً   عقرتَ بعيري يا امرَأ القيسِ فانزِلِ

فقلتُ لها سيري وأرخي زِمَامَه   ولا تبعديني من جناك المعلل[٢]

ولم يكن هذا جوابا لكلامها، وإنما حاد عن جوابها واجتلب كلاما غيره.

قال: فأقبل المأمون على بشرٍ فقال له: يأبى عليك عبدُ العزيز إلا أن تقر أن لله علمًا فأجبه ولا تحد عن جوابه.

فقال بشر: قد أجبته أن معنى العلم: أن لا يجهل، وهذا جوابُه ولكنه

---

(١) الرَّحْلُ، وهو للنساء يُشَدُّ عليه الهوْدَج [لسان العرب].

[٢]معلقة امرئ القيس.

يتعنت.

قال عبد العزيز: فقلتُ يا أميرَ المؤمنين، صدق أنَّ الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي إياه على هذا، إنما سألته أن يقر بالعلم الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه وأثبته لنفسه، ولم أسأله عن الجهل فينفي الجهل عن الله عز وجل، فليُقِرَّ أن لله علمًا، وليَقلْ إن الله لا يجهل.

قال عبد العزيز: ثم التفتُّ إلى بشر فقلت: لا بد من أن تقول: «إنَّ لله علمًا» كما أخبر، أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حَيْدَتِكَ عن جوابي.

فجعل يقول: يا أميرَ المؤمنين، إن نفيَ الجهلِ عنه هو جوابُه وهو الذي عناهُ اللهُ تعالى في كتابِه، وهو والذي يُطالِبُني به واحد، إلا أن اللفظتينِ مختلفتان.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ إن نفيَ السُّوء لا يثبُتُ به المدح، وإن إثبات المِدحة تنفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل.

قال بشر: وكيفَ ذلك؟

قلتُ: إن قولي: «هذه الأسطوانة لا تجهل» ليس هو إثباتُ العلمَ لها.

قال عبد العزيز: ثم أقبلتُ على المأمونِ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين إنه لم يمدحِ اللهُ في كتابه ملَكا مقربًا ولا نبيًا مُرسَلًا ولا مؤمنًا تقيًّا بنفي الجهلِ ليَدُلَّ على إثبات العِلم، وإنما مدحهم بالعِلم فقال عز وجل: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١١-١٢] ولم يقل «لا يجهلون ما يعملون».

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ [التوبة: ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨] ولم يقل «الذين لا يجهلون».

فهذا قول الله تعالى ومِدحتُه للملائكة وللنبي ﷺ وللمؤمنين، فمن أثبتَ العلمَ؛ نفى الجهلَ، ومن نفى الجهل؛ أيُثبِتُ العلم؟

وعلى الخلق جميعا أن يثبتوا ما أثبتَ الله عز وجل، وينفوا ما نفى الله عز وجل، ويمسكوا عما أمسك الله عز وجل، فما اختارَ بشرٌ- يا أمير المؤمنين- مِن حيثُ اختار اللهُ لنفسه، ولا من حيثُ اختار للملائكة، ولا من حيث اختار لنبيه ﷺ، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين، فمن أجهلُ ممن اختارَ لنفسه غيرَ ما اختار الله لنفسه ولملائكته ولأنبيائه

ولعباده المؤمنين.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فإذا قال بشر: «إن لله علما» وأقر بذلك فيكون ماذا؟

قلت: اسأله يا أمير المؤمنين عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام ١٠٢] وزعم أنه لم يَبقَ شيءٌ إلا وقد أتى عليه هذا الخبر، فإن قال: «نعم، فقد دخل في الأشياء المخلوقة» فقد شبَّه اللهَ يا أمير المؤمنين بخلقه الذين أخرجهم من بطون أُمهاتهم لا يعلمون شيئا، وكل من تقدم وجوده قبل علمِه؛ فقد دخل عليه الجهلُ فيما بينَ وجودِه إلى حدوثِ علمِه، وهذه صفةُ المَخلوقين، والله عز وجل أعظم وأجل من أن يوصفَ بذلك أو يُنسبَ إليه، ومَن قال ذلك؛ فقد كفر وحلَّ دمُه ووجب على أمير المؤمنين قتلُه.

وإن قال: «إن علم الله خارجٌ عن جملة الأشياء وغيرُ داخل فيها كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها» فمِن ثَمَّ تَرَك قولَه وانقَض مذهبه، وثبَتَتْ عليه الحُجَّةُ فيها.

فقال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز، وإنما فَرَّ بشرٌ أن يُجيبَك في هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقالَ: يا عبدَ العزيز، أتقولُ «إن الله عالم»؟

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: أفتقول: «إنه سميع بصير»؟

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فتقول «إن له سمعا وبصرا» كما قلتَ «إن له علمًا»؟

فقلت: لا أُطلِقُ هذا يا أمير المؤمنين.

فقال: أفرقٌ بين هذين؟

فأقبل بشر يقول: يا أمير المؤمنين يا أفقَهَ الناس، ويا أعلمَ الناس، يقول الله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قدَّمتُ إليك فيما احتججتُ به أن على الناس كلِّهم جميعًا أن يُثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عز وجل أن له علما بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤] فقلت إن له علما كما

قال، وأخبرنا أنه سميع بصير بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة غافر: ٢٠] فقلت: إنه سميع بصير كما قال، ولم يخبرنا أن له سمعًا وبصرًا، فقلتُ كما قال، وأمسكتُ عند إمساكِه.(١)

فأقبَلَ عليهم المأمون فقال: ما هو مُشَبِّهٌ فلا تكذِبُوا عليه.

فقال بشر: قد زعمتَ أن لله علمًا، فأي شيء هو علم الله؟ ومعنى

---

(١) أهل السنة يقولون إن لله تعالى سمعًا، ولله تعالى بصرًا، قال عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ ت٢١٣هـ: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ» سنن أبي داود (٤٦٥٠) وكانوا ينسبون للجهمية نفي ان يكون لله تعالى سمع وبصر، انظر: نقض المريسي ج١ص٣١٠] و[الابانة الصغرى لابن بطة ص١٢٢]

والسمع مأثور، وذلك في قول عائشة رضي الله عنها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ **سَمْعُهُ** الْأَصْوَاتَ» رواه أحمد (٢٤١٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم» والبصر منصوص عليه في قوله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ **بَصَرُهُ** مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم (١٧٩)

ولهذا فنقول في كلام عبد العزيز: أولا: هو لم يصرِّح بأن لله سمعا وبصرا، ولكنه لم ينف ذلك كما فعلت الجهمية.

ثانيًا: لعله لم يستحضر الدليل في هذه المسألة، فقال ما قال.

علم الله؟

فقلت له: هذا مما تفرَّد اللهُ بعلمِه ومعرفته، وحجب عن الخلق جميعًا علمَه فلم يُخبِر بِه مَلَكًا مُقرَّبًا ولا نبيًّا مُرسَلًا ولا عَلِمَه أحدٌ قبلي، ولا يعلمُه أحد بعدي، لأن علم الله أكبرُ وأوسعُ وأعظمُ من أن يعلمَه أحد من خلقِه، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] أتدري يا بشر ما معنى هذا؟

قال: وأي شيء هذا مما نحن فيه؟

فقال المأمون: قل يا عبد العزيز أنت ما معنى هذا.

قلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- يقول: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يُكتَبُ بها، والبحرُ مِدادٌ، يمده من بعده سبعة أبحر بالمِداد، والخلائق كلُّهُم يكتبون بهذه الأقلام مِن هذا الشَّجَر؛ ما نفِدَت كلمات الله، فمَن يبلغ عقله أو فهمُه أو فكرُه كُنهَ عظمةِ اللهِ وسِعَةِ علمه وكثرَة كلماتِه.

وقال عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] فمن يحدُّ هذا أو يصفُه أو يدَّعي علمَه؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك واعترفوا بالعجز ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وسئل ﷺ عن علم الساعة فقال: «علمها عند ربي في خمس لا

يعلمها إلا هو» وتلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٤]"[١] فأخبر أن هذه الخمس مما تفرد الله بعلمه، فلا يعلمها، فإذا كان النبي ﷺ لا يعلمها، ولا يعلم إلا ما علَّمه، أيجوز لأمته أن يتكلف علمه أو يدعي معرفته.

فقال بشرٌ: لا بد أن تقول أي شيء هو علم الله، أو يقفَ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاه- على أنك حِدتَ عن الجواب فأكون أنا وأنتَ في الحيدة سواء.

فقلتُ: إنك تأمرُني بما نهاني اللهُ عنه وحرَّمَ عليَّ القولَ به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي الله وأرتكب نهيه وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إذ كنتما قد أمرتماني بمعصية الله وارتكاب نهيه.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم أمير المؤمنين من كلامي فقال: يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه وحرم عليك القول به، وأمرك بما أمرك به الشيطان؟

---

[١] أصله في صحيح البخاري (١٠٣٩) ورواه أحمد بلفظ قريب من هذا (٤٧٦٦)

فقلتُ: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: ومن أين لك ذلك؟

قلت: من كتاب الله عز وجل، وكلامه بنص التنزيل.

قال: هاتِه.

قلت: قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. فحرم الله على الخلق جميعا بهذا الخبر أن يقولوا على الله مالا يعلمون. وأمرهم الشيطانُ بضد ذلك، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٦﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩] وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول ما لا نعلم، وقد اتبع بشرٌ -يا أمير المؤمنين- سبيل الشيطان ووافقه على قوله، وأمَرني بما أمرني به الشَّيطان من ارتكاب نهي الله وتحريمِه حين قال: «لا بد أن تقول أي شيء علم الله» وقد أعلمتُه أني لا أعلمُه، ولا علِمَه أحدٌ قبلي، ولا يعلمْه أحدٌ بعدي.

قال عبد العزيز: فكثر تبسم المأمون حتى غطى فمه بيده وأطرق ينكت بيده على السرير.

فقال لي بشرٌ: لو وَرَد عليك اثنان وقد تنازعا في عِلمِ اللهِ عزَّ وجل،

فحلفَ أحدُهما بالطلاق أن علم الله هو الله.
وحلف الآخر بالطلاق أن علم الله غير الله.

فقالا لك: «أفتنا في أيماننا» فما كان جوابك لهما؟

قلت: الإمساكُ عنهُما وتركُهُما وجهلَهُما وصرفهُما بغَيرِ جوابٍ.

قال بشر: يلزَمُك ويَجِبُ عليك إذ كنت تدَّعي العلم أن تجيبهما عن مسألتهما وأن تخرجهما من أيمانِهما وإلاّ فأنت وهُما في الجهل سواء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشرٍ: وَيَجبُ عليَّ أن أجيب كلَّ من سألني عن مسألة لا أجدُ لها في كتابِ اللهِ ولا في سنة نبي الله محمد ﷺ ذكرًا ولا عِلمًا؟ فهذه ليس لها في كتاب الله تعالى أصلًا ولا في سنة رسول الله ﷺ ذكرًا ولا علمًا، قد جَهِلَ السائلُ فيها، وحمُق الحالِفُ عليها.

قال بشر: يجبُ عليكَ أن تُجيبَه عن مسألته، فإنه لا بد لكل مسألة من جواب.

قال عبد العزيز: فقلت: هذا جهلٌ من قائِلِه.

قال عبد العزيز: ثم أقبلتُ على المأمونِ فقلت: يا أمير المؤمنين، قد سمعتَ ما قال بشر أنه يجب عليَّ جوابُ كلِّ من سألني عن مسألة، وفُتياه وإخراجه من يمينه بما لا أجده في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ.

فلو وَرَدَ عليَّ يا أميرَ المؤمنين ثلاثةُ نَفَرٍ قد تنازعوا في الكَواكَب التي أخبر الله عز وجل أن إبراهيم الخليل ﷺ رأى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٧﴾[الأنعام: ٧٦] فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إنه المريخ، وقال الآخر إنه المشتري، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها الزُّهرَة، فأفتنا في أيماننا وأجبنا في مسألتنا؛ كان عليَّ أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم، وذلك مما لم يخبرنا الله عز وجل به ولا رسوله؟

فقال المأمون: ما ذلك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

قال عبد العزيز: فقلت له: فلو ورد علي يا أمير المؤمنين ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام التي أخبر الله عنها في كتابه بقوله: ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] قال أحدهم: حلفت بالطلاق إن هذه الأقلام من خشبٍ، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها من نُحاسٌ،

وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها من الرَّصاص، فأجبنا عن مسألتنا، وأفتنا عن أيماننا، وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، أكان في يا أمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم؟ فقال المأمون: لا، ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، فلو ورد علي ثلاثة نفر وقد تنازعوا في المؤذن الذي يؤذن بين الجنة والنار الذي أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤] فقال أحدهم: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الملائكة» وقال الآخر: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الإنس» وقال الآخر: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الجن» فأجبنا عن مسألتنا وافتنا في أيماننا، وذلك مما لا أجده في كتاب الله عز وجل ولا في سنة نبيه ﷺ، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله كان علي يا أمير المؤمنين أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم؟

فقال المأمون لا ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين لا يجوز لي ولا لغيري أن يقضي بينهم ولا يفتيهم إلا أن يكون الله قد أخبر عن ذلك في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، وإذا لم يجز -وهذا خَلقٌ مِن خلقِ الله- فكيف يجوز

الجواب عن علم الله، وهو مما لا يوجد في كتابه ولا في سنة نبيه، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله، وقد أكذب الله بشرا على لسان أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- فيما ادَّعاه من وجوب الجواب عليَّ، وفتوى من جَهلَ في مسألته وحَمُقَ في يمينِه.

فقال: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز.

فقال بشر: واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقول إن لله علما فلم أجبه، وسألته عن معنى علم الله فلم يجبني فقد استوينا في الحَيدة عن الجواب، ونخرج عن هذه المسألة إلى غيرها، وندعها على غير حجة تثبت لأحدنا على صاحبه فيها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- إن بشرا قد أُفحِمَ وانقطع عن الجواب، ودُحضت حجتُه وبقي بلا حجة يقيمها لهذا المذهب الذي كان يدعو الناس إليه، فلجأ إلى أن يسألني مسألة محالٌ يتحرَّى بها مني ليقول: «سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها» وقد قال ذلك، وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبر الله به وشهِدَ به لنفسه وشهدَت له به الملائكة، بقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء:

[١٦٦] فأخبرنا الله تعالى عن علمه وشهد به لنفسه وشهدت له به الملائكة وتعبَّد اللهُ عز وجل نبيَّه ﷺ وسائر الخلق بالإيمان به بقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥] فوجب على نبيه ﷺ وعلى الخلق جميعا الإيمانُ بما أنزل الله من كتاب، وبشرٌ -يا أمير المؤمنين- يأبى أن يؤمنَ بذلك أو يقرَّ به أو يصدقَ به. وسألني بشرٌ عن مسألةٍ سَتَرَ اللهُ علمَها عن ملائكته ورسله وأهلِ وَلايته جميعًا، وعني، وعن بِشرٍ، وعن سائر الخلق جميعًا، مِمَّن مضى وممن هو آت إلى يوم القيامة فلم يَعلَمها أحدٌ قبلَنا ولا يعلمُها أحدٌ بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألته، وإنما يَدخُل النقضُ عليَّ يا أمير المؤمنين لو كان بشرٌ يعلم ما سألني عنه أو غيرُه من العلماء، وكنتُ أنا لا أعلَمُه، فأما إذا اجتمعنا جميعا أنا وبشر وسائرُ الخلقِ في جهل مسألة وقلةِ العلم بها، فليسَ الضَّرَرُ دَاخِلا عليَّ دُونَه، وهذه مسألة لا يحل لأحد أن يسألَ عنها، ولا يَحِلُّ لأحدٍ أن يجيب فيها لأن الله حرَّمَ ذلك عليهم.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: أنتما في مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك في هذه المسألة يا عبد العزيز وَبَان ووضح، وظهرت حُجتك على بشر فيها.

قال عبد العزيز: ورأيتُ بِشرًا قد حَار وانقطع وضجَّ مِما في يدَيَّ،

واستبان الحق ووضَح لأمير المؤمنين ولسائر من بحضرته.

[عودة إلى مبحث الخصوص والعموم]

فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، أرجعُ إلى أول المسألة، وادَعُ ذكر العلم[١] فأكسرُ قولَ بشرٍ وافضحُ مذهبه وأبطل قوله واحتجاجه.

فقال لي المأمون: قد أصبت يا عبد العزيز بتركك الكلامَ فيما قد قَطَع المجلسَ من غير أن يرجع إليك عن مسألتك فيه جواب، وقد وقفنا من قولك على ما يَلزَم بشرًا في هذه المسألة لو أجابك عن مسألتك، فهاتِ ما عندك من غير هذا.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ-أطال الله بقاك- يجب على كل من اكتال بمكيال أن يوفي به؟

قال: ذلك يلزمه.

فقلت: يا بشرُ، ألستَ تزعُم أن قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لفظةٌ لا يخرِجُ عنها شيءٌ، لأن «كل» كلمة تجمع الأشياء ولا تَدَعُ شيئًا يخرُجُ عنها،

---

(١) أي الكلام في علم الله.

وكل شيء داخل فيها؟

فقال بشر: هكذا قلتُ وهكذا أقولُ، وهكذا هو عند الخَلقِ، ولستُ أرجِعُ عنه بكثرة خُطَبِكَ وهَذَيانِك.

فقلت: أميرُ المؤمنينَ شاهدٌ عليك بهذا.

قال عبد العزيز: ثم قلت له: يا بِشرُ، قال الله عز وجل: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾ [طه: ٤١].

وقال عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران ٣٠].

وقال جل ذكره: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ إِنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٥﴾ [الأنعام: 54].

وقال له عيسى عليه السلام: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦] فقد أخبَرَ اللهُ عز وجل في مواطن كثيرة من كتابه أن لله نفسًا، أفَتُقِرُّ يا بشرُ أن لله نفسًا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها؟

قال: نعم.

فقلت له: قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران ١٨٥] أفتقولُ أنَّ نفسَ رب العالمين داخلةٌ في هذه النُّفوسِ التي تذوق الموت؟

فصاح المأمون بأعلى صوته -وكان جَوهري[١] الصوتِ-: معاذ الله، معاذ الله، معاذ الله.

فقلت أنا -ورفعت صوتي-: معاذ الله معاذَ الله أن يكونَ كلامُ اللهِ داخلا في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسَه ليسَت بداخلَةٍ في الأنفاس المَيِّتَه، وكلامُه خارج عن الأشياء المخلوقة كما أن نفسه خارجةٌ عن الأنفس الميتة.

قال بشر: يا أمير المؤمنين قد سألني فليَسمع كلامي، ولْيدعِ الصياح والضجيج.

فقال له: تكلم بما شئت.

قال: إن كانت «نفس» ضميرًا وتَوَهُّمًا، فهي خارجةٌ وليست بداخلةٍ في هذه النفوس.

---

[١] يجب أن تكون: جهوَري، بمعنى مرتفع.

فقلت له: كم ألقي إليك أني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما سُتر عني، وإنما قلتُ إن لله نفسا كما أخبرنا، وقد أقررتَ بذلك، فلْتكن عندك على أي معنى شئت، وقُل هي داخلةٌ في هذه النفوس أم لا، وَدَعْ عنا كلام الخَطَرات والوساوس.

فقال لي: أنت رجل مُتَعَنِّتٌ تجابُ عن مسألتك فتطلبُ غيرها، وليس عندي جواب غير هذا.

وانقطع.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كسرتُ قولَه في هذه المسألة بالقول الأول والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بقولِه، ودحضت حجته بحجته، وبَطَل ما كان يدعو إليه من بِدعتِه وضلالته، وبان لأمير المؤمنين فضيحةُ مذهبِه وفُحشُ قولِه.

ثم أقبل عليَّ المأمون فقال لي: يا عبد العزيز قد وضَحَتْ حُجَّتُك، وبان قولُك، وانكسر قول بشرٍ، ونحتاج أن تشرَح هذه الأخبارَ التي في القرآن ومعانيها وما أراد الله عز وجل بها ليَسمَع من بحضرتِنا، فقد مرَّ اليوم أشياءُ كثيرةٌ يحتاج من سمِعَها إلى معرفتها وفَهمِها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل شرَّفَ

العربَ وكرَّمَهم بأن أنزل القُرَان بلسانِهم وجعلَه مكتفيا على تبيانهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾

[سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٨﴾ [سورة مريم: ٩٧] فخصَّ اللهُ عز وجلَّ العربَ بفهمِه ومعرفتِه وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره ومعاني ألفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومُبهَمِهِ، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه، ولم يجهلوه وقبلوه ولم يدفعوه، وعرفوه ولم ينكروه، إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم ولُغَاتِهِم وكلامِهم، فأنزَلَ اللهُ جل ذكره القُرَان على أربعة أخبار خاصة وعامة.

فمنها خبرٌ مخرَجُهُ مخرَجُ الخُصُوصِ ومعناه معنى الخصوص.

ومنها خبر مخرجه مخرج العُمومِ ومعناه معنى العموم.

فهذان خبران مُحكَمَان لا ينصرِفان بإلحاد مُلحد.

ومنها خبرٌ مَخرَجُه مَخرجُ العُمومِ ومعناهُ معنى الخُصوص.

ومنها خبر مخرجه مَخرجُ الخصوص ومعناه معنى العموم.

ففي هذين الخبرين -يا أمير المؤمنين- دخلتِ الشبهةُ على مَن لا يعرفُ خاص القُرَان وعامَّه.

فأما الخبرُ الذي مَخرَجُه العمومُ ومعناهُ معنى العُمومِ، فهو قول عز وجل: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍۖ﴾ [النمل: ٩١] فَجَمَعَ هذا الخبرُ الخلقَ والأمرَ، ولم يُبقِ شيئا إلا وقد أتى عليه، لأن كل شيءٍ هو له، مما هو مخلوق وغير مخلوق، فهذا خبرٌ مَخرجُه مخرجُ العموم ومعناهُ معنى العُموم.

وأما الخبرُ الذي مَخرجُه مَخرجُ الخصوص ومعناه معني الخصوص، فهو قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٨﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠] فكان مخرج الخبر لآدم عليه السلام مخرج

الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وكذلك كان مخرج الخبر لعيسى عليه السلام مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص.

ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] والناسُ اسمٌ يجمَعُ آدمَ وعيسى ومَن بينَهُما ومَن بعدَهما، فَعَقَلَ المؤمنونَ عن الله عز وجل عند نزولِ هذا الخبر أنه لم يعنِ آدمَ وعيسى عليهما السلام في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى، لأنه قد قدَّم ذلك الخبر الخاص في آدم وعيسى عليهما السلام، وكان مَخرَجُ اللفظِ عامًّا بهما وبغيرهما، ومعناه خاصًّا بالناس دونَهما.

وأما الخبَر الذي مَخرَجُه مَخرجُ الخُصوصِ ومعناه معنى العموم فهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم: ٤٩][1] فكان مَخرَجُ الخبر خاصًّا ومعناه معنى العموم.[2]

وأما الخَبَرُ الذي مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص، فهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فكان مخرج الخبر مخرج

---

(١) الشِّعرى: اسم أحد النجوم.

(٢)أي يعم كل النجوم.

العموم ومعناه معنى الخصوص، فعقل المؤمنون عن الله تعالى عند نزول هذا الخبر أنه لم يعنِ إبليسَ في من تسعُهُ الرَّحمَةُ لِمَا قَدَّمَ فيه مِن الخَبَرِ الخاصِّ قبلَ ذلك، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٥] فكانَ إبليسُ ومَن تبِعَه خارِجِينَ بهذا الخبر الخاص من رحمة الله التي وسعت كل شيء، فصار معنى ذلك الخبرِ العام خاصًا لخروج إبليسَ ومن تبِعه من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، فلمَّا أنزل اللهُ عز وجل هذه الأربعةِ الأخبارِ، خَصَّ العَرَبَ بفَهمِها ومعرفة معانيها وألفاظِها وبخصوصِها وعمومها والخِطابِ بِها، ثم لم يدَعها أشباهًا على خلقه فيجد الملحدون السبيل إلى الإلحاد في صفاته والطعن على أخباره والتشبيه على خلقه من غير العرب الذين عقَلوا عنه ما أراد بخطابه، حتى جعل فيها بيانًا ظاهرًا وعِلمًا واضحًا لا يخفى على من سمِعَه وتدبَّرَه وتفَهَّمَه من غير العرب، ممن لا يعرف الخاص، والعام، والمحكم والمُبهَم، تفضُّلًا مِنه وتكرمًا وإحسانًا إلى خلقِه وإثباتًا مِنهُ الحُجَّةَ على من ألحَدَ في كتابه وصفاته وما هو من ذاتِه.

فإذا أنزل الله تبارك وتعالى خبرا مَخرجُ لفظه خاصٌ ومعناه عامٌ، أو خبرا مخرج لفظه عام ومعناه خاص؛ لم يدعه الله إشكالًا على خلقِه حتى يجعلَ فيه أحَدَ بَيَانَين؛ إما أن يستثني من الجملة شيئا فيكونُ بيانًا للناس

جميعًا، أو يُقدِّمُ قبلَه خبرًا خاصًّا، فإذا أنزل بعده خبرًا عاما؛ لم يَتوهم أحدٌ من العلماء أنه عنى ما خصَّه في الخبر الذي قدَّمَه قبل نُزولِ العام، إذ كان قد خصه ونصه قبل ذلك.

قال عبد العزيز: فأما الخبر الذي ينزله على لفظ العموم ويَستثني من الجملة ما لم يعنه في العموم، فهو قوله عز وجل في قصة نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل حين استثنى الخمسين سنة من الألف إن الألف لم يستكملها نوح -عليه السلام- في قومه أيام الطوفان، قال: فكان ابتداءُ اللفظِ عاما بالألف سنة، ومعناهُ خاصًّا باستثناء الخمسين سنة من الألف، ومثل هذا في القُرَان كثير، ولكني اختصرت من كل خبر مسألةً واحدةً ليقف مَن بحضرة أمير المؤمنين على ذلك كما أمَر.

فأما الخبُر الذي يُنزله على مخرج العمومِ وقد قدَّم قبلَه خبرًا خاصًا، فهو قولُه عز وجلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦] فكانَ مَخرج الخبرِ باللفظِ عاما، وكان معناه خاصًا لما قدَّم قبله من الخُصوص في إبليس ومن تبعه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص: ٨٥] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣] فعَقَل المؤمنونَ عن الله تعالى أنه لم يعن

هؤلاء الذين قدَّم فيهم الأخبارَ الخاصَّة بخُروجِهِم عن الرحمة أنهم معمومون بالرحمةِ مع غيرِهم بهذا الخبر العام، وكذلك قال عز وجل في قصة لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٢] وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣] فخصَّ عزَّ وجلَّ المرأة بالهلاكِ وقدَّم فيها أخبارًا خاصة بذلك.

ثم أنزل عز وجل خبرا مَخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٤] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن امرأة لوط بالنجاة لِما قدم فيها من الأخبار الخاصة بالهلاك.

وكذلك حين قدَّم إلينا عز وجل في نفسِه خبرا خاصا أنه حي لا يموت بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ثم أنزل خبرا مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ

وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعنِ نفسَه مع هذه النفوس الميتة لِما قدم إليهم من الخبر الخاص فينفسه أنه حي لا يموت.

وكذلك حين قدم إلينا في كتابه خبرا خاصا فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠] فدل على قوله باسمٍ معرفةٍ، وعلى الشيء باسمٍ نكرةٍ، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ ولم يقل «إذا أردناهما» وقال: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ ولم يقل «أن نقول لهما» ففرق بين القول والشيء المخلوق والذي يقول له كن فيكون بالقول مخلوقا، ثم قال عز وجل: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر العام أنه لميعن كلامَه وقولَه في الأشياء المخلوقة؛ لِما قدَّم في ذلك من الخبر الخاص أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله.

وإنما غلط بشر ومن قال بقوله وهَلَكُوا وتاهوا وضلوا لجهلهم بالخاص والعام في القُرَان، وإنما شرَّف اللهُ العربَ وفضَّلها بمعرفتها بخاص القُرَان وعامه ومجمله ومبهمه.

فقال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن بشرا خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخالف إجماع أصحابِ محمد صلى لله عليه وسلم.

فقال لي المأمون: خالف بشرٌ كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله وإجماع أصحاب محمد صلى لله عليه وسلم!

قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، وأوقفك عليه الساعة.

قال: قل.

قلت: يا أمير المؤمنين إن اليهودَ ادَّعَت تحريمَ أشياءَ لَم تُحَرَّمْ عليهم في التوراة وزعموا أنها في التوراة مُحَرَّمَة، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣] فإذا أتوا بالتوراة فتُلِيَتْ عليهم فلم يجدوا ما ادعَوْه مُحَرَّمًا فيها عليهم، كان إمساكُ التوراة عند ذلك مكذبا لقولهم ومبطلا لدعواهم، وكذلك أقول لبشرٍ: أتلُ قُرانًا بما قُلتَ، وإلاّ فإنَّ إمساكَ القُرَان عما تدعيه مكذبٌ لك، مُبطلٌ لدعواك.

وكذلك ننظر في سنة الرسول ﷺ فإن كان مَعَهُ سُنَّةٌ مِن رسولِ اللهِ ﷺ بما قال، وإلاّ كان إمساكُ السنة مُكذبٌ لقوله مبطل لدعواه، وهما الأصل الذي أصلناه بيننا وأشهَدنا أميرَ المؤمنينَ -أطال الله بقاه- على

أنفُسِنَا بِهِ وشرطنا على أنفسنا إسقاطَ كلِّ ما لا نجده في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أما خلافُ أصحابِ محمدٍ ﷺ؛ فإنَّ أصحابَه اختلفوا في الحلال والحرام ومخارِجِ الأحكام، فلم يُخَطِّئ بعضُهم بعضًا، فهُم مِن أن يُكَفِّر بعضُهم بعضا أبعد. وبشرٌ -يا أمير المؤمنين- ادعى على الأمة كَلِمَةً تأوَّلها بغير عِلمٍ مِنهُ بِمَعناها وبِمَا أراد الله عز وجل بها، ولا يجد لها في كتاب الله ما يَنُصُّها ولا ما يَدُلُّ على تأويلها، ثم زعم أن من خالفه عليها كافر حلالُ الدَّمِ، فأباح دمَ الأمَّة جميعًا على ذلك، فهو خارجٌ عن إجماعِ أصحابِ محمد ﷺ.

فقال بشر: قد خَطَبْتَ وتكلمتَ وهذَيتَ وتركتُكَ حتى تفرُغ، فما ادعيت إلا بنص التنزيل، ومعي من كتاب الله آيةٌ لا يتهيأُ لك معارضُتها ولا دفعُها، ولا التشبيه فيها، ولا الخُطَبُ عليها، كما فعلتَ في غيرها، وإنما أخرتُها ليكون انقضاءُ المجلس عليها وسفكُ دمِك بها.

فقلت له: هاتِها فأنا أُشهِدُ أميرَ المؤمنينَ على نفسي أني أول من يتبعُك عليها ويقولُ بها، ويرجِعُ عن قوله، ويكذب نفسه ويتوب إلى الله إن كان معك نص التنزيل، وكل من خالف نص التنزيل فهو كافر، ووالله ثم واللهِ لو اجتمعتِ الأنس والجن على ما قلتَ أن يأتوا به لم يقدروا أن

يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

قال بشر: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

قال عبد العزيز: فقلت له: والله لا أعلم أحدا من المؤمنين إلا وهو يؤمن بهذا ويقرُّ به، ويقول: إن الله جعل القُرَان عربيًا، ولا يُخالف ذلك، فأيُّ شيءٍ في هذا من الحجة لك والدليلِ على خلقه؟

فقال بشر: وهل في الخليقة أحد يشك في هذا أو يخالفُ على أن معنى جعلناه: خلقناه؟

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين ذهب نص التنزيل الذي قال أنَّه يأتي به ورجعنا إلى معناه وتأويلِه.

فقال بشر: ما هذا تأويلٌ ولا تفسيرٌ ولا معنى، ولا هو إلا نص التنزيل.

قال عبد العزيز: فأقبلتُ على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، إن القُرَان مُنَزَّلٌ بلسانِكَ وبلسان قومِك، وأنت أفهمُ أهل الأرض بلُغة العرب ومعاني كلامها، وبِشرٌ رجل من أبناء الأعاجم يتأوَّلُ كتاب الله على غير ما عناه الله عز وجل، ويحرفه عن مواضعه ويبدل

معانيه، ويقول ما تنكره العربُ ولا تَتَعارفُه في كلامها ولُغاتِها، وأنت أعلم خلق الله بلُغة قومِك، وإنما يُكَفِّرُ بشرٌ الناس ويُبيحُ دماءَهم بتأويل القُرَان.

فجعل بشر يقول: جاء الحق وزهق الباطل، تَروحُ يا عبد العزيز إلى الكلام والخطب والاستغاثة بأمير المؤمنين -أطال الله بقاه- لينقطع المجلس، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: ٨٩].

ثم ضَرَبَ بشرٌ يده على فخذي وقال: أقبِل عليَّ فقد أتيتُ بما لا تقدِر على دفعه ولا على التشبيه فيه لينقطع المجلسُ بثباتِ الحُجَّةِ عليكَ، وإيجابِ العقوبة عليك، فإن يكن عندك شيء تتكلم به، وإلا فقد قطع اللهُ مقالَك وأدحَض حُجتك.

وجَعَلَ يصيحُ: فَرَّحناك في أول المجلس وأطمعناك حتى انبسطت في الكلام وتوهمتَ أنك قد قدرت على ما أردتَ فأين كلامك وأين احتجاجك؟ انقطع ذلك، وجاء ما يُخرِسُ اللسان ويُذهِبُ بالعَقلِ ويُحِلُّ الدمَ.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ وقال: يا عبد العزيز مالَك قد

أمسكتَ؟ أجبه إن كان عندك جواب المسألة.

فقلت: ليس يدعني يا أميرَ المؤمنين أكلمُه من ضجيجه وصياحِه، فإن أمسَك؛ تكلمتُ وأجبتُه وكسرتُ قوله بإذن الله عز وجل، وإن أراد أن يهذي ويتروَّحَ إلى قطع المجلس لم أتكلم، وكان أمير المؤمنين -أطال الله- بقاه أعلا عينا بما يراه.

فصاح به المأمونُ: أمسِك وأسمع الجوابَ منه عما سألت.

قال عبد العزيز: فأمسَك.

فقال لي المأمون: تكلَّم يا عبد العزيز بما تريد.

[معنى «جعل» وورطة المريسي]

فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- ما خفيَ عليك حرفُ واحد مما جرى اليوم في مجلسك ولنِعم الحاكمُ أنتَ جزاك الله عن رعيتك أفضل الجزاء، وبشرٌ يقول الشيء على ما يخطر بباله من غيرِ عِلم، ولا حقيقةَ لقوله، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يتحَفظ علينا ألفاظنا وما يجري بيننا في هذه المسألة ويَشهَدَ علينا بما نقول، ويطالبُ كلٌّ منا صاحبَه بإقامة الشاهد على ما يقول، من الكتاب والسنة؛ فعل.

فقال: أنا أفعل ذلك منذُ اليوم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت له: أخبِرني عن «جَعَلَ»، هذا حرفٌ مُحكَمٌ لا يحتمل غيرَ الخَلقِ؟

فقال بشر: نعم هو حرف مُحكَمٌ لا يحتَمِلُ معنى غير الخلق، وما بين «جعل» و«خلق» فرقٌ عندي ولا عندَ غيري من سائر الناس، ولا عند أحدٍ من العرب، ولا من العجم إلا هذا، ولا يتعارفُ الناسُ ولا يعقلون غير هذا من كلامهم ولغاتهم، سواءٌ عندهم قالوا: «خلق» أم: «جعل».

فقلتُ لبشرٍ: أخبرني عن نفسك ودع ذِكرَ العربِ وسائرِ الناس فأنا مِن الناس ومِن الخَلق ومِنَ العَرَبِ أخالفُك على هذا، وكذلك سائر العرب تخالفك.

فقال بشر: هذا باطل منك ودعوى تدعيها على العرب وغيرِهم، وليس يُخالف على هذا أحد من خلق الله غيرَك خوفًا على نفسِكَ مما هو نازِلٌ بك لا محَالة.

قال عبد العزيز: فقلت له: أخبِرني عن إجماع الخلق بزعمك على أنَّ «جَعَلَ» و«خلق» واحدٌ لا فرق بينهما، في هذا الحرف وحده؟ أو في سائر القُرَان من «جَعَلَ»؟

قال: بل في سائرِ القرآن، وفي سائر الكلامِ والأخبَار والأشعار.

قال عبد العزيز: فقلت: قد حفظ عليك أميرُ المؤمنين ما قُلتَ وشهِد به عليك.

فقال بشر: أنا أُعيدُ عليكَ هذا القولَ متى سألتَني عنه، ولا أُخَالِفُه، ولا أرجِعُ عنه.

قال عبد العزيز: فقلت لبشرٍ: زعمتَ أن معنى ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرَٰانًا عَرَبِيًّا﴾: خلقناه قرآنا عربيًا.

قال: نعم هكذا قلت، وهكذا أقول أبدًا.

فقلتُ له: أخبرني أَاللهُ عز وجل تفرَّدَ بخَلقِ القُرَان أو شاركه في خلقه أحدٌ غيره؟

قال: بل الله خلقه وتفرد بخلقه ولم يشاركه في خلقه أحد.

قال عبد العزيز: فقلت له: أخبرني عمَّن قالَ: «إن بعض وَلَدِ آدمَ خَلَقوا القُرَان مِن دُونِ اللهِ» أمؤمن هو أم كافر؟

فقال بشر: بل كافر حلال الدم.

فقُلتُ: وأنا أقول أيضًا هكذا، إنَّه كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

قلتُ: فأخبِرني عمَّن قال مِن أن التَّوراةَ خلقها اليهودُ مِن دُونِ اللهِ تعالى، أمؤمن هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدم.

قلتُ: وأنا أقول هكذا أيضا، فأخبرني عمن قال: إن الله قال لبني آدم لا يخلقون الله، وقال في موضع آخر «وقد خلقتم الله» أمؤمن هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدم.

قلتُ: وأنا أقول أيضا مثلَ ذلك.

فأخبرني يا بشرُ، أليس اللهُ خلق الخلقَ كلَّهُم؟

قال: بلى.

قلت: فهل شارَكه في خلقهم أحدٌ؟

قال: لا.

قلت: فمن قال إن بعضَ بني آدمَ خَلَقُوا اللهَ، أمؤمن هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدم.

قلت: وأنا هكذا أقول.

قال بشر: قد قعدتَ تمتَحِنُنِي وتُشغِلُني حتى يؤذِّنَ بالظهر وينقطَع المجلسُ رجاءَ أن تنصرفَ منه سالِمًا، وهذا مالا يكون عندَكَ جوابٌ لِمَسألَتِي، وإلا فقد انقَطَعَ الكلامُ، وأي شيء هذه الخرافات؟

قال عبد العزيز: فقلتُ يا أميرَ المُؤمنينَ ليس يُنصِفُني فأمرْهُ أن يجيبَنِي عمَّا أسأله عنه، فإن الذي بقِيَ أيسره، ثم أجِيبُه عن مسألَتِه وعن كلامِه.

فقال له المأمونُ: أجِبْه عن كلامِه وما يسألك عنه.

قال: الساعةُ يؤذَّنُ بالصلاة وينقطعُ المجلس.

فقال المأمون: نؤَخِّرُ الأذانَ بالصلاةِ إلى آخرِ الوَقتِ، فإن احتَجتُمَا إلى أن تجلسا بعد الصلاةِ لتَمامِ الكلام جلستُ لكما حتى تفرَغا.

قال عبد العزيز: ثم أقبَل عليَّ المأمونُ فقال: سله يا عبد العزيز عما تريد، ولا تَدَعْ شيئا مما تحتاجُ إليهِ إلا ذكرته فإني مُتَحَفِّظٌ عليكُما جميعَ ما يجري بينكما، وشاهِدٌ به عليكُما.

فقلت له: جزاك الله يا أمير المؤمنين عني خاصةً وعن رعيَّتِكَ عامَّةً أفضل الجزاء، فقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل، وأحسنتَ إليَّ حين رأيتَني جَزِعًا فسكَّنْتَ رَوعَتِي وآنستَ وحشتي وبسطت لِسَانِي بِحُجَّتي، وتابعتَ الحق حين ظَهَرَ لك، ووافقته ونصرت أهله، وشهِدت لي بثباتِ الحُجة، ودفعتَ أهلَ الباطل حين زهَق واضمحَلَّ وبانَت فضيحتُه، وشهِدتَ على بُطلانِه، وأنصفتَ في مجلسِكَ، وكان ذلك كلَّه منك بتوفيق الله وتأييده إياك فله الحمد والشكر على ما أبلاكَ وأبلى رعيَّتَكَ فيكَ، فجزاك اللهُ أفضل ما جزى أحدًا من الأئمة عن رعيته.

فقال لي المأمون: قد أبلغْتَ يا عبدَ العزيزِ في القَولِ والشُّكرِ ولكَ الزيادَةُ مِمَّا ابتدأناك به، فارجع إلى مسألة بشر عما تريد.

قال عبد العزيز: فأقبلتُ على بشرٍ فقلت: أخبِرني عمَّن زَعم أن بعض بني آدم خَلقوا الملائكةَ مِن دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدم.

فقلت: وأنا أقول هكذا أيضا.

قلت: أخبِرني عمن زعم أن بعضَ بني آدم خلقوا للهِ شُركاءَ، أمؤمن هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدم.

فقلت: وأنا أقول هكذا.

قلت: فأخبرني عمن زعم أنَّ بعض بني آدم خلقوا لله أندادًا، أمؤمن هو أم كافر؟

فقال: بل كافر حلال الدم.

فقلت: هكذا أقول أيضًا.

قال عبد العزيز: فأقبلتُ على المأمونِ فقُلتُ: يا أمير المؤمنين، قد أقرَّ بشرٌ أنه كافر حلال الدم، وكلُّ مَن قال بقَوله ووافقه على مذهبه.

ثم ندمت على قولي «وكل من قال بقوله ووافقه على مذهبه» وعلمتُ أني قد أخطأت،[1] فأطرق المأمونُ إطراقَ مُغضَبٍ.

ونظر إليه بشر فقال: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، يكفرنا ويحل دمانا بحضرتك وفي مجلسك بلا حجة ظهرت، وإنما شبّه ذلك ليقول هذا.

(١)لأن المأمون يقول بقوله.

قال عبد العزيز: فقلت له: شَهِدَ عليكَ أميرُ المُؤمِنينَ بما قُلت.

فقال لي المأمون: لقد افحشتَ القولَ وأعظمتَه واستشهدتني على ما لم أسمعْهُ، ولَم أشهد بِهِ على بشرٍ، ولا على أحد يقولُ بقولِه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ اسمع قولي، فإن كنتُ قلتُ حقًا كان بِشر قد أكفَرَ نفسَه ومن قال بمقالَتِهِ وأحلَّ دَمَهُ ودماءَهُم وانتزعتُ على كل حرفٍ مِن كلامي آيةً مِن كتابِ الله، وإلاّ فَدَمِي حلالٌ ولْيَأمر أميرُ المؤمنينَ بضربِ عُنُقِي في هذه الساعةَ على رؤوس الأشهاد، وإن أتيتُ على ما قلتُ ولَفَظتُ به بنص التنزيل في كل لفظةٍ وأقمتُ الشاهد على بشرٍ من كتاب الله؛ وسِعَنِي عدلُ أمير المؤمنين.

قال: فقال لي: هاتِ ما عندك ولا تُطِل الكلامَ بغير حجة.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾ [النحل: ٩١] فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن معنى ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾: وقد خلقتم الله

عليكم كفيلا، لا معنى لذلك غيره، وأنه ومن خالَفه وسائر العرب والعجم يقولون هذا[١](٢) ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد كذب في القول الأول، وصدق في قوله الثاني أن من قال هذا حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٤] فزعم بشرٌ أن معنى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تخلُقُوا الله عُرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ومن خالَفه ولا عند سائر الخلق جميعًا، غير هذا أن الله قال لبني آدم «ولا تخلقوا الله» ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وأميرُ المؤمنينَ يشهَدُ عليهِ بهذا اللفظِ، وقد كَذَبَ في قولِ: «إن معنى ولا تجعلوا ولا تخلقوا الله» وصدق في قوله، «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم» بقوله وقولي وقول الناس جميعا.

فقال المأمون: ما أقبحَ هذا وأشنعَه وأعظمَ القول به!

---

[١] في الأصول الكلام فيه زيادة غير مفهومة المعنى، فصغتها بما يوافق الكلام.

(٢) أي أن بشر ادعى الإجماع، إجماع من وافقه في خلق القرآن ومن خالفه أيضا في أن جعل معناها خلق.

فقلت: قال الله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [النحل: ٥٧] فزعم بشرٌ -يا أمير المؤمنين- أن بني آدم يخلقونَ لله البنات -سبحانه- ويخبِرُ بذلِكَ عن اللهِ عز وجل، وأنه هو قاله وشهدَ به على نفسه، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد صدق في قوله الأخير وكذب في قوله الأوَّل، ومن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

قلت: وقال عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ [إبراهيم: ٣٠] فزعم بشر -يا أمير المؤمنين- أن معنى ﴿وَجَعَلُواْ﴾: وخلقوا، ولا معنى له عنده وعند من قال بقوله غير هذا، فزعم عن الله عز وجل أنه قال «وخلقوا لله أندادا» ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فقد كذب بشر في قوله الأول، وصدق في قوله أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمَّة.

قلت: وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فزعم بشر أن معنى قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ﴾ وخلقوا لله شركاء الجن، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ومن خالفه ولا عند سائر الناس إلا هذا، فزعم بشر أن الله عز وجل أخبر أنهم يخلُقونَ له شُركاء الجن، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد

كذب في قوله «إن معنى وجعلوا وخلقوا» وصدق في قوله «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بقوله وقول الناس جميعا».

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ [الرعد: ٣٣] فزعم بشرٌ -يا أمير المؤمنين- أن معنى ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ وخلقوا لله شركاء، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله ومن خالفه ولا عند العرب والعجم إلا هذا المعنى، فزعم أن الله أخبر أنهم خَلَقُوا لهُ شُركاء، وكذب بشر -يا أمير المؤمنين- وقال الباطلَ والزور، ولقد نفى الله تعالى ذلك وأبطله، وأخبر أنه لا يعلم من هذا شيئا، وأخبرنا أنه من قال ذلك كافر حلال الدم بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ﴾ [الرعد: ٣٣] كما قال بشر ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٤﴾ [الرعد: ٣٣].

قلت: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] فزعم بشر أن معنى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ خلقا له شركاء، لا معنى له عنده، ومن قال بقوله وعند الناس

جميعا غير هذا، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فكَذب في الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

قلت: وقال عز وجل: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الرعد: ١٦] فزعم بشر أن معنى ﴿أَمْ جَعَلُواْ﴾ [الرعد: ١٦] أم خلقوا، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله وعند الناس جميعا غير هذا، وزعم أن من قال هذا كافر حلال الدم، وكذب في قوله الأول، وصدق في الآخِر أنه كافر حلال الدم كافر بإجماع الأمة.

قلت: قال عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُون﴾ [الزخرف: ١٩] فزعم بشر إن معنى قوله، ﴿وجعلوا الملائكة﴾: وخلقوا الملائكة، ثم قال: من قال به كافر حلال الدم، فقد كذب في الأول، وصدق في أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

قلت: وقال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام: ٩١] فزعم بِشر أن معنى ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ تخلقونه، يعني أن اليهود خلقت التوراة، ومعنى خلقُ التوراةِ

خلقُ كلام الله، فزعم أن اليهود خلقت كلام الله تعالى وأنه لا معنى لذلك عنده ولا عند غيره ومن قال بقوله وعند سائر العرب والعجم غير ذلك، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فكذب في الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدم.

قلت: ثم قال الله عز وجل: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩٠-٩١] فزعم بشر أن معنى قوله ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرَانَ عِضِينَ﴾ الذين خلقوا القُرَان عضين، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في قوله «إن المقتسمين خلقوا القُرَان» وصدق في قوله «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة».

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ فقال: حسبُك يا عبد العزيز، قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم، وأشهد على نفسِه بذلك وقد صدقتَ في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقِلُ ولا يعلم ما عليه في ذلك، وهذا شيء يلزمُه في نفسِه خاصة، ولا يلزم غيرَه ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم على نفسه بمِثل ما حَكم به بشر على نفسه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، إنما قد خاطبت أميرَ المؤمنين بما قد حصل في صدري، وأقر به بشرٌ واشهَدَ أميرَ المؤمنينَ على

نفسه به، وعلمتُ أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه كلَّه، ولولا ذلكَ ما اجترأتُ على ذلك.

فقال المأمون: كنت تقِصدُ بشرًا وحدَه بالكلامِ والمُخاطبة دون سائر الناس؟

قلت: لم يدَعني، جعلتُ أسألُه في خاصةِ نفسِه؛ فيقول: «هذا قولي وقولُ سائر الناس، وقول العرب والعجم» فأجبتُه على حسب كلامه، وقد صَدَقَ أميرُ المؤمنين، هذا يلزم من أقرَّ به دونَ غيره، إلا من قال بمثل قوله وأقر بمثل ما أقر به، وهذا الذي عنيت بقولي الأول حين قلت: «ومن قال بقوله ووافقه على مذهبه»

فقال: قد أحسنتَ يا عبد العزيز الانتزاع.[1]

ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال: يا عبد العزيز تكلم في بيان هذا، واذكر الجَعْلَ والخَلقَ وفرِّقْ بينهما واشرح ذلك ليقف عليه من بحضرتنا ويعرفَه.

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- ولكن إن رأيتَ أن

---

(١) أي الخروج مما قلتَ آنفا مما يلزم منه تكفير المأمون

تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياءَ في هذا المعنى مما أكسِرُ به قول بشر، وأدحَضُ به حجتَه، وأفضح به مذهبه، وأبطل به اعتقاده.

فقال: افعل ولا تُطول بنا المجلس.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنما هو شيء أُدَرِّسُه درسًا يا أمير المؤمنين.

قال: قل ما تريد، ولا تخاطب بشرًا، أقبِل عليَّ ودعه.

قلتُ: قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال تعالى في موضع آخر لنبيه كلفه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

فزعهم بشرٌ -يا أمير المؤمنين- أن اللهَ قال لنبيِّه «لا تخلُق مع اللهِ إلهًا آخرَ» فمَن أقبَحُ قولًا مِن هذا أو أفحشُ منه؟!

وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] فزعم بشرٌ أن الله قال لنبيه ولا تخلق يدك، فَزَعَمَ أن اللهَ خلقه وبعثه رسولا وليس له يَدٌ، ثم خاطبه بعد الرسالة فقال: «ولا

تخلق يدك» واللّهُ قد خَلَقَه خلقًا سَوِيًّا، وما أقبحَ هذا القول وأشنَعَه من قائله!

وقال اللّهُ في قصة موسى ﷺ وفرعون، وقول فرعون له: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٨﴾ [سورة الشعراء: ٢٩] فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وهو نبي مبعوث إليه: «لأخلقنَّك» فما أقبح هذا وأشنعه وأبيَنَ كسرَه!

وقال الله عز وجل: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور: ٦٣] فزعم بشرٌ أن الله قال لخلقه: «لا تخلقوا دعاء الرسول بينكم» ما أقبحَ هذا من قولٍ وأدحَضَه!

وقال الله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [القصص: ٧] فالله يأمُرُ بعد ولادته والرَّضاع له وأن تلقيه في اليم، وبعدها أن يَرُدَّه إليها ويجعَلَه مِن المرسلين، وبشرٌ يزعُمُ أنه وعَدَها أن يَرُدَّه إليها ويخلقَه، وهذا مالا يعقِلُه الناسُ، كيف يخلقُه وهو مَخلوقٌ.

وقال عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾ [القصص: ٥] وزعم بشرٌ أنه يريد أن يَمُنَّ على الذين استُضعِفُوا في الأرض ويخلُقَهُم، وهم مخلوقون مستضعفون في الأرض، هذا ما لا يعقِلُه العرب والعجم.

وقال الله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] فخاطَبَه بعد خلقِه وبعدَ فَهمِه، فزعم بشرٌ أنّهَ تعالى قال لداود: «إنا خلقناك خليفة في الأرض» وهذا مما لو خُوطِبَ بِه داودُ مَا عقَله.

وقال الله مخبرا عن دعاء إبراهيم وإسماعيل حين قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فأخبَرَ أنَّهما دَعَوَا ربهما وهُما مخلوقان، وزعم بشر أنهما دَعَوَا ربهما إن يخلقهما مسلمين، بعد أن كان قد خلقهما.

وقال الله عز وجل مخبِرًا عن دُعاء إبراهيمَ وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد كانت مكة مخلوقة قبل آدم عليه السلام وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخلقِها وهذا مما لا يعقِله الناس.

وقال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ

﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٣] فأخبَرَ اللهُ أنه ما جعل ذلك كلَّه، وزعم بشرٌ أن الله ما خلق البحيرةَ ولا السائبةَ ولا الوصيلةَ ولا الحامِي، وإنما خلقهما الكُفَّارُ مِن دونِ الله، ومَن قال هذا فقد كفر بالله عز وجل.

[الفرق بين الجعل والخلق، ومسألة الفصل والوصل في القرآن]

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمون فقال: حسبُك يا عبدَ العزيز، فقد ثبتت حجتك في هذه المسألة كتبيانها في المسألةِ الأُولَى، وانكسر قولُ بِشرٍ فيها، وبَطَل دَعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعتَ به واشرحه واذكر معانيه وما أراد الله به، وما هو مِنَ الجَعْلِ مخلوقٌ وما هو غيرُ مخلوقٍ، وبيانِ الأعلام والشواهدِ، وما هو مخلوقٌ، وما هو غيرُ مخلوقٍ، وما يتعامَلُ به العربُ في لُغَاتِها وما يُفَرِّقُ به بين الجَعلَين في كلامِها؛ ليسمع مَن في المجلس ذلك، فيقفوا على مذهب العرب في ذلك ومعنى ما أراده الله عز وجل بقوله في ذلك.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ﴿جَعَلَ﴾ في كتاب الله عز وجل يحتمل[١] معنيين عند العرب، معنى «خَلَقَ» ومعنى «صَيَّرَ» غيرَ خَلَقَ، فلما كانَ «خَلقَ» حرفًا مُحكَمًا لا يحتمل معنى غير الخلق ولم يكن من صناعة العِبَادِ؛ لم يتعبَّدِ اللهُ به العِبَادَ فيقول لهم: «اخلقوا» أو «لا تخلقوا» إذ كان الخَلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من شغل الخالق سبحانه وتعالى.

ولما كان «جعل» على معنى «صَيَّر» لا على معنى الخلق؛ خاطَبَ اللهُ بِه العِبادَ بالأمرِ والنهي فقال: «اجعلوا» و«لا تجعلوا» ولَمَّا كانَ جَعَلَ كلمةً تحتمل معنيين، معنى «خلق» ومعنى «صيَّر»؛ لم يَدَعِ اللهُ في ذلك اشتباهًا على خلقه ولَبسا على عباده فيُلحد الملحدون في ذلك، ويشبهون على خلقه كما فعل بشرٌ وأصحابُه، حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فرَّقَ بِه بين الجَعْلِ الذي يكونُ على معنى الخَلق، وبين الجَعْل الذي يكون على معنى التَّصيير.

فأما الجعل الذي هو على معنى الخَلقِ فإن الله عز وجل جَعَلَهُ مِن

---

(١) بالتذكير لأن ﴿جعل﴾ فعل.

القول المُفَصَّلِ وأنزل القُرَان به مُفَصَّلًا[١] وهو بَيَانٌ لقوم يفقَهون.

والقولُ المُفَصَّل يَستغنِي به السَّامِعُ إذا أُخبِرَ به قبلَ أن تُوصَلَ الكلمةُ بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة بذاتها تدل على معناها، فمن ذلك قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

فسواء عند العرب قال «وجعل» أو قال «وخلق» لأن العرب قد علمت أنه أراد بهذا الجعل: الخلق، لأنه أنزله من القول المفصل.[٢]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ [النحل: ٧٢] فعقلت العرب عنه أن معنى هذا: «وخلق لكم» إذ كان هذا قولا

(١) أي كلمة «جعل» مستقلة، كما لو قلنا «الله جعل الأرض» أي خلقها، وهذا مِن المفصل، لأن الجملة تمت بدون حاجة لإضافة، أما الموصل فهو وصل كلمة بالمجعول لا تتم الجملة إلا بها، ويتغير المعنى بدونها كما لو قلنا «الله جعل الأرض خضراء» هذا من الموصَّل، لأن كلمة السماء وصلت بها كلمة خضراء، وبدون الكلمة الموصولة يتغير معنى الجملة، فقلنا هذا موصول، وسيأتي بيان أكثر من الشيخ.

(٢) فلو كان «جعل الظلمات كثيرة» كان من الموصَّل.

مُفَصَّلًا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [سورة النحل: ٧٨] فعقَلت العربُ عنه أنه أراد بهذا الجَعلِ: الخلقَ، إذ كان من القول المفصل، وسواءٌ عندها قال «خلق» أو «جعل» لأنها قد علِمَت ما أراده وما عنى، ومثلُ هذا في القُرَان كثيرٌ جدا يا أمير المؤمنين، فهذا وما كان على مِثَالِه مِنَ القَولِ المُفَصَّل الذي يستغني المخاطَبُ بِه والسامِعُ لَه بِكُلِّ كلمة عمَّا بعدها.

وأما «جعل» الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير الخلق فإن الله عز وجل أنزله من القول المُوَصَّل الذي لا يدري المُخاطَبُ ما أراد المخاطِب حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها فيَعلم ما أرادَ بها، وإن تَرَكَهَا مُفَصَّلَةً لم يصلْها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها ولم يقف على ما عنى بها حتى يصلها بغيرها.[1]

فمِن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي

---

(١) كذلك قول الله تعالى: ﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ فقد وصل «في السماء» بكلمة «اله» ووصل «في الأرض» بكلمة «إله» فإن قيل «إن الله في الأرض» اختلف المعنى وفسد لأنها من الموصل، فلا بد من قول «الله في الأرض إله».

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] فلو قال: «إنا جعلناك» ولم يصلها بما بعدها؛ لم يعقل داود، ولا أحدٌ ممن سمع هذا الخطابَ ما أراد الله به ولا ما عنى بقوله، لأنه خاطَبَه بهذا القول وهو مخلوقٌ، فَلَمَّا وصلها بـ «خليفة في الأرض» عَقَلَ داود وكلُّ مَن سمع هذا الخطاب ما أراد الله بقوله وما عنى به.

وكذلك حين قال عز وجل لأم موسى: ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦﴾ [القصص: ٧] فلو لم يصل «جاعلوه» بـ «المرسلين» لم تعقل أم موسى ما خاطبها به ولا ما عنى بقوله، إذ كان خلق موسى عليه السلام قد تقدم ردَّه إليها، فلما وَصَلَ الكلمةَ بـ «المُرسلين»؛ عقلت أم موسى ما أراد بخطابها.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقد كان الجَبَلُ من قبل أن يتجلَّى له مخلوقًا، فَوصل الجَعْلَ بِـ«دكا»، ولو لم يَصِله لم يعقل السامع له ما أراد الله بقوله.

وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقد كانا قبلَ دعوتِهما مخلوقَيْن، فوصل ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ ولو لم يصل الكلمة وفصلها، فقال ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ﴾؛ لم يعقِل أحدٌ مِمَّن سَمِعَ ما أرادَ

بدَعوتِهِما، فلما وصلها بـ«مُسلِمَين» علم كل من سمع ذلك ما أراد بدعوتِهما.

وكذلك قول إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] فوصله بـ «ءَامِنًا» ولو لم يصله بـ «ءَامِنًا»؛ ما عقل أحد ممن سمع ذلك ما عنى بدعوته، إذ كان بلد مكة مخلوقًا قبل ذلك، فلما وَصل بـ «ءَامِنًا»، عقل السامع لذلك ما أراد إبراهيمُ عليه السلام بدعوته، ومثل هذا كثير في القُرَان جدا يا أمير المؤمنين، والذي تتعارفُه العرب وتتعاملُ به في لُغَاتِهَا وخِطَابِهَا ومعنى كلامِها ومخارجِ ألفاظِهَا وهو الذي جَرَت به سُنَّةُ اللهِ عز وجل في كتابه، إذ كان إنما أُنزِلَ بلسانها واكتُتِبَ على تِبيانها، فخاطبهم اللهُ عزَّ وجلَّ بما عَقَلوه وعرفوه ولم ينكروه ولم يكونوا يعرفون سواه، وهو القول المُوَصَّل والمُفَصَّل.

فأرجعُ أنا وبشر يا أمير المؤمنين فيما اختلفنا فيه من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وإلى سُنَّةِ اللهِ في كِتابِهِ في الجَعلَيْنِ جميعًا، وإلى سنة العرب أيضا، وما تتعارفُه وتتعاملُ به، فإن كان من القول المُوصل؛ فهو كما قلتُ أنا إن الله جعله قرآنا عربيا بأن صيره عربيا أنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيِّره أعجميا فينزله بلغة العَجَم.

وإن كانَ من القَولِ المُفَصَّلِ فهو كما قالَ بشر، ولن يجِدَ ذلك أبدًا، وإنما دخل الجهلُ على بشرٍ ومَن قال بقَوله -يا أمير المؤمنين- لأَنَّهُم ليسوا مِنَ العَرَبِ ولا عِلمَ لهم بلُغَة العرب ومعاني كلامِها، فأوَّلوا القُرَان على لغة العَجَم ومعاني كلامها التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم العجمُ بالشيء كما يجري على ألسنتها، وكلُّ كلامِهِم ينقُضُ بعضُه بعضًا، لا يتفقَّدون ذلك من أنفسِهِم، ولا ينتقدُه عليهم غيرُهم لكَثرته.

قال عبد العزيز: وسمعتُ الأصمعِيَّ، عبدَ الملكِ بنَ قريب، وسأله رجل فقال له: «أتُدغَمُ الفاءُ في اليَاءِ؟» فتبسَّم الأصمعيُّ وقبض على يدي -وكانَ صديقي- فقال لي: «أما تَسمَعُ!» ثُم أقبَلَ على السَّائِلِ وهو متعجِّب من مسألته وقوله فقال له: «تُدغَمُ الفاء في الياء في لغة إخواننا بني الأنباءِ بني ساسان، يقولون: «كَيَصْبَحْتَ»، فيدغمون الفاء في الياء، أما العرب فلا تعرف هذا».

قال عبد العزيز: فاشتد تبسمُ المأمونِ من قول الأصمعيِّ ووضع يده على فيه.

قلتُ: وهذا الذي يأتينا به بِشرٌ -يا أميرَ المُؤمنينَ- من لغُة أصحابِنَا بني الأنباءِ.

[الموصَّل والمفصَّل في القُرآن الكريم]

فقال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- يذمُّنَا ويكفِّرُنا ويقول أنا نُحَرِّفُ القرآن عن مواضعه، وهو قد وضع قدرَ القرآنَ وشأنَه وسماهُ بأنقَصِ اسمٍ وَوَصَفَهُ بأخَسِّ صِفَةٍ وأقلِّها ولقد خالَف بقولِه كتابَ الله وحرَّفَه عن مواضعه لأنَّ الله عز وجل سمَّاه كتابًا عزيزًا، وسمَّاه كريمًا، وأخبَرَ عنه أنه تامٌّ كامِلٌ بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٨] وسماه عبدُ العزيز مُوَصَّلًا ومُفَصَّلًا، فخالَفَ كتابَ اللهِ تعالى وصِفَتَه، وذمَّ ما مَدَحَ اللهُ تعالى.

لأن المُوَصَّل عند العرب والعجم وسائر الخلق: دُونَ التَّامِّ الصحيح الكامل، إذ كان المُوَصَّل عندَهُم جميعًا هو المُلَفَّقُ الذي قد وُصِلَ بَعضُه ببعضٍ ولُفِّقَ بعضُه ببعضٍ، فإذا أرادَ الرَّجُل من العرب وغيرِهم أن يضع مِن قدرِ الشيء قال: «هو مُوصَّل وليس هو صحيح». وقد سمَّى كتابَ الله اسمًا ناقصًا وقال فيه بُهتانًا وإثمًا عظيمًا، ولو قلتُ أنَا هذا وما هو دُونَه لكانَ قد خَطَبَ وكلَّم واستغاثَ بأميرِ المؤمنينَ وأخرَجَنَا عن الإسلام، وهو يقولُ العَظائمَ ويُحيلُ على العَرَبِ، وأميرُ المؤمنينَ -أطال الله بقاه- يحلُم عنه بِفَضلِهِ وهو يَتَقَوَّى بِحِلمِه علينا.

قال عبد العزيز: فَقُلتُ لبشرٍ: وهذا أيضًا من جَهلك بما في كتاب

الله عز وجل، تذمني وتزعُم أني سمَّيتُ كتابَ الله -تعالى- اسما ناقصا، وتُغرِي[١] بيَ أميرَ المؤمنينَ، وهو أعلمُ بِمَا قلتُ وما تكلمتُ مِنِّي ومِنكَ، وما قُلتُ إلا ما قاله اللهُ، وما نَسبتُ إلا ما نسبَه إليه وارتضاهُ لَه، وهو عند العرب الفصحاء كلامٌ جيدٌ صحيحٌ مُرتَضى، وأنت تزعُمُ أن كلام اللهِ الذي هو مِنْ ذاته[٢] مخلوقٌ وتُشَبِّهه بكلامِ المَخلوقِين من الشِّعرِ وقولِ الزُّورِ وغيرِه، وتُنكِرُ عليَّ أن سميتُه بما سماهُ الله تعالى به.

فقال بشر: وأينَ سمَّاهُ اللهُ مُوَصَّلًا ومُفَصَّلًا؟

قلتُ: في كتابه مَن حيثُ لا تفهمُه ولا تعلمُه.

فقال: فهاتِه.

فقلتُ: قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ۝٥١﴾ [القصص: ٥١] فهذه تسميةُ الله -عزَّ وجلَّ- لكلامِه وتسميته له

---

(١) يغريه بمعنى يحرِّشه أو يحرضه.

(٢) كلمة «ذاته» يريد بها نفسه ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى في الكتاب أو السنة أو لغة العرب. ولي بحث حول استخدامها منشور باسم «كلمة الذات ونسبتها لله تعالى».

بِنَص التنزيل بلا بتأويل ولا تفسير، وهو الذي اختارَه لنَفسِه ولكلامِه وارتضاه له.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ٢١﴾ [الرعد: ٢١] فامتدحهم بِصِلة ما وصلَ اللهُ وأثنى عليهم في غيرِ آيةٍ من كِتَابِه وَوَعَدَهُم على ذلك أحسَنَ عِدَةٍ، وهي الجنة، وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤] فهذه مِدحَةُ اللهِ وهذا ثناءُ اللهِ، وهذا جزاءُ اللهِ لمن وَصَلَ ما وَصَلَ الله.

ولقد ذم اللهُ عز وجل الذين قَطَعُوا ما أمَرَ اللهُ بِصِلَتِهِ وذمهم ولَعَنَهُم وجعلهم من الخاسرين فقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى

ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴿٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٧] فهذا ذَمُّ اللهِ لِمَن قَطَعَ ما وَصَلَ اللهُ وما أَمَرَ بِصِلَتِهِ وهو وَعِيدُ اللهِ لهم بالنار.

ثم ذَكَرَ اللهُ ما في القُرَان من المُفَصَّلِ فقال عز وجل: ﴿الٓرۚ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ [هود: ١].

وقال عز وجل: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ [فصلت: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَـٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴿٢٨﴾ [الروم: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَـٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ﴿٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨] فهذا قولُ اللهِ، وهذه أخبارُ اللهِ، وهذه تسميةُ اللهَ لكلامه، وهذه نِسبَةُ اللهِ عز وجل لكلامه، وهذا اختيار الله عز وجل لكتابه ولكلامه، وهذا ما ارتضاه الله ورضي به مِن قائِله.

قال عبد العزيز: ثم أقبلتُ على أميرِ المؤمنينَ المأمونِ فقلت: يا أمير

المؤمنين يزعُمُ بشرٌ أني سميتُ كتاب الله اسمًا ناقصا مذمومًا وأني ذهبتُ بقدرِهِ وسميتُه بما لم يسمِّهِ الله عز وجل، وإني أتيتُ بذلكَ بهتانا وإثما عظيمًا، ويدَّعي عليَّ الدعاوَى وأنا حاضرٌ مَعَهُ، وإنما ينبغي له إذا تكلمتُ بشيء بأن يطالبْني بإقامَةِ الحُجَّةِ عليه والدليلِ على كل الفظ بها لفظتُ بها، فإن لم أفعل ذلك، فليتكلمْ بما شاءَ.

ولقد أكذبه الله عز وجل في كتابه وذم قولَه وأبطَلَهُ بما أنزل اللهُ في كتابه من ذِكر الموصل والمفصل، وما قَصَدَ بِشرٌ -يا أمير المؤمنين- بقوله هذا إلا إلى تنقيص العرب كلِّها وذم كلامها ولغاتها وما تتعامل به في خطابها، إذ كانت تُسمي كلامَ اللهِ تعالى موصلا ومفصلا، وتسمي كلامَهَا مفصلا وموصلا، وتختارُ هذه الأسماءَ لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلَةٌ حَسَنَةٌ صحيحةُ المعنى لا خلاف بينَهُم في ذلك.

قال بشر: ما تتعارف العرب من هذا شيئا، وما أنت بأعلمَ بلغة العرب مني، وكل شيء نسبتَه اليوم إلى العرب فهو مخالف لقولِهَا ولُغَتِهَا ومذهَبِها في كلامها.

فقلت: وما تنفعني البيِّنةُ وأنت جاحد؟!

قال عبد العزيز: فأقبلتُ على المأمون فقلت: يا أميرَ المؤمنين -أطال

الله بقاك- أنت بيتُ اللغَة وأعلمُ خلقِ اللهِ بلُغة العرب وكلامِهَا وما تتعارَفه وتتعامَل به في خطابها، وأنت الحاكم بيننا، فإن أكُن تَزَيَّدتُ على العربِ مُنذُ اليوم في شيء حكيتُه عن العَرَبِ أو نسبتُه إليهم أو عدلتُ عن سُنَّتِهِم ومذهبهم في شيء من كلامهم وخطابهم ومخارجِ ألفاظهم فقد استحققت العقوبة من جهتين:

إحداهما: جرأتي على أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- وقولي بين يديه، وحكايتي عن قومه ما يعلم خلافه مع علمي أنه أعلم خلق الله بذلك.

والأخرى: لكذبي على سائر العرب وادعائي الباطل عليهم وأمير المؤمنين يشهد عليَّ بكذبي وتزيُّدِي، وهو أعلمُ خلق الله تعالى باللغة، وهو في حل وسعة مِن دَمي ومِن كل ما يُعَاقِبُني به؛ إن كان قد وقف على ذلك مني.

وإن يكن بشرٌ قد تَزَيَّدَ في القول، وادعى عليَّ الباطل؛ كان أميرُ المؤمنينَ أعلى عينا بالرَّدِّ عليه ومَنعِه مِن قول الزور والكذب.

فقال المأمون: ما قلتَ يا عبدَ العزيزِ منذُ اليومَ إلا ما تقولُه العربُ وما تتعارفُه وتتعاملُ به، وما خرجتَ عن مَذهبِهَا، ولو عدلتَ عن ذلك ما سَوَّغتُ لك الكذبَ عليها.

قال عبد العزيز: فقلتُ: الله أكبر، الله أكبر، كَذَبَ بِشرٌ واللهِ، بشهادةِ أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- لي عليه، أفلحتُ وَرَبِّ الكعبةِ، أفلحتُ ورب الكعبة، وظهر أمرُ الله وهُم كارهون.

فقال بشر: وعلى الخلقِ أن يتعلموا لغات العرب؟ ما تعبَّدَنا الله بهذا، كُلُّ إنسان يقول بلغته وعلى قَدْرِ معرِفَتِه، وما كلَّفَ اللهُ الخلقَ فوقَ طاقتهم، ولا طالَبَ أولادَ العجم بلُغات العرب، بل يقولوا بلغة المريسيين.

قال عبد العزيز: فقلتُ لبِشرٍ: فكلَّفَ الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون؟ حيثُ ادعيتَ العلمَ وتكلمتَ في القُرَان العظيم، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله، ودعوت الخلق إلى إتِّبَاعِكَ، وكَفَّرتَ من خالفك وأبَحْتَ دمه، والله قد نهى الخلقَ جميعًا فلم يُحاشِ نبيًّا مُرسَلا، ولا صِدِّيقًا، ولا عبدًا مؤمنا أن يقولوا مالا يعلمون، أو يتكلفوا ما لا يعلمون، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال عز وجل لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦] فقال نوح معتذرا إلى ربه معترفا بخطيئته مستغفرا منها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ

أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] يذمهم الله بهذا الخبر، وَذَمَّ فعلَهم وطريقَهم التي سلكوه.

فقال بشر: اخطب حتى تشبَعَ من الكلامِ ثم أُخاطبك.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، إن بشرًا قد تحيَّر في ضلالته، وعَمِيَ عن رُشده، وبانت فضيحةُ قولِه ومَذهَبِه، وانقطع فما يأتي بحُجة.

فقال بشر: ما انقطعتُ ولا تَحَيَّرتُ ولا بانَتْ فضيحة مَذهبي، وإني لعلى بَيِّنَةٍ من أمري، وما دعوتُ الناس ولا أدعوهم إلَّا إلى سبيل الرشاد، ولا أنا وهم إلا على سداد، وكل من خالَفَني فكافِرٌ حلالُ الدَّمِ.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، ما كان بقي على بشر غير هذا، قد قال كما قال فرعون، ولجَأ إلى طريق فرعَونَ فاتبعها، وإلى سبيله فسلكها.

فَتَبَسَّمَ المأمونُ حتى وضع يده على فيه، ثم قال: كيف قلت يا عبد العزيز؟

فأعدتُ عليه القولَ؛ فازداد تبسمًا، ثم قال: كيف قال بشر ما قال فرعونُ ولجَأ إلى سبيله؟

فقلت له: إني لما قرأتُ على بِشر القُرَان وأوضحتُ السبيلَ والبرهانَ ودلَلتُه على طريق النجاةِ، ونطقتُ بالحقِّ الذي أنطقني اللّٰهُ به؛ قال بشر «إني لعلى بينة من ربي وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد» وكذلك قال فرعون حين أنطقَ اللّٰهُ مَن وفَّقَهُ لقول الحق، فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ

ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴿٢٩﴾﴾ [غافر ٢٨-٢٩] فلما قال هذا المؤمنُ الحقَّ الذي أنطقَ اللهُ بِهِ لسانَه وسدَّدَ بِه قولَه وسمعَه فرعون وقومُه؛ قال فرعونُ لقومِه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٩] وكذلك قال بشرٌ يا أميرَ المؤمنينَ حين سمعني أقول الحقَّ الذي وفقني الله إليه وأنطقَ به لساني؛ فقال: «إني لعلى بينةٍ من ربي وما دعوتُ إلا إلى سبيلِ الرَّشادِ» فأجاب بمثل ما أجاب به فرعون عند سماعِ الحقِّ، واتَّبع سبيلَه وما عَدَلَ عنها، فبِشرٌ مَرَّةً يتَّبِعُ سبيلَ الشيطانِ ويأمُرُ بِمَا أمر به الشيطانُ، وقد قال الله: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦] ومرة يتبع سبيلَ اليهود في تحريفِ القُرَان عن مواضعه، وقد قال الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [النساء ٥٢].

وقال: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١] ومثل هذا كثير؛ ومرةً يتبع سبيل الكُفَّارِ في التسويةِ بين اللهِ وبين خلقِه في خلقِ الأشياء، ومرة يتبعُ سبيل عَبَدَةِ الأصنام في الحَيدة عن الجوابِ، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٥] ومرة يتبع سبيل فرعون والقول بمثلِ قوله، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٧].

وقال عز وجل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

فقال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاكم- إنما يتكلم ويَخْطُبُ ليُنسي خصمه حُجَّتَه، ويشغَلَهُ بغَيرِهَا، ولولا بسطُ أميرِ المؤمنينَ له؛ لم يقدِر أن يديرَ لسانَه في فيه، وكانت الحجة عليه ظاهرةً.

ثم أقبل بشرٌ عليَّ وقالَ: لو خطبتَ إلى غد؛ ما تركتُ مطالبتك بما قلتَ، فَدَع عنك الهذيان وأقبل عليَّ.

فقلت له: يا بشر بعد نداء القُرَان تهدم كل ما أسست وصاخه في سمعه[١]، وتكذِّب ما زخرفت، وتشير إلى الكلام، فإن كنت لا تستحي

[١] وردت هكذا في المخطوط.

من أمير المؤمنين، وقد وقعت من ذلك على ما قلت، فلا تستحيي من الله تعالى وقد أبطل كفرك بكتابه وبكلامه.

أورِد يا بشر ما شئت فعليَّ الإصدار،[١] وتكلم بما شئت فإني مجيبُك.

فقال بشر: تَعَبَّدَ اللهُ الخلقَ أن يعرفوا المُوَصَّلَ والمُفَصَّلَ! وما يَضُرُّ الخلقَ أن لا يعرفوا ذلكَ ولا يتعلموه؟

فقال له المأمونُ: قد رجَعْنا إلى الكلام الأول!

فقال بشر: إنه أدهشني بكلامِه وخُطَبِه عن تمامِ الكلامِ في هذا، وهو يتوهم أنه كسرَ قولي بهذا المُوَصَّلِ والمُفَصَّلِ الذي لا يُحتاجُ إلى معرفتِه ولا يُطَالَبُ أحدٌ بِه.

قال عبد العزيز: فقلتُ لبشرٍ: بل قد تَعَبَّدَ اللهُ الخلقَ أن يعرفوا ذلكَ ويتعلموه لِئَلَّا يَصِلُوا ما فَصَلَ اللهُ أو يفصِلُوا ما وَصَلَ اللهُ.

قال بشر: وما الحُجَّةُ في ذلكَ والدليلُ على صِدقِ قولِك؟

---

(١) أي عليَّ أن أرد ما تورده. والإصدار الإرجاع.

قال عبد العزيز: فقلت له: أما سمعتَ ما قرأتُ عليكَ مِن كِتَابِ اللهِ وما تَلَوتُ عليكَ من الآياتِ المُحكَماتِ فيمن وَصَلَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَل، ومَن قَطَعَ ما أمر الله به أن يقطع، وما وَعَدَ اللهُ هؤلاءِ من حُسنَى وعُقبى الدارِ، وما تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ هؤلاءِ من اللَّعنَةِ والعذابِ وسوء الدار؟

فقال بشر: دَع ذكرَ ما مضىَ، فما لكَ فيه حُجَّةٌ، واحتجَّ الساعةَ بشيءٍ أفهَمُه.

قال عبد العزيز: فقلت له: صدقتَ إنكَ ما فهمتَ ما مضى، ولو فهمتَ ما قُلتَ ما قلتَ، ولأقنعك بعضه.

وأقبلتُ على المأمون فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ في دونِ ما قد مضى لكفايةً وبلاغًا، ولكنَّ بشرًا يزعم أنه لم يفهم شيئًا مِمَّا مضى، وأنا أتكلمُ في ذِكرِ المُفَصَّلِ والمُوصَّلِ مِن القُرَان، وأَحتَجُّ للعَرَبِ في صحةِ لُغَاتِها ومذاهِبِهَا في كلامِهَا وخِطابِها.

فقال لي المأمون: إن كان بشرٌ لم يفهم ما مضى؛ فكذلك لا يفهمُ إعادةَ ما يأتي، فَدَعْ إعادَةَ شيءٍ قد مَضى وظهَرَتْ لك الحُجَّةُ فيه، فإن هذا وقتُ الصلاةِ.

[أمثلة على المُوَصَّل]

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيتَ أن تأذَنَ لي أن أتكلمَ بشيء لم أتكلمْ به في هذا المعنى أقيمُ به الحُجَّةَ على بِشرٍ، وأرجو أن يستحسنَه أميرُ المؤمنينَ-أطال الله بقاه- من غير إطالةِ الكلام.

فقال: تكلمْ وأوجِز.

قال عبد العزيز: فأقبَلتُ على بشرٍ فقلتُ: يا بشرُ قلتَ إن الله لم يتعبد الخلقَ بمعرفَةِ شيء من غيره أو زادَ فيه أو نَقَصَ منه كان كافرا؟

قال بشر: ما قلتُ هذا يا أميرَ المؤمنين، وهو ذا يدَّعيه علي.

فقلت له: أخبِرني عمَّن قال: «إن الله عز وجل لم يتعبد الخلق بمعرفة شيء من غيره، أو زاد فيه أو نقص منه أو غيره عما هو عليه كان كافرا» فكان فاعل ذلك كله يكون صادقا أو كاذبا؟

فقال: بل كاذِبًا، وأنا أقول: كل شيء إذا أُزِيدَ فيه أو نُقِصَ منه أو غُيِّرَ عما هو عليه فكان فاعل ذلك كافرا، إن الله تعبد الخلق بمعرفته وعلمه.

فقلت له: قد وافَقتَنِي وأجبتَ نفسَكَ عني، وأقررتَ بما أنكرتَ.

فقال لي بشر: دع الكلامَ والتشبيهَ عنك وأقِم الشاهدَ والدليلَ على ما تقولُ.

قال عبد العزيز فقلت له: قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨] فأخبَرَ اللهُ أنه لا إلٰه إلا هو وشَهِدَ بذلك لنفسِه وشهدَتْ الملائكةُ وأولو العلمِ بِمثلِ ذلك، فلو قال رجلٌ: «شهد الله أنه لا إلٰه» وقَطَعَ الكلامَ والصِّلَةَ عامِدًا؛ كان كافرًا حلال الدم لأنه زَعَمَ أن الله شهدَ أنْ لا إلٰه، وشهدَت له الملائكةُ وأولو العلمِ بذلك، ومن قالَ هذا عامِدًا؛ كان كافرا حلالَ الدمِ لأنه أعظَمَ على الله الفِريَة، وأبطل الرُّبوبِيَّةَ، وجحد أن يكونَ اللهُ تعالى إلهًا، واستشهَدَ اللهَ وملائكتَه وأولي[١] العلمِ على قولِه، فإذا وَصَل الكَلِمَةَ كما وصلها الله عز وجل فقال: «شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولو العلم» كان صادقًا وكان قد قالَ كما قالَ اللهُ عز وجل وشهد به لنفسِه وشهدَتْ له بِه الملائكةُ وأولو العلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكذلك كلُّ ما في القُرَان من التهليلِ(٢) وهو أربعون موضعا فعلى هذا المعنى

---

[١] في المخطوط «وأولو» وهي خطأ لأنها منصوبة معطوفة على ما قبلها

(٢) التهليل: هو قول: لا إلٰه إلا الله.

مِن فَصَلَهُ من صِلَتِهِ وزادَ فيه أو نَقَصَ مِنهُ؛ كان كافرًا.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٦] فلو أنَّ رجلًا قال: «إن الله لا يستحيي» وقطع الكلام عامِدًا؛ كان كافرًا لأنه زعَم أن الله لا يستحيي، ومَن قال هذا فقد أعظَمَ الفِريَةَ إذ أخبَرَ عن اللهِ أنه أخبر عن نفسه أنه لا يستحي فقد كفر وحل دمه بقوله هذا.

وكذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فلو قال رجلٌ: «واللهُ لا يستحيي» وقَطَعَ الصِلَةَ عامِدًا كانَ كافرًا حلال الدم حتَّى يَصِلَ ما وصَلَ اللهُ في الحَرفَين[١] جميعا فيقول في الأول: «أن يضرب مثلا» ويقول في الآخر «مِن الحق» فيكونُ قد وَصَلَ ما وَصَلَ اللهُ ولم يقطعْهُ، وإن لم يصِلْهُ كانَ كافِرًا حلالَ الدَّمِ.

وقال الله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] فلو قال رجل: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها» وقَطَعَ الصِلة عامدا، كان كافرا

(١) كلمة حرف تعني الوَجه، وتطلق أحيانا على الكلمة أو العِبارة.

حلال الدم لأنه زعم أن الله لا يعلم الغيبَ، ومن زعم هذا فقد ردَّ أخبارَ اللهِ عز وجل، ورَدَّ قولَ الله عز وجل بشهادَتِه لنفسِه بعِلمِ الغيب بأنه قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٣٨﴾ [فاطر: ٣٨] فمَن قالَ «إن الله لا يعلم الغيبَ» فقد كفر وحل دمه، فإذا وصل ما وصل الله عز وجل ولم يقطعه فقال: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو» كان صادقًا، وكانَ قد قالَ ما قالَ اللهُ عز وجل، وَوَصَلَ ما وصلَ اللهُ عز وجل، ومثلُ هذا في القُرَان كثير.

قال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبدَ العزيزِ.

[أمثلة على المفصَّل]

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: استَمِعْل باقي مسألتك.

فقال بشر: هاتِه.

قال عبد العزيز: وأما المُفَصَّلُ الذي لا يجوزُ صِلَتُهُ؛ فقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [النحل: ٦٠] هاهنا تمَّ الكلامُ، ثم يبتدئ القاري فيقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠] فلو قال رجلٌ «للذين لا يؤمنونَ بالآخرةِ مثلُ السَوءِ ولله» وقَطَعَ الكلامَ عامِدًا؛ كان كافرًا حلالَ الدَّمِ لأنَّه زَعَمَ أنَّ للهِ مَثَلُ السَّوءِ وشبَّهَهُ -جل جلاله- بالذِينَ لا يؤمنونَ بالآخرة، وأدخَله معهم في المَثَلِ السَّوءِ - تعالى الله عن ذلك- فإذا فَصَلَ الكلامَ كما فَصَلَهُ اللهُ ولم يصله بما لم يصِله اللهُ به، فقال: «للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء» وقطع الكلام كان صادقا وكان قد وقَفَ على تمامِ الكلامِ، وفَصَلَ ما فَصَلَ اللهُ عز وجل، ولم يصِلْ ما فَصَلَ اللهُ.

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التوبة: ٤٠] هاهنا تم الكلامُ ثُمَّ يبتدئُ القارئُ فيقرأ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] فلو قال رجل: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله» وقَطَعَ عامِدًا؛ كان كافِرًا حلالَ الدَّمِ لأنه قد أعظم الفرية على الله عز وجل، وزعم أن الله قد أخبر أنَّ كلمتَه سُفلى مع كلمةِ الذينَ كفروا، فشبَّهَ اللهَ تعالى بالذين كفروا، فإذا فَصَلَ الكلامَ مِنَ الصِّلَةِ فقال: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى» وَوَقَفَ على ذلك، وقَطَعَ الصِّلَةَ؛ كان صادقا، وكان فصل ما قد

فصل الله.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ فقالَ: أحسنتَ يا عبد العزيز، وقد أبلغتَ فلا تحتاجُ إلى زِيادةٍ.

ثم أقبَلَ على بشرٍ فقال: يا بشرُ، هل عندَكَ شيءٌ تحتاجُ تسألُ عنه عبد العزيز أو تحتُجُّ عليهِ به، فقد ظهرت حُجتهُ ووضحَ قولُه عندنا.

[استيعاب القُرَآن لمهمات الدين]

قال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- هذا يُرِيدُ نصَّ التنزيلِ بكل ما يتكلمُ به أو يلفِظُ به، وليس كل ما يتكلَّمُ به الناسُ ويحتجُّونَ بِهِ يجدون به نص التنزيلِ، وإنما يجدونَه في التأويلِ والتفسير، وهذا لا يَقبَلُ التأويلَ، ويُبطلُ التفسيرَ، حتى كأنه كان مُشَاهِدَ التنزيلَ، وهذا مالا أُسَوِّغُه أنا للمُتناظرينَ، ولا أُطلقُهُ للمُتَكَلِّمِينَ، إذ كان الناسُ لا يجدونَ علمَ كل ما يختلفون فيه ويتنازعون مِن أمر دينِهِم في كتاب الله بنص التنزيلِ، ولو كانَ هذا كما يقولُ عبدُ العزيزِ لبَطَلَ التفسيرُ كلُّهُ، وبقيَ الناسُ في حَيرَةٍ مِن أمرِ دينِهِمْ، والنَّاسُ جميعًا يوافقُوني على قَولِي ويُخالفُونَ عبدَ العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ أطال الله بقاك، كلُّ ما يتكلَّمُ به الناسُ من عِلمِ دينِهِم وما يختلفُونَ فيه ويتنازعون فيه؛ فهو

موجودٌ في القُرَان وفي غيره من كُتُبِه، لقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقولِه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٤-١٤٥] فأخبر الله عز وجل أنه ما فرط في الكتاب من شيء، يعني القُرَان، وأخبر أنه كتب في الألواح لموسى من كل شيء، فليسَ مِنْ شيءٍ يحتاجُ إليهِ-يا أمير المؤمنين- إلا وهو موجودٌ في القُرَان، عقلَهُ مَن عَقَلَهُ، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَه.

إنكارُ جهميٍّ علمَ الله تعالى ما سيكون[١]

قال عبد العزيز: وكان خلفَ ظهري-وأنا في مجلس أمير المؤمنين المأمونِ أناظرُ بِشرًا على ما قد ذكرته في هذا الكتاب- رجلٌ ممن يعرف بالكلامِ والنَّظَر، فَجعَلَ كُلَّمَا سَكَتَ بشرٌ وانقطَعَ عن الكلام؛ يُحرِّضُه على

---

[١] هذه الفقرة كانت في آخر الكتاب فأتيت بها إلى هنا لأنه موضع الكلام.

الكلامِ، وإذا أردتُ أنا أن أتكلم؛ لا يزالُ يهذِي خَلفِي ويُقَرِّبُ رأسَه مِنْ أُذُنِي ليُسمِعَنِي ويُدهِشَنِي ويقطعَني بذلك عن حُجَّتِي، فشكوتُ ذلك إلى المأمون فصاح به وباعَدَه منِّي.

فَلَمَّا قلتُ لبشر: «ما من شيء كان أو هو كائن مما يحتاجُ الناس إلى معرفته وعلمه إلا وقد ذكره الله عز وجل في كتابِه، عقله من عقله، وجهله من جهله» فإذا ذلك الرجلُ يضرِبُ يده على فَخِذِه ويقول: «يا سبحان الله تزعم أن كل ما هو كائن مما يحتاج إليه قد ذكره الله في كتابه؟! ما أعظمَ هذا! وكيفُ يعلمُ ما هو كائِنٌ فيذكرَه؟»

قال عبد العزيز: فالتفتُّ إليه فقلت له: أنت جَهمِيٌّ قَدَرِيٌّ أيضًا، وأنت تهذي دائما.

ثم أقبلتُ على المأمونِ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ-أطال الله بقاك- إن هذا الذي شكوتُ إليكَ أذاهُ منذ اليوم؛ هو جهميٌّ قَدَرِيٌّ قد جَمَعَ الأمر مِن جهتين، يُنكِرُ أن يكونَ اللهُ يعلمُ ما يكونُ قبلَ أن يكونَ.

فقال المأمون: هذا قولُه.

فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- أن يأذَنَ لي حتَّى أُكْذِبَه وأكسرَ قوله، وأدحضَ حجته، وأُبطِلَ مذهَبَه بنص التنزيلِ الساعَة.

فقال المأمون: لهذا وقتٌ غيرُ هذا، تتكلمُ مَعَهُ ومعَ غيرِه في القدَرِ خاصة.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ لست أُطَوِّلُ، إنما أحتَجُّ عليهِ بآيَةٍ واحِدَةٍ من كتاب الله تعالى.

فقال المأمون: قل ما تُريد.

قال عبد العزيز: فأقبلت عليه فقلت له: أتُنكِرُ أنَّ اللهَ يعلَمُ ما يَكونُ قبل كون.

قال: نعم، أنا أُنكِرُ هذا.

فقلتُ: واللهِ يا أمير المؤمنين، لقد عَلِمَ اللهُ ما لم يَكُنْ ولا يكونُ أن لو كانَ كيف كانَ يكونُ.

فصاح الرجل: سبحان الله ما أجرأكَ على الكَذِبِ، الحمد لله الذي أخذك بلِسانك.

فقال المأمون: أعد هذا الكلام يا عبد العزيز.

فقلت له: نعم والله لقد عَلِمَ اللهُ ما لم يكُنْ ولا يُكونُ أن لو كان كيف كان يكون.

فقال لي المأمون: يا عبدَ العزيز، هذا شيءٌ تقولُه مِن نفسِكَ أو شيءٌ تَحكيهِ عن غيرِك؟

فقلت له: هذا شيءٌ أخبر الله به في غير آية في كتابه الذي أنزَلَهُ على نبيهِ ﷺ.

فقال لي المأمون: فأينَ ذلك مِن كتابِ اللهِ عز وجل؟

قال عبد العزيزفقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٨ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٢٩﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨] فأخبر الله عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون في قولهم هذا.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣] فأخبر الله تعالى لو أسمعهم لتولوا وهم معرضون.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾

[الحجر: ١٤-١٥].

وهذا ما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يُرَدُّونَ، لا هم ولا غيرُهم، فأخبَرَ عز وجلَّ بعِلمِه السابِقِ فيهم أن لو رُدُّوا ما كانوا فاعلين، ولن يُرَدُّوا أبدًا، ولا يرحموا أبدا، ولا يسمعهم أبدا، ولا يفتح لهم بابا إلى السماء أبدا، فهذا ما لمْ يكُن ولا يكونُ، فأخبر تعالى أن لو كان كيف كان يكون.

فقال لي المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز، فما قُلتَ في يومِكَ هذا أحسَنَ ولا أدقَّ من هذا.

فقلت: قد أكذَبْتُ واللهِ أهلَ هذه المَقالةِ وكَسَرتُ قولَهُم، ودحضتُ حُجَّتَهُم، وأبطلتُ مذهَبَهُم بنص التنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسير.

[فصل: احتجاج ابن الجهم بأن القُرآن لم ينص على خلق الحصير].

قال عبد العزيز: فَجَثَى محمدُ بنُ الجَهمِ على رُكبَتَيهِ وقال: يا عبد

العزيزِ، زعمتَ أن كلَّ شيءٍ يتكلمُ به النَّاسُ ويَحتاجونَ إلى مَعرفته موجودٌ في كِتَابِ اللهِ بِنَصِّ التنزيلِ لَا بتأويلٍ ولا بتَفسيرٍ، فأوجِدنَا أنَّ هذا الحَصِيرَ مَخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ من كِتَابِ اللهِ تعالى بِنَصِّ التَّنزِيلِ.

ووضع يده على حصير مدني[١] كان تحتنا مبسوطا في الإيوان.

فقلت له: نَعَمْ، عليَّ أنْ أُوجِدَك ذلك.

قال عبد العزيز: فأقبلتُ عليهِ فقلت له: أخبِرنِي عن هذا الحَصيرِ، أليسَ هُو مِن سَعَفِ النَّخْلِ وجُلُودِ الأنعَامِ؟

قال: بَلَى.[٢]

قلتُ: فَهَل فيهِ شيءٌ غيرُ هذا؟

قال: لا.

فقلت له: هل هاهنا شيءٌ غيرُ هذا؟

---

[١] في الأصل هكذا، وفي المطبوع مرمي.

(٢)فائدة: إذا قيل «أليس كذا» فإن أجَبتَ بالمُوافَقَة؛ فلا تقُل: «نعم» فإنَّ هذا خطأ شائع، بل قل: «بلى»

قال: لا.

فقلت له: بل هاهنا شيءٌ بِه صارَ حَصيرًا يُجلَسُ عليه.

قال: فما هو؟

قلت: الإنسانُ الذي صَنَعَهُ وألَّفَه وأحكَمَه.

قال: نعم.

قال عبد العزيز: فقلت له: قال الله عز وجل وقَد ذَكر الأنعامَ فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] وأما السَعَفُ فإنَّ اللهَ ذَكَرَهُ فقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] فَقَدْ كَمُلَ خَلقُ الحَصِيرِ بِنَصِّ القُرَان بلا تأويلٍ ولا تَفسيرٍ، فهل عندك مثلُ هذا في خَلقِ القُرَان تذكُرُه وتحتجُّ به؟ وإلاّ فقد بَطَلَ ما تدَّعونَه في خَلقِه، وصحَّ قولي أنه غير مخلوق ولَم يَزَلْ صَحِيْحًا أَنَّ القُرَان كلامُ الله تعالى ليس مخلوقًا من كلِّ جِهَةٍ.

قال فصاح المأمون بمحمدُ بنُ الجهم: مالَكَ وللكلامِ؟ خلِّ بينَ الرَّجُلِ وبينَ صاحِبِه حتى يُكَلِّمُه.

وأقبل على بشرٍ فقال: يا بشرُ، هل عِندَكَ شيءٌ تناظِرُ به عبدَ العزيزِ قبلَ أن نصرِفَه ونقومَ، فقد طالَ المَجلِسُ وصُلِّيَتِ الظهرُ.

[فصلٌ: ردُّ شبهاتِ بشرٍ الكَلاميَّة]

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، عندي أشياءُ كثيرة، إلا أنه يَقُولُ بِنَصِّ التنزيلِ، وأنا أقول بالنَّظَرِ والقِيَاسِ، فلْيَدَعْ مُطَالبتي مناظرتي بنص التنزيل ويناظِرْني بغيرِه، فإن لم يدَعْ قولَه ويرجِع عنهُ ويقولُ بقولِي ويُقِرَّ بخَلقِ القُرَانِ الساعةَ فدَمِي حلالٌ.

فقال له المأمون: لهذا مجلسٌ بعد هذا تتناظِرُونَ فيه.

قال عبد العزيز فقلت: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاك- إن رأيتَ أن تأذَنَ لي فأُناظِرَه كما سأَلَ على جِهَةِ النَّظَرِ والقِيَاسِ، وأدَعَ مطالَبَتَهُ بالقُرَانِ ونص التنزيل، ويكونَ أميرُ المؤمنينَ -أطال الله بقاه- الشاهِدَ علينا والمُتَحَفِّظَ لكلامِنا، فإن أقامَ بِشرٌ عليَّ الحُجَّةَ كما زَعَمَ وأقرَرْتُ بشيءٍ ممَّا قالَ أوَ رَجَعتُ عن شيءٍ مما قلتُ؛ فدمي حلالٌ كما قال بشر،

وإن ثَبَتَتِ الحُجَّةُ عليهِ من القِيَاسِ والنظرِ كما ثَبَتَتْ عليهِ من القُرَان والسنةِ وشهدَ عليه أميرُ المؤمنينَ بذلكَ؛ فقد حلَّ دمُه بما شَرَطَ على نفسِه.

فقال المأمون أنا الشاهدُ عليكما والحكمُ بينَكُمَا، فأوجِزَا واقصِرَا ولا تُطيلا فيخرُجُ وقتُ الصَّلاةِ.

قال عبد العزيز لبِشرٍ: أتسألُنِي أم أسألُك؟

فقال: سَلْ أنتَ.

[قال عبد العزيز:] وطمِعَ فيَّ هو وجميعُ أصحابه، وتوهمُوا أني إذا خرجتُ عن التنزيلِ؛ لمْ أُحسنْ أتكلم بشيءٍ غيرِه.(١)

---

(١) وهذا حال الزنادقة المتكلمين، إذا لم يجاريهم السُّنِّيُّ بشيء مِن أصولهم ومُصطلحاتهم المبتدعة؛ ظنوا ذلك جهلًا منه بِهَا. وإن الأصل أن لا يُوَافَقونَ ولا يُجَارَونَ عليها، ويُقَرَّعونَ ويُبَكَّتونَ بالوحي والآثار كما فعل عبدُ العزيز -طيَّب الله ثَراه، ورَضيَ عنه- فإن موافقتهم عليها، ومجاراتهم عليها فيها نوع مِن القَبولِ بها، والإقرارِ لها، والرِّضى بِها في الظَّاهر، فإنَّ الأصلَ أن تُنكَرَ عليهِم، وتُرَدُّ بِوَجهِهِم، ويقال لهم إنها باطل، وإن المسلم لا يلوك الباطل، وأما رضى عبد العزيز بها الآن فقد كان بعد أن بكَّتَهم بنصوص الوحي، وأقرُّوا له بعجزهم عن الحجَّة، فأراد أن يبطل حجتهم بسيفهم الذي هو الرأي والقياس، وذلك ليظهرَ عجزهم وخورهم حتى في العقليَّات، ولأن المأمون وحاشيته متأثرون بهم وبكلامهم، وهذه منه مخاطرة لأمرين: الأول: إنه لو كَسَروه بحجَّة فلسفيَّة باطلة

=

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا بشر تَقُولُ إن كلام الله مخلوق؟

فقالَ بشر: أنا أقول إن القرآن مخلوقٌ.

قال عبد العزيز فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاثٍ: لا بُدَّ منها:

أن تقولَ إنَّ اللهَ خَلَقَ القُرَان -وهو عِندي أنا كلامُه-[1] في نفسِه.

أو خَلَقَهُ في غُيرِه.

أو خلقه قائمًا بِذَاتِه ونَفسِه.

وغير معتبرةٍ شرعًا؛ فإنَّه لا يستطيع أن يخرُجَ مِنهَا بقولِه إن أصل الاحتجاج بالأدلة الفلسفيَّة باطل بعد أن رضي محاجَّتهم فيه. والثاني: قدرتهم على الإتيان بجدليَّات جديدة لاحقًا، ولا نهاية لذلك، وهذا يجعل لهم حجّة بها وكلما زادوا جدلا، احتاج أهل السنة إلى الإغراق معهم أكثر في جدلهم هذا، وأما الوحي فليس لهم قدرة على أن يأتوا بجديد فيه. وترى أن أحمد ابن تيمية حارَبَ الجهميَّة بسيفِهِم الفلسفي، وكسَرَ حججهم بأصولهم، فجعل بعض المنتسبين لأهل السنة هذه المصطلحات التي جاراهم بها: سُنَّة، وجعل بعضُ الأغبياء عِلمَ الكلامِ علمًا حسنًا لأن ابن تيميةَ كان عالمًا به واستخدمه بالرَّدِّ عليهم، ولم يفهموا أن ذلك كان بمثابة أكل المَيتة.

(١) أي عند عبد العزيز، فقد أكد على ذلك لكيلا يفهم غبيٌّ أنه حينما قال «خلق القرآن» فإنَّه أقر بخَلقِه.

فقل ما عِندَك.

قال بشر: أقول إنه مخلوقٌ وإنه خلقَه كما خَلَقَ الأشياءَ كلَّهَا.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، تَركنَا القُرَان والسُّنَنَ والأخبارَ عند هروبِهِ منها، وناظرناه بالقياسِ والكلامِ لِمَا ادَّعاهُ وذَكَر أنه يُقِيمُ الحُجَّة عليَّ بِها، فطمع أني أقِرُّ مَعَهُ بخَلقِ القُرَان، فقد رجَع بشرٌ إلى الحَيدة عن الجَوابِ وانقَطَعَ الكلامُ، فإن كان بشر يريد أن يناظرني على أنه يجيبُني عمَّا أسألُهُ عنهُ، وإلاّ فأميرُ المؤمنينَ أعلى عينًا في ما يراهُ في إصرافي، فإنما يريدُ بِشرٌ أن يَقَعَ مَعَه مَن لا يفهَمُ فَيَخدَعه عن دِيْنِه، ويحتجَّ عليهِ بما لا يعقِلُه فتظهَرُ حجتُه عليهِ فيُبِيحُ دمَه بذلك.

قال عبد العزيز: فأقبَلَ عليه المأمون فقال: أجِب عبدَ العزيزِ عما سألك، فقد ترك قولَه ومذهَبَه وناظرك على مذهَبِكَ وما ادَّعَيتَ أنك تُحسِنُه وتقيمُ الحُجَّةَ بِه عليه.

فقال بشر: قد أجبتُه ولكنَّه يَتَعَنَّتُ.

فقال له المأمون: يأبى عليكَ عبدُ العزيز إلا أن تقولَ واحدةً من ثلاثٍ.

فقال: هذا شَرٌّ من مُطالبَتِه لي بنص التنزيلِ، وما عندي غيرَ ما أجبتُه به.

قال عبد العزيز: فأقبَلَ عليَّ المأمونُ فقال: يا عبد العزيز، تكلَّم أنتَ في شَرحِ هذه المسألةِ وبيانِها، وَدَعْ بِشرًا فقد انقطع عن الجواب من كُلِّ جِهَةٍ.

فقلتُ: نعم يا أمير المؤمنينَ، سألتُه عن كلامِ اللهِ عزَّ وجَلَّ أمخلوقٌ هو؟ قال: «نعم» فقلت: يلزمُه في هذا القولِ واحدَة من ثلاثٍ لا بد منها:

إما أن يقول: إن الله خلق كلامه في نفسه.

أو خلقه في غيره.

أو خلقه قائما بذاته.

فإن قال «إن الله خلق كلامه في نفسه» فهذا مُحالٌ لا يَجِدُ السَّبِيلَ إلى القَولِ بِه من قِياسٍ ولا نَظَرٍ ولا معقولٍ، لأن اللهَ عزَّ وجلَّ لا يكونُ مكانًا للحَوَادِثِ،[1] ولا يَكونُ فيهِ شيءٌ مَخلوقٌ، ولا يكونُ ناقصًا فيَزِيدُ

(١) الحوادث في لغة أهل الكلام: أي المَخلوقات.

فيهِ شيءٌ إذا خلقه، تعالى اللهُ عن ذلك وجل وتعظَّم.

وإن قال: «**خلَقَهُ في غيرِه**» فيلزمُه في النَّظَرِ والقِياسِ أن كل كلامٍ خَلَقَهُ اللهُ في غيرِه فهو كلامُ اللهِ عز وجل، ولا يقدِرُ أن يُفَرِّقَ بينهما، فيجعلَ الشِّعرَ كلامًا للهِ، ويجعلَ قولَ الزور كلامًا لله، ويجعل الكفُرَ والفُحشَ وكلَّ قولٍ ذمَّهُ اللهُ وذمَّ قائلَه؛ كلامًا لله عز وجل، وهذا مُحَالٌ لا يَجِدُ السبيلَ إليهِ ولا إلى القَولِ بِهِ لظُهورِ الشناعَةِ والفَضِيحَةِ والكفر على قائِلِهِ، تعالى الله عن ذلك.

وإن قال: «**خلقه قائما بنفسه وذاته**» فهذا هو المُحَالُ الباطِلُ الذي لا يَجِدُ إلى القولِ بهِ سبيلًا في قِياسٍ ولا نَظرٍ ولا مَعقُولٍ، لأنه لا يكونُ الكلامُ إلا مِنْ مُتَكَلِّمٍ،[1] كما لا تكونُ الإرادَةُ إلا مِنْ مُرِيدٍ، ولا العِلمُ إلا من عالِمٍ، ولا القُدرَةُ إلا من قادر، ولا رُئِيَ ولا يُرَى كلامٌ قطُّ قائِمًا بِنَفسِهِ يَتَكَلَّمُ بِذَاتِه، وهذا ما لا يُعقَلُ ولا يُعرَفُ، ولا يَثبُتُ في نَظَرٍ ولا في قِيَاسٍ ولا غَيرِ ذلكَ، فلما استحالَ مِن هذه الجِهاتِ الثلاث أن يكونَ مَخلوقًا؛

---

(١) وهُنا قَد يقول قائلٌ مِن أهلِ الكلام: الله قادِرٌ على أن يخلُق أمواجًا صوتيَّةً في الهواء تكون كلامًا يسمعه الناس، فيقال له: هذا يسمّى صوتًا لا كلامًا، ولهذا يقول الشيخ: لا يكون الكلام إلا مِن متكلم.

ثَبَتَ أنَّه صِفَةٌ للهِ، وصفاتُ اللهِ عزَّ وَجَلَّ كُلُّها غيرُ مَخلوقَةٍ، فَبَطَلَ قولُ بشرٍ -يا أميرَ المؤمنين- مِن جِهَةِ النَّظَرِ، كما بَطَلَ مِن جِهَةِ القُرَانِ والتَّنزيلِ.

فقال المأمون: أحسنتَ يا عبد العزيز.

فقال: سَل عن غيرِ هذه المسألةِ فلعلَّه يخرُجُ منها شيءٌ.

فقلتُ: نَعَمْ، أنا أدع هذه المسألة، وأسألُ عن غيرِها.

فقالَ: سَل.

قال عبد العزيز: فقلت لِبِشرٍ: تقولُ إن اللّهَ كانَ ولا شيءَ، وكانَ ولَمَّا[1] يفعلْ شيئًا ولَمَّا يخلقْ شيئا؟

قال: بلى.

فقلت له: بأيِّ شيءٍ حدَثَتِ الأشياء بعدَ إذْ لم تكُنْ؟ أهِيَ أحدَثَتْ نفسَهَا أم اللهُ أحدَثَهَا؟

قال: بل اللهُ أحدَثَها.

---

(١) كلمة «لمَّا» بمعنى «لم» مع فرق يسير، وهو أن «لمَّا» تفيد أن ذلك الفعل المنفي سيقع بعد ذلك.

فقلت له: فَبِأيِّ شيءٍ أحدثها؟

قال: أحدثها بِقُدرَتِهِ التي لم تَزَل.[١]

قلت له: صَدَقتَ، أن الله أحدثها بقُدرَتِه التي لم تزل.

قلت: أفَلَيسَ تقولُ إنه لم يَزَلْ قادِرًا؟

قال: بلى.

قلتُ له: أفتقولُ إنه لم يَزَلْ يفعَلُ؟

قال: لا أقول هذا.

---

(١) معنى ((لم تَزَل)) بلغة أهل الكلام: أي هي صفة لله تعالى لا أوَّلَ لها، فهو متصف بها بدون بداية لذلك. تنبيه: وجوابُ بِشرٍ هذا حَرَف مسارَ احتجاج عبد العزيز -رحمه الله- إذ أن الحجَّة كانت ستكون بأن يسأله: ((بأي شيء خلق الخَلق) فيكون الجواب: بقوله: «كن» فيقول عبد العزيز: «فهذا إقرار بأن قوله (كن) غير مخلوق، فكلامه غير مخلوق» لكن يبدو أن بشرًا منتبه إلى هذه المسألة، فأجاب بهذا الجواب، إلا أن عبد العزيز -رفع الله منزِلتَه- عَرفَ كيف يرد عليه، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه المُناظر، أن لا يظن أنَّ الأمر سهل، فإذا حفظَ حجَّة؛ ظن نفسه قادرًا على المناظرة بها، فإن لم يكن ذكيًّا وسريعَ البديهَة بحيث إنَّه يقدر على مُجَاراة خصمه حيث ذهب؛ فإنه لا يُناظِر.

قلتُ لَه: فلا بدَّ مِنْ أن يلزَمَكَ أن تقولَ: إنه خَلَقَ بالفِعلِ الذي كانَ عَنِ القُدرَةِ، وليسَ الفِعلُ هُو القُدرة، لأن القُدرَةَ صفةُ اللهِ تعالى، ولا يُقَالُ لصِفَة الله هي اللهُ، ولا هي غيرُ الله.

فقال بشر: ويلزمُك أيضًا أن تقولَ: إن الله لم يزل يفعَلُ ويخلُقُ؟[1] وإذا قُلتَ ذلكَ فقد ثبَتَّ أن المخلوقَ لم يزل مع الله عز وجل.

قال عبد العزيز: فقلت له: ليسَ لك أن تحكُمَ عليَّ وتُلزِمَني ما لا يَلزَمُني، وتحكي عني ما لم أقل، إني لم أقل إنه لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل؛ فيلزَمُني ما قلتَ، وإنما قُلتُ: إنه لم يزل الفاعِلُ سَيَفْعَلُ، ولم يَزَلِ الخالقُ سيَخْلُقُ، لأنَّ الفِعْلَ صفةٌ للهِ يقدِرُ عليه ولا يمنعهُ مِنه مَانِعٌ.[2]

---

(١) أي في الماضي بدون بداية.

(٢) وجه الحجة هنا أن الله تعالى إذا كان لم يخلق ثم خلق، فإن هذا لا يعني أنه اكتسب صفة جديدة وهي الخلق، فصفته هذه غير مخلوقة، وفِعلُه الذي هو فعلُ الخلقِ حينَ خَلَقَ لم يكن ذلك الفِعلُ مِنه مخلوقًا، وكذلك فإنه إذا تكلَّمَ بكلَّامٍ حينَ تكلَّم فإنَّ كلامه غيرُ مخلوق. وأصل الجهمية الكبير أنهم يقولون إن كل ما كان بعد أن لم يكن فإنَّه مخلوق، وعلى هذا فإنهم قالوا إن القرآن مخلوق، وعندما ألزمهم أتباع الأنبياء بلوازم، كقولنا لهم: قال الله ﴿لقد سمع الله قول التي تجادلك

=

قال بشر: أنا أقول إنَّه أحدث الأشياء بِقُدرَتِه، فقل أنت ما شئت.

قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقر بشر إن الله كان ولا شيء مَعَه، وأنه أحدثَ الأشياءَ بعد أن لم تكُنْ شيئًا بقُدرته، وقلتُ أنا إنه أحدثها بِأمرِه، وقولُه عَن قُدرَتِه، فلن يخلَّ -يا أمير المؤمنين- أن يكونَ أوَّلَ خَلقٍ خَلَقَه اللهُ تعالى بقولٍ قاله، أو بإرادَةٍ أرادَها، أو بِقُدرَةٍ قدرَها، فأيُّ ذلكَ كان فَقَدْ ثَبَتَ أن هاهنا إرادةً ومُريدًا ومُرادًا، وقولًا وقائلًا ومَقولًا، وقُدرةً وقادِرًا ومَقدورًا عليهِ، وذلك كلُّه مُتَقَدِّمٌ قَبلَ الخَلقِ، ومَا كانَ قبل متقدمًا فلَيسَ هو مِنَ الخَلقِ في شيءٍ.

قال عبد العزيز: ثم قلت: يا بشر، من ادعى للعلم ولم يحوه فحظه منه الجهل.

في زوجها﴾ أسَمِعَه قبل أن يخلقها؟ قالوا «نعم» قلنا وقوله ﴿ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا﴾ أقال: ﴿ولقد خلقتك من قبل﴾ قبل أن يخلقه؟ فقالوا «نعم»! كل ذلك لأنهم لو أقروا أن الله فعل فعلا لم يكن فعله من قبل؛ فهذا دليل عندهم أن الله مخلوق! وهذا الذي علمتهم اياه الفلاسِفة وضحكوا عليهم به، فوالله لو أنهم تعلموا أصوات البهائم لكان خيرًا لهم من أن يتعلموا هذه الفلسفة التي ظنوها عِلمًا، فأخرجتهم مِن الدين. وسيحتج عليهم عبد العزيز الآن بأنَّه إذا لم يكن فعله الذي فعله بقدرته مخلوق؛ فكلامه الذي تكلَّم به بقدرته غير مخلوق أيضًا.

كَسَرتُ واللهِ -يا أمير المؤمنين- قولَ بشرٍ، وَدَحَضتُ حُجَّتَه بإقرارِه بلِسَانِه، فقد كسرتُ قوله بالقُرَان والسنةِ واللغةِ العربية، والنظرِ والمعقولِ، ولم يبق إلا القياس، وأنا أكسره بالقياسِ إن شاء الله تعالى.

[فصل: كسر قولهم بالقياس]

قال عبد العزيز: وكان المأمونُ قد جَلَسَ منَّا مقعَد الحاكم مِنَ الخصمَينِ، فقال المأمون: هاته يا عبد العزيز في القياس وأوجِزه.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، لو كان لبِشرٍ غُلامَان، وأنا لا أجِدُ علمهما من أحَدٍ مِنَ النَّاسِ إلا مِن بشر. يُقال لأحدهما: خالدٌ، وللآخر: يَزِيدُ، وكانَ بشرٌ غائِبًا عني، فكتب إليَّ ثمانيَةَ عشرَ كتابًا يقول في كُلِّ كتابٍ منهَا: «ادفع إلى خالدٍ غُلامي هذا الكِتابَ» وكَتَبَ إليَّ أربَعَةً وخمسين كتابًا يقول في كلِّ كتابٍ منها: «ادفع إلى يزيدَ-ولم يقل: (غلامي)- هذا الكتاب»، ثم كتب إلي كتابًا جمعهما فيه فقال: «ادفع إلى خالدٍ غُلامِي، وإلى يزَيد هذا الكتابَ» ولم يقل: «يزيد غلامي» ثم قّدَمَ بِشرٌ مِن سَفَرِه، فقال لي: «أليس تعلم أن يزيدًا هذا غلامي؟» فقلت له: «قد كتبتَ إليَّ أربَعَةً وخمسينَ كِتَابًا تقولُ في كُلِّ كتابٍ منها «ادفع هذا الكتاب إلى يزيد» ولم تقل «غلامي» ولم أسمعْكَ تقول إنه أحدُ غُلامَيكَ، وأنا فلم أجد علمَه عن أحدٍ غيرك،

وكتبتَ إلي ثمانية عشر كتابا تقول في كل واحد منها: «ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب» فعلمتُ أنه غلامُك، ثم كتبت إلي كتابا جمعتهما فيه فقلت: «ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد» ولم تقل: «غلامي» فَمِنْ أينَ أعلمُ أنَّ يزيدًا غلامُك وأنت لم تَقُل لي قبلَ هذا الوقتِ إنه غلامُك فمن أين أعلمُ خبرَهُما مِن غيرك؟ فقال: بشر «فَرَّطْتَ»[1] فحلفتُ أنا أن بِشرًا فرَّطَ. وحلفَ بشرٌ أني أنا فرَّطتُ حيثُ لم أعلمْ أنَّ يزيدًا غلامُه مِن كُتُبِهِ، فأيُّنَا المُفَرِّطُ يا أمير المؤمنين؟

فقالَ المأمون: بِشرٌ والله هو المُفَرِّطُ.

فقال بشر: وأيُّ شيءٍ هذا مما نحن فيه؟

قال عبد العزيز: إن الله أخبر في كتابِهِ عن خَلقِ الإنسانِ في ثمانِيَةَ عشرَ موضعًا، ما ذَكَرَه في موضع منها إلا أخبَرَ عَن خَلقِهِ.

قال عبد العزيز: إن الله أخبر في كتابِهِ عن خَلقِ الإنسانِ في ثمانِيَةَ عشرَ موضعًا، ما ذَكَرَه في موضع منها إلا أخبَرَ عَن خَلقِهِ.

---

(١) قصَّرتَ في كونه لم تعطِه ليزيدَ.

ثم جَمَعَ بينَ القُرَان والإنسانَ في مَوضعٍ واحِدٍ وأخبَرَ عَن خَلقِ الإنسانِ، ونَفَى الخَلق عن القُرَان، فقال عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٢﴾ [الرحمن ١-٣] ففرَّقَ بينَ القُرَان وبين الإنسانِ في موضع واحد، فزَعَمَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنينَ أن اللّهَ عز وجل فرَّطَ في الكتابِ، وكان يَجِبُ عليهِ أن يُخبر عن خلقِ القُرَان، وقال الله عز وجل: ﴿مَا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فهذا كَسرُ قول بشرٍ بالقياس.

فقال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبد العزيز.

ثم أمر لي بعشرة ألاف درهم، فحَمَلْتُ بينَ يَدَيَّ وانصرفتُ مِن مجلِسِهِ على أجمل حالٍ وأحسنها، قد أعزَّ اللّهُ دينَ الإسلامِ، وعز أهلُه، وأذلَّ الكُفرَ وأهلَه فله الحمدُ والشكرُ على نِعَمِه كلِّهَا، وعلى منه وتوفيقِه وتسديدِه.

[ما جرى له بعد المناظرة]

قال عبد العزيز: فسُرَّ المُسلِمُونَ جميعًا بِمَا وهَبَهُم اللهُ من إظهارِ الحَقِّ وقَمعِ الباطِلِ، وانكَشَفَ عن قُلوبِهِم ما كان قد اكتَنَفها من الغَمِّ والهَمِّ والحَزَنِ، وجعل الناسُ يجيئونَ إليَّ أفواجًا حتى أغلَقتُ بابِي واحتَجَبْتُ عنهُم خوفًا على نفسِي وعليهِم مِن مكروهٍ يلحَقُنَا، فقالوا: لا بُدَّ أن تُملِي علينا ما جرى لنعرِفَه ونَتَعَلَّمَه، فنهَيت عن ذلكَ، وتَخَوَّفْتُ سُوءَ عاقِبَته، فلَمَّا ألَحُّوا عليَّ؛ قلتُ: أنا أذكر لكم بعضَ ما جرى مما لا يكونُ عليَّ حجةٌ في ذِكرِه؛[١] فرضوا بذلك، فأمليتُ عليهِم أوراقًا يسيرةً مِقدارَ عشرِ أوراقٍ مُختَصَرَةً ممَّا جرى لأقطَعَهُم بِها عني وعن مُلازَمَةِ بابِي، ولم يتهيَّأ لي شرحُ هذا كلَّه لِمَا تخوَّفتُ على نفسي مما يلحقُني بعضُه، وأنا أذكُرُ ما لحِقَني بعدَ هذا المجلسِ وما جرى عليَّ بسبب تلك الأوراقِ التي كتبَها الناسُ عنِّي في كتابٍ مُفرَدٍ بعدَ هذا إن شاء الله تعالى.[٢]

---

(١) مما لا يُغضِب عليَّ الأمير فيُؤذيَني.

(٢) هنا كلام جعلته في فصل [إنكار جهمي علم الله].

والحمـــــــــــــــد لله وحــده

وصلواته على محمد نبيه

وآله وصحبه.

الكتاب الثاني

من الحيدة والاعتذار

[تحريض الجهميَّة المأمونَ على عبد العزيز]

[قال عبد العزيز:] وها أنا أذكر ما جري لي بعد هذا المقام مما تطيشُ فيه الأحلامُ وينقطع الكلام، وبالله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظم، والحمد لله وحده.

قال عبد العزيز بن يحي الكناني:

ثم انصرفت من مجلس أمير المؤمنين المأمون في اليوم الذي جري بيني وبين مجلس بشر بن غياث المريسي ما جري في القُرَان وما أظهر الله تعالى من كسرِ قولِه ودحضِ حجته وبطلان مذهبه، ووقف أمير المؤمنين وسائر الأولياء وأهلُ الفقه والقُرَان وأصحابُ الحديثِ ومَن بحضرة مدينة

السلام[١] من سائر الناس على ذلك، وما أعز الله به الإسلام وأهلَه وأذل الكفرَ وأهله وجميعَ أهلِ الضلالة والرَّدَى والدعاةِ إلى مخالفةِ الإسلام ونقض أخبار القُرَان والتشبيه على عباد الله تعالى، فَقَوِيَت قلوبُ المؤمنين، وظهر سرورهم، وعلا الحقُّ وظَهَرَ به القولُ، وامتَحق الباطلُ وأُخفي به الصوتُ، وكَبَتَ الله عز وجل أعداءه.

قال عبد العزيز: وصار إليَّ جماعةٌ من الإخوانِ والشركاءِ في الدِّينِ فسألوني أن أُمليَ عليهِم ما جري بيني وبين بِشرٍ المَريسي، ليتعلموه ويتعارَفُوه ويُشيعوهُ ويكتبوا به إلى الأمصار، فدفعتُهم عن ذلك، وأعلمتُهُم ما عليَّ فيه = وما أتخوفُّه على نفسي من أمير المؤمنين إن بلغَه ذلكَ، وأعلمتهم أن عامة من بحضرته قد اغتم بما جري من إعزاز الله لدينه وتسديده إياي وتوفيقه لي، وما انصرفتُ عليه من جميلِ الحال، وإنهم لا يَدَعُونَ التسببَ إليَّ بمكروهٍ بكل ما يجدون السبيل إليه، وإن هذا مما يتهيأُ لهم به كل شيء، يرونه من التشنيعِ والإغراءِ بِي = فدفعتهم عن ذلك فأبوا عليَّ، وقالوا: «هذا مما لا يَحِلُّ كِتمانُه ولا سَترُه، إذ كان الخَلقُ في حَيرة لا يعرفون ما الحُجَّة فيما هم مُتمَسكونَ به مِن الحقِّ، ولا كسرَ

---

(١) يعني: بغداد.

أهلِ الباطِل والضلال ودحض حجتهم» وأكثروا عليَّ ولم يَدَعُوني حتى أمليتُ عليهم بعضَ ما جرى بيني وبين بِشرٍ وحذفتُ أكثرَ المجلِس وعامةَ الكلام، واقتصرتُ على بعض ذلك ليقِلَّ التشنيعُ عليَّ، وكتبَه عني خلقٌ كثيرٌ، وكتبهُ قوم عن قومٍ، وشاع وذاعَ وكثُر في أيدي الناسِ، وكُتِبَ بهِ إلى سائر البلدان والأمصارِ، وظَهَر القولُ بِه، واتصلت بهم الأخيار،[1] فشقَّ ذلك على بِشرٍ المريسي وأصحابِه وسائرِ مَن يقول بقولِه ويعتقدُ مذهبَهم، وغلُظَ عليهم وعظُم عندَهم ما ظهر للناسِ من كَسرِ قولِهم ودحضِ حجتهم وفضيحةِ مذهبهم، فاجتمعوا عليَّ وتآمروا وتشاوروا فيما قد نزَل بهم، فاجتمع رأيُهُم على إعلامِ أميرِ المؤمنينَ وإغرائِه[2] بي، واستعدُّوا لِيومِ مجلسِه الذي يجلسُ فيه في بيتِ الحكمة = وكان له مجلسٌ في كل جمعة يجتمع فيه أهلُ الحديثِ والفقهِ والعَربية، وأهلُ النظر وأصحابُ الكلام، ويقعدُ المأمونُ مِن وراءِ السِّترِ بحيث يسمعُ كلامَهم ومناظرتهم لبعضهم البعض، ولا يخفى عليه منها شيء = فاجتمعوا جميعًا على رأيٍ واحدٍ، فلمَّا تكامَلَ بهِم المجلس وقعدَ أميرُ المؤمنينَ حيث كان يقعد؛ أمرهم الخادمُ

---

(١) أي وصل إليهم.

(٢) الإغراء هو التحريش والاستعداء.

بالكلام حسبَما كان يفعلُ قبل ذلك اليوم، فقالوا جميعا: «يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاك- لم يبقَ فينا للكلامِ موضعٌ لِمَا قد لحقَنا في أنفسنا من المَكروهِ والذُّلِّ وتوثُّبِ العامةِ علينَا وندائِهم علينا في المساجد والأسواق والمواضع والطرق، وقد ضاق هذا البلد مع سعته علينا.

فقال لهم المأمون: وممَّ ذلك؟

فقالوا له: يا أميرَ المُؤمنين، مما يفعلُ ذلك الجاهلُ عبدُ العزيزِ المكي، فإنه خرجَ من مجلسِ أمير المؤمنين -أطال الله بقاه- واجتمع عليه العوام والغوغاء واللَّفيفُ، فأملى عليهم ما جري في مجلسِ أمير المؤمنين، وزاد عليه مثليه مما لم يكن، ولَم يزَل يتجمَّلُ عندَهُم ويتسوَّقُ ويقول بين كلِّ كلمتين: «قال لي المأمون» و«قلت للمأمون» و«قال لي بشر» و«قلت لبشر» ولا يفرق بين أمير المؤمنين وبين غيره بدعاء لأمير المؤمنين، ولا يذكر الخلافة وجلالتها ولا يذكر اللقب،[1] فأزال هيبة أمير المؤمنين من قلوب الرعيَّة وأغراهم بسائرِ أوليائه وخدَمه وحَشَمِه، وجميعِ أهل النظر مِن

(١) يريدون أن يحرِّضوه عليه بأن يقولوا إن عبد العزيز يتكلَّمُ عن المأمون كما يتكلم عن عامة الناس، فلا قول عنه «أمير المؤمنين» أو «الخليفة». وهذه عادة أهل الباطل في استعداء السلاطين على أهل الحق.

أوليائه وعبيدِه، وأمرَهَم أن يشيعوا ذلك ويذيعوه ويكتبوا به إلى سائر الأمصار، ووضع لنفسه كتابًا ترجمَه[1] «كتابُ الحَيدَة» وأقعَدَ جماعةً من الورَّاقينَ في مسجدِه فنسخوه للناس نُسَخًا.

ولم يزالوا يُكثرون عليه ويغَلِّظونَ بقلبِه ويُعظِّمون الأمر عنده حتى أغاظَه ذلكَ، فأمر بعضَ الخَدَمِ بإحضاري، فجاءني الخادم ومعه جماعة، وقد كنتُ قبل ذلك استترت في بيتي، وأغلقتُ بابي ومنعتُ الناسَ من المجيء إليَّ، فلم يوافق مجيئه أحدا على بابي ولا في مسجدي، فدق علي بابي، فأعلمت بمكانه فخرجت إليه مسرعًا، فقال: «أجب أمير المؤمنين» فقلت: «السمعُ والطاعة لأمير المؤمنين» وكنتُ مُتَرقبا لذلك ومتخوفًا مِنها، فركبت معه فصِرتُ إلى دار أمير المؤمنين، فأدخلني وقد جلس أمير المؤمنين وهم بحضرته في بيت الحكمة، فلما رأيته أنكرتُ وجهَه وعلمتُ أنه مُغضَبٌ.

---

(١) ترجمه: أي سمَّاه.

[استجواب المأمون لعبد العزيز]

فلما صرتُ بين يديه أقبل علي وقال: يا عبد العزيز، تُخرِجُ خبري، وتتحدَّثُ عمَّا كان في مجلسي، وتَتَفَكَّهُ بذِكري، وتقول: «قال لي المأمون» و«قلتُ للمأمون»(١) وتزيدُ في القولِ عليَّ، وتضعُ الكُتُبَ، وتجمَعُ العوام وتغريهم بأوليائي،(٢) وتكفرُهم وتذكر كسرَ قولِهم وبُطلانَ مذهبهم، وإنما كان ذلك لِمَا أظهرتُه من تقريبكَ وإيناسِك وتصديقِكَ وتخييرِ كلامك ومنعِ المناظرين من إقامة الحجة عليك، وإنما جرى الكلامُ في جزء من أجزاء كثيرةٍ مما عندَهُم، ومما يقولونُ إنهم يكسرونَ به قولكَ ويدحضونَ به حجتك، [ولو عدلتُ عمَّا ظهر لك مني لَمَا انطلَقَ لسانُك][٣] ولا انشرح صدرُك ولَتَدَعْدَعَ(٤)ما في قلبِك، ولَوَقرَ في قلبك من الرِّيبةِ ما يُنسيكَ حُجتك ويذهب بفهمك، ولكني بسطتُ لك حتى أنِستَ إلى بَسطي، وقويت على خصمك بِعَدلي ودقةِ فَهمي ومعرفتي بلُغةِ قَومي، فضربتَ

---

(١) أي تتكلم عن الأمير وكأنك صاحبه.

(٢) أي: تحرضهم على جلسائي كبِشرٍ وأمثاله.

[٣] الكلام في المخطوط غير مفهوم.

(٤) الدعدعة: تحريك الإناء وهزُّه لكي يرسخ ما في داخله فيه وينضغط.

خصمك بسيفي، وظهرتَ عليهِ بظهورِ إقبالي عليكَ، أفكان هذا جزاءً منك بجميل فعلي، أم كُفرانًا لنعمتي، أم جراءةً منكَ على عُقوبتي، أم اغترارًا منكَ بقديمِ حِلمي وصفحي عما كان من عظيم زلَّتِكَ الأولى من قِيَامِكَ في المسجدِ الجامع والقول بخلاف مذهبي؟

فقلت: يا أميرَ المؤمنين أطال الله بقاك، شأني أصغرُ مِن هذا، وأنا بنفسي أحقرُ من أن أتعرضَ لمخالفة أمير المؤمنين والخروجِ عن أمره ونهيه.

وإنَّ اللّهَ تعالى -وله الحمد- اختار الخفاءَ لِخَلقِه ولإقامةِ دينه والذَّبِّ عن محارمِه والاتباعِ لأمره والاجتنابِ لنَهيِه، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنكَر، وَوَصَفَهُم في كتابِه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بأحسن صفة، وأثنى عليهم بأجمَل الثناءِ، وخصهم بأكرم الأخلاق وأظهرها وأشرفها وأرفعِها، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١] فأخبر جل ذكره عن وعده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض، فسبقت الصفة لهم والثناء عليهم قبل استخلافهم فثبتت بذلك الحجة من الله لهم ثم شهد لهم بما يكون منهم بعد استخلافهم، فهو مما هو موافق لما تقدم من إعمال الصالحات التي أجملها في وصفهم فقال جل وعز: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١] فشهِدَ لهم بما يكون من أعمالهم بعد استخلافهم، وكان ذلك موافقا للخبر الذي قدمَه لهم قبل استخلافهم فثبتت الصفةُ مِن اللهِ لهم قبل استخلافِهم وبعد استخلافهم، فمن أصدقُ من اللهِ قيلا، ومن أصدق من الله حديثا.(١)

---

(١) وهذا الكلام الذي قاله الشيخ عامٌّ يظهر أنَّه يعرِّضُ به لاسترضاء المأمون، لأن الآيات ليست في الشهادة للحكام بالصلاح، بل قال الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾، الآية، وهذا وعدٌ لِمن آمن وعمل الصالحات بأن يُستخلف، وليست وصفًا لكلِّ مَن استُخلِف، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١] فالآية وعد بنصر مَن هذه صفته، وليست وصف مَن تولَّى الحكم. وإلا

=

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر المؤمنين جميعًا بطاعتهم، وتعبَّدهم[١] بها وأوجبها عليهم وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعلها نظامًا واحدًا لم يفرِّق بين ذلك بشيءٍ، فمن أطاع أولي الأمرِ فقد أطاعَ اللّهَ عز وجل، ومَن عصاهم فقد عصى الله عز وجل، وبذلكَ أمرَ رسولُ الله ﷺ في أحاديث كثيرة صحتِ الروايةُ عنه فيها، وطاعةُ أمير المؤمنين على الخلقِ مفترضَة واجبةٌ، ومن خَرَجَ عنه فقد خَلَعَ ربقَة الإسلام مِن عنقه.[٢]

[مما ذكر للمأمون في النَّسَبِ الشَّريف]

وروى زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال «إني تارك فيكم الثقلين،

فقد تولَّى الحكم زنادقةٌ على مرِّ التاريخ، والمأمون مِنهم. ولهذا كان كلام عبد العزيز عامًا في الخلفاء، ولعله قصد الصالحين، وساقه بهذا السياق استرضاءً للمأمون واجتنابًا لشَرِّه.

(١) الله تعبَّدنا بكذا: أي جعل ذلك الأمر بالنسبة لنا عبادة أمرنا بها.

(٢) الرِّبقة: هي الحبل الذي يُربَطُ في العنق، فمَن خلعَ رِبقَةَ الإسلامِ؛ فقد تَرَك التَّبعة له، وفارَقَ جماعةَ المسلمين.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ».[١]

وقال أبو سعيد الخدري سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومَه، بلى والله، ان رحمي موصولة في الدنيا والاخرة».[٢]

وقال جعفر بن محمد عن أبيه قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «لا تهنوني؟ فقلنا: بماذا؟ قال: تزوجتُ بنتَ بنتِ رسول الله ﷺ(٣) وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي)».[٤]

---

[١] رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم بلفظ مختلف وهو: وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: «أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

قال السندي: الثَّقَل: بفتحتين: كل شيء نفيس مصون.

[٢] رواه أحمد (١١١٥٤) وقال شعيب: «صحيح لغيره» ورواه الحاكم (٧١٥٣) وقال: «هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه» وقال الذهبي: «صحيح»

(٣) وهي أُمَّ كُلْثُومٍ بنت علي وفاطمة.

[٤] رواه عبد الرزاق (١٠٣٥٤) وسعيد بن منصور (٥٢٠) بإسنادين منقطعين، ورواه أحمد في فضائل

=

وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «كانت امرأة من بني هاشم عند رجل من قريش، فقال لها ذات يوم: والله لا تغني عنك قربتك من رسول الله ﷺ شيئا، قال: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فصعد المنبر مغضبا فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تغني شيئا، فو الذي نفسي بيده إنه لترجو شفاعتي صُدَا وَسَلْهَبُ(١)»[٢]

فهذه رحِمُ أمير المؤمنينَ، وهذا نسبه وقرابته الموصولة في الدنيا والآخرة.

الصحابة (١٠٧٠) وفي إسناده بشر بن مهران وقد تركه أبو حاتم.

(١) صُدَا وَسَلْهَبُ: حيَّان مِن أحياء اليَمَن. والمعنى: هؤلاء سيرجون شفاعتي فكيف بأقارِبي! كما جاء عند الشجري في ترتيب الأمالي: «أَتَرْجُو سَهْلَبُ شَفَاعَتِي وَلَا يَرْجُوهَا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

[٢] والحديث إلى قوله «يزعمون أن قرابتي لا تغني شيئا» ذكره الهيثمي في مَجمَع الزوائد (١٣٨٢٧) وقال: «رواه البزار وفيه إسماعيل بن يحي بن سلمة بن كهيل وهو متروك».

ورواه ابن عَدي في الكامل في ترجمة عَبد الله بن جعفر بن نجيح، وقال: وقال عَمْرو بن علي، وَعَبد الله بن جعفر بن نجيح أبو علي المديني ضعيف الحديث. وقال النسائي عَبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن المديني متروك الحديث.

وأما الجملة الأخيرة فقد ذكرها الهيثمي، وقال: «وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثَّقه ابن حِبَّان، وضعْفه أبو حاتم؛ وبقية رجاله ثقات».

وقال عبد الملك بن الحارث بن نوفل: لقيني أبو هريره رضي الله عنه، فأخذ بيدي ثم قال: يا ابن الحارث إن لي إليك حاجة، قال قلت: وما حاجتك يا أبا هريرة، قال: أحب أن تضمنها لي، قال قلت: وما هي؟ قال قلت: أن تشفع لي يوم القيامة، قال قلت رحمك الله تقول هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل رجل من ولد عبد مناف شفاعة يوم القيامة».[١]

وقال عبد الله بن عباس: جاء فتيان من بني هاشم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليك استعملنا على الصدقة حتى نصيب منها كما يصيب غيرنا، فقال النبي ﷺ: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ولكن إذا دفعت إلى مفاتيح الجنان فهل تروني أوثر عليكم أحدا».[٢]

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل

---

[١] في نسخة: عبد المطلب. ولم أجده.

[٢] قال العقيلي في الضعفاء الكبير ج٢ ص.٢٣٩: «أَمَّا أَوَّلُ الْحَدِيثِ فَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَآخِرُهُ لَا يُحْفَظُ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ» وذكره في ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح.

بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوضَ»[١]

ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب، قال رسول الله ﷺ: لم يبقَ على وجه الأرض مؤمن بين النبيين إلا العباس وهو عمي وهو ابن إسماعيل بن إبراهيم، فلم يكن في الأمة كلها مؤمن بين نبيين إلا حمزة والعباس عمَّي رسول الله ﷺ»[٢] وهما أبواه وهما ابنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وسبطان في أطهر نسب،[...][٣] في أرفع بيوتات العرب.

وقال عكرمة: أتى العباس بن عبد المطلب النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو اذنت لي فأتيت قريشًا فدعوتهم فأمنتهم وجعلت لأبي سفيان شيئا يذكر به، فانطلق العباس فركب بغلة النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ردوا على أبي فإنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، فاني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيفُ بعروة بنِ مسعود، دعاهم إلى الله تعالى فقتلوه، ثم قال: أما والله لئن

---

[١] رواه أحمد (١١٢١١) وقال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح دون قوله: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ورواه الحاكم (٤٥٧٦).

قال السندي: الثَّقَل: بفتحتين: كل شيء نفيس مصون.

[٢] لم أجده.

[٣] كلمة غير مفهومة.

ركبوها لأضرمنها عليهم نارا».[١]

وقال ابن عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق سماوات سبعًا، فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه، وخلق الأرض سبعا فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه من خلق بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار العرب، ثم اختار العرب فاختار مضر، ثم اختار بني مضر فاختار قريشًا، ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيار من خيار».[٢]

وأمير المؤمنين -أطال الله بقاه- من خيار الخيار، ثم اختاره الله عز وجل وارتضاه لخلقه، فصار خيار الخيار، فأتمَّ الله تعالى لأمير المؤمنين نعمه وسوغه إياها لشكره، وجعل ما قلَّده من هذا الأمر رشيدا وعاقبة ما يورثك الله حميدًا.

---

[١] رواه عبد الرزاق (٩٧٣٩) ابن أبي شيبة (٣٦٩٠٢)

[٢] قال أبو حاتم الرازي: «هَذَا حديثٌ مُنكَرٌ» [«العلل» لابن أبي حاتم ج. ٦، ص. ٤٠٢ ت الحميد].

[مما ذكر للمأمون في العفو]

قال عبد العزيز: فرأيت المأمون قد أطرق[١] يستزيدني من الكلام وقد سكن غضبه، وأحبَّ ان أتكلم بما يُخرج ما في نفسه، فجعلت أتكلمُ بما يجري على لساني ويوفقني الله تعالى له.

فقلت: قال الله تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالي: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) أطرق: سكت.

فلما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، خرج وهو يقول: «أمرني ربي أن آخذ العفو من أخلاق الناس».[١]

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله يوم القيامة قلبَه رضا».

وقال أبو هريره رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظًا وهو يقدِر على إنفاذه؛ ملأه الله أمنا وإيمانا» [٢]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما جرع عبد جرعةً أعظمُ أجرًا عند الله من جُرعة غيظٍ كظمها ابتغاء وجه الله

[١] في صحيح البخاري (٤٦٤٤): نْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ العَفْوَ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاسِ، أَوْ كَمَا قَالَ».

[٢] قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص. ١٠٧٢): حَدِيث «من كظم غيظا وَلَو شَاءَ أَن يمضيه أَمْضَاهُ مَلأ الله قلبه يَوْم الْقِيَامَة رضَا» وَفِي رِوَايَة «أمنا وإيمانا» أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا بالرواية الأولَى من حَدِيث ابْن عمر وَفِيه سكين بن أبي سراج تكلم فِيهِ ابْن حبَان وَأَبُو دَاوُد بالرواية الثَّانِيَة من حَدِيث رجل من أَبنَاء أَصْحَاب النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن أَبِيه، وَرَوَاهَا ابْن أبي الدُّنْيَا من حَدِيث أبي هُرَيْرَة وَفِيه من لم يسم.

عز وجل». [١]

وقال عبد الله بن عباس قال رسول الله ﷺ: «ان لجهنم بابًا لا يدخله إلا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى» [٢]

وقال أنس بن معاذ الجهني قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه؛ دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق يخيره في أي الحور شاء». [٣]

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرَّ رسولُ الله ﷺ وناس يتجاذبون مهراسا(٤) فقال: «أتحسبون أن الشدة في حمل الحجارة إنما الشدة أن يمتلئ أحدكم غيظا ويغلبه». [٥]

---

[١] رواه ابن ماجه (٤١٨٩) قال الألباني: «صحيح».

[٢] قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص١٠٤١): «أخرجه الْبَزَّار وَابْن أبي الدُّنْيَا وَابْن عدي وَالْبَيْهَقِيّ وَالنَّسَائِيّ من حَدِيث ابْن عَبَّاس بِسَنَد ضَعِيف».

[٣] رواه أحمد (١٥٦٧٥) وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

(٤) المِهْراس حَجَر مستطيل منقور يُتَوضأُ منه ويدق فيه.

[٥] رواه ابن المبارك في الزهد (٧٤٠) وقال الألباني: «ضعيف».

وقال الشعبي: «لم يعرف قدرَ الأئمةِ من لم يُجَرِّعْهُ الحِلمُ غُصَصَ الغيظ».

وقال علي بن زيد بن جُدعان: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا، ثم قال: «أردتَ أن يستفزني الشيطان بعزِّ السُّلطانِ، فأنال منك اليوم، ما تناله مني غدًا».[١]

وقال عبد الله بن عمر قال رجل لعمر بن الخطاب رحمه الله: «والله ما تقضي بالعدل، ولا تُعطي الجَزْلَ» فغضب عمر حتى عُرف في وجهه الغضب، فقال له رجل في جنبه: «يا أمير المؤمنين ألم تسمع الله يقول: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهذا من الجاهلين»(٢) فقال عمر: «صدقت صدقت، قد عفوت قد عفوت».[٣]

---

[١] رواه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص٤٠٥) وأسنده ابْنُ الآبَنُوْسِيّ البَغْدَادِيُّ «مشيخة الآبنوسي» (١١٢) بإسناد غير ثابت، لكنها قصة مشهورة.

(٢) الجاهل معلوم، وهي تستخدم فيمن يتصرَّف تصرفاتٍ هوجاء.

[٣] رواه عبد الرزاق في الكتاب المطبوع باسم «جامع معمر بن راشد» (٢٠٩٤٦) وإسناده صحيح.

وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب الحليم الحيي الغني».[١]

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «الحليم محببا في الناس مسوَّدٌ في الدنيا مرضي القول عند الله تعالى».[٢]

وقال عبد الله بن عباس: «الحلماء قليل والجهال كثير، فمن رد الجهل بحلم فقد أخذ بالفضل والأجر، وبُشِّر بالتي يرجى ذخرها وتحمد عاقبتها، ومَن رد الجهل بجهلٍ مثله فقد انتصر».[٣]

وقال الشعبي: «ما رأيت الله تعالى نحَلَ في كتابه نَحلًا(٤) هو خير من الحِلم، إذ يقول: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

---

[١] رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٤٤) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْحَلِيمَ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ» مرسل. ورواه غيره من طرق أخرى غير ثابتة، وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٣١٤٨): «رواه الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغني الحليم المتعفف وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه».

[٢] لم أجده.

[٣] لم أجده.

(٤) نحل نحلا: أي أعطى عطيَّة.

وقال بعض الخلفاء: «إني لأرفع نفسي أن يكون لأحدٍ عندي ذنبٌ لا يسعُه عفوي، أو جهلٌ لا يسعُهُ حِلمِي، أو عورةٌ لا يسعها ستري».

وقال الأحنفُ بن قيس[١]: «يا أبا بحر، ما أحلمَك!» فقال الأحنفُ: «تعلمتُ الحلم من قيس بن عاصم، بينما هو ذاتَ يومٍ في مجلِسِه مُحتبِيًا بردائه يُحَدِّثُ القومَ؛ إذ أوتي بِقَتِيلٍ ومَكتوفٍ، فقيلَ له: «هذا ابنك قتله ابن عمِّك هذا المكتوف» فما قَطَعَ حديثه، ولا حلَّ حَبْوَتَهُ، فلمَّا فرغ مِن حديثه التفت إلى ابن عمِّه، وقال له: (أما إنك ما أضررت إلا نفسك، عصَيتَ ربَّكَ وقطعتَ رحِمَك، ونقصتَ عددك[٢]) ثم قال لابنٍ له: (قم فوَارِ أخاكَ وحُلَّ كِتافَ ابنِ عمِّك، وسُق إلى أمِّكَ مئة ناقةٍ ديةَ أخيك)».[٣]

قال عبد العزيز: فرأيتُ المأمونَ قد مسحَ بيدِهِ على وجهه ونَظَرَ إليَّ؛ فعلِمتُ أنه قد رجَعَ وكَظَمَ غيظَه، ثمَّ أطرقَ؛ فعلمتُ أنَّه يستزيدُني مِنَ

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ت٦٧هـ أو ٧٢هـ وهو مِن كبار التَّابعين، ثقةٌ في حديثه، وكان مِن أشرَافِ بني تميم، وممن سارت أخباره في الحِلمِ والفصاحة والشَّجاعة، بل كان مضرِبَ مَثَلٍ في الحِلم.

(٢) أي أنقصت عدد أقارِبِك الذين يؤازرونك في الشَّدائد.

[٣] رواه الجوهري (٨٠٤) في «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ١٦٥).

الكلامِ.

فقلت: قال عبد الرحمن ابن شبيب[١]: حدثني أبي أنه كان يطوف حول بيت الله الحرام، فلحِقَهُ أبو جعفرٍ المنصورُ، فأخذ بيدِه، ومسك يده في يده فطافا جميعا، قال فقلتُ: «يا أمير المؤمنين أتأذنُ لي أن أكلمَك؟» قال: «هات» فقلتُ: «إن الله جل ثناؤه يومَ قسم أقسامَه لم يرضَ لك منها إلا بأعلاها وأسنانها، فلا تجعل فوقك أحدًا في الدنيا، ولا ترض لنفسِكَ -إذ لم يجعل فوقكَ أحدًا في الدنيا- أن يكونَ فوقَكَ في الآخرةِ أحد.(٢) يا أمير المؤمنين، إن اللهَ اعطاكَ الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك من الله ببعضها. يا أمير المؤمنين اتق الله فإنها وصية الله اليكم جاءت، وعنكم قيلت، وإليكم ترد. يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرض من آل داود عليهم السلام وقد نفلهم الدنيا ورفعهم فيها، فلم يجعل ما أنفقوا إسرافا ولا ما أمسكوا

---

[١] في المخطوط «بن شيب» وهذا خطأ. وهو عبد الرحمن بنُ شبيب بن شيبة.

(٢) الموعظة التالية إلى قوله «ببعضها» أسندوها إلى عمرو بن عُبيد المبتدع المعتزلي، كما في «أنساب الأشراف للبلاذري» (ج٤ص٢٣١) ولم أجد ما بعدها. وكان عمرو من رؤوسهم، وكان يظهر التنسُّك، وله مواعظ. وبمثلِ هذا التنسُّكِ والتزهُّد وإظهار العِبادةِ يَروجُ أهلُ البِدَع عند الرُّعاع، فيغترون بإظهاره العبادة، أو بكونه لا مال له، حتى وجدت في زماننا ما لم أتوقعه، فعند تحذيري من بعض المبتدعة؛ يرد عليَّ بعض الناس بنقولات أن فلانا قال عنه إنه فصيح اللسان!

كنزًا، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٣٩﴾ [ص: ٤٠] ثم لم يرضَ منهم مع ذلك كلِّه إلا بالشُّكر، فقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٣] وإن شُكرَكَ في عبادِ الله انتُحسن إلى مُحسِنِهِم وتتجاوز عن مُسيئِهِم وتحلُم عن جاهِلِهم.

وقال المباركُ بن فَضَالَةَ: إني لعند أبي جعفر المنصور إذا أوتي برجل فأمر بقتله فقُلتُ: «يقتل رجل وأنا حاضر وهو من المسلمين»(١) فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ألا أحدثك بحديث سمعتُه من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلتُ: سمعتُ الحسن يقول: «إذا كان يوم القيامة، جُمِعَ الناسُ في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهُم الداعي وَيَنْفُذُهُمُ البصر، فيقومُ منادٍ من عند اللهِ فيقولُ: (لِيَقُمْ من له عند الله يد)، فلا يقوم إلا من عفا» فقال لي المنصور آللهِ(٢) لسمعتَه من الحسن؟ قلت: آللهِ لسمعتُه من الحسن، قال: خلوا عنه، فخلى عنه.[٣]

---

(١) يكلِّم نفسَه.

(٢) «آلله» بمَدِّ الألف: استحلاف بالله، والحلف بالجواب عليه يكون بنفس الكلمة.

[٣] أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج١٥ص٢٧٩. إلا أنه في الزهد لأسد بن موسى (٨٠) وفي سيرة الإمام أحمد بن حنبل، لابنه صالح (ص٦٥): «حَدثنِي من سمع الْحسن» وهو بكل حال مُرسَل.

وقال أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن الزبير: إني لَعند سليمان بن عبد الملك إذ دخل عليه أعرابي، فقال له سليمان: «تكلم يا أعرابي»، فقال: «يا أمير المؤمنين إني أكلمك بكلام فاحتمِلْهُ إن كرهتَه، فإنَّ وراءه ما تحبه إن قبلته» فقال له سليمان: «والله يا أعرابي، إنا لنجودُ بسَعة الاحتمال على من لا نرجو نُصحه ولا نأمن عيبه، فقل» فقال: يا أمير المؤمنين إذْ أمنتُ بادِرَةَ غضبِك فسأُطلقُ لساني بما خَرِسَتْ الألسِنَة عن غضبك به تأديةً لحقِّ اللهِ وحق إمامتِك، يا أمير المؤمنين، إنه قد تكنَّفَكَ رجالٌ أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دُنياكَ بدينِهِم، ورضاكَ بسخطِ ربِّهِم، خافوكَ في اللهِ ولم يخافوا اللهَ فيكَ، حربٌ للآخرةِ وسِلمٌ للدنيا، فلا تأتمِنهم على ما ائتمنَك اللهُ عليه، فإنهم لم يألوا للأمانة تضييعًا وللأمة خسفًا وعسفًا، وأنتَ مسؤولٌ عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تُصلح دُنياهُم بفسادِ دينِك وآخرتِك، فإن أعظمَ الناسِ غَبنًا مَن باع آخرتَه بدنيا غيرِه» قال: «فبكى سليمانُ بكاءً شديدًا».[١]

ودخل -يا أمير المؤمنين- ابنُ السَّمَّاك على أمير المؤمنين الرشيد، فقال له: «عِظْنِي وأوجِزْ» فقال له: «يا أمير المؤمنين، إنَّه ليسَ أحدٌ من هذا

---

[١] رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٦٨ص١٧٥) وابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج٢ص٤٢٤).

الخَلقِ إلا ولَه مَقامٌ بين يَدي اللهِ تعالى ومُنصرف، فانظر إلى أين يكون منصرفُك؛ إلى جنة أو إلى نار» فقال له الفضل بن الربيع -وهو قائم على رأسه-: «إلى أين يكون منصرفه؟! إلى جنةِ اللهِ ورضوانِه ومجاورةِ نبيه محمدٍ ﷺ» فقال له ابن السَّمَّاك: «يا أمير المؤمنين، لا يغرنك هذا مِن نفسِك، فإنك يومئذ لا تراه ولا يراك، وأنتَ أعلمُ بنفسِك» فبكى أمير المؤمنين بكاءً شديدًا.

ودخل -يا أمير المؤمنين- رجل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: «تكلم» فقال: «ما أتكلم به وقد علمتُ أنَّ كلَّ كلامٍ يتكلم به المتكلم وَبَالًا عليه إلا ما كان لله طاعة؟!» فبكى عبد الملك وقال: «يرحمك الله تعالى، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون ويتراحمون» فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن للناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصَصِ مرارتها وَمُعَايَنَةِ الرَّدَى فيها إلا مَن أرضى اللهَ بسَخَطِ نفسِه» فبكى عبد الملك حتى اشتد بكاؤه، ثم قال: «لا جَرَمَ، لأجعلنَّ هذه الكلمات نُصب عيني ما عشت» ثم كتبها بيده.[١]

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٠٥).

ودخل رجلٌ على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: «يا أمير المؤمنين، احذر قاتل الثلاثة» فقال عمر: «ويحك، وما قاتل الثلاثة؟» قال: «هو الرجل يأتي القومَ بالحديث الكذبِ فيقتُلُ الإمامُ ذلكَ بحديثِ هذا الكذاب، فيكونُ قد قتل نفسَه وصاحبَه وإمامَه» فبكى عمر رحمة الله عليه.[١]

قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: نظر عمر إلى رجل وقد أذنب ذنبا، فتناوله بالدرة فقال الرجل: والله يا عمر لإن كنتُ أحسنتُ لقد ظلمتني ولإن كنتُ أسأت ما علَّمتني، فقال عمر: صدقت، استغفر الله دونك، فافتد من عمر، والقى الدرة إليه، فقال: بل هبها لله عز وجل.

قال عبد العزيز: فبكى المأمون بكاء شديدًا، وأنا أتكلم لا أقطعُ الكلامَ حتى رأيته قد مسح وجهه بمنديلٍ فأمسكتُ وقطعتُ ما كنت فيه، فنظرَ اليَّ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنمّا بدأتُ بحق الله عليَّ بذكر ما خصَّ اللهُ بِهِ أميرَ المؤمنينَ مِن عظيمِ الأخلاقِ وجميلِ الأفعالِ، وما أوجبه الله تعالى على الخلق من طاعته، وصِلَته بما شرفه الله تعالى من الحِلم، وزيَّنَهُ

---

[١] رواه عبد الرزاق في الكتاب الذي طبع باسم جامع معمر بن راشد وهو جزء من المصنَّف (٢٠٦٤٥).

به مِن العلم، وكرَّمَه بالعفو، وأتبعتُ ذلك بما رُويَ عن آبائِه - رضوان الله عليهم- ليكونَ زائدا في نعم الله عنده، وموجدًا للصفح عما كان مني مِن جهل أو خطأ، فاني أعترِفُ بالذنبِ وأقرُّ بالإساءةِ وأستغيثُ بأمير المؤمنينَ وأسالُه الصفحَ والتجاوزَ، فإنَّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٢] والـ«عسى» من الله تعالى واجب، فأخبرَ تعالى باعترافهم[١] أنه يتوب عليهم ويغفر لهم لَمَّا اعترفوا على أنفسهم.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١١٠] فهذه أخبار الله تعالى عن نفسه أنه يغفرُ لِمَن اعترف واستغفرَ ولم يُصِرَّ على ما فَعَله، ثم أنا بعدَ هذا أعتذِرُ

---

(١) يعني: بسبب اعترافهم.

بِمَا يوجِبُ العذرَ لي، ويزيلُ عني اللومَ والحُجةَ في ما فعلتُ إن أذن أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاه- في ذلك.

فقال المأمون: قل ما تريد بما يبيَّنُ به عذرُك وتزيلُ فيه الحجة عنك فيما فعلت.

[قاعدة: عدم المنع يستلزم عدم الذنب]

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى ذَكَرَ الملائكةَ بأجمل ذِكر، ووصفهم فيه بأحسن صفة وامتدحهم بأفضل مِدحة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفار: ١٠-١١]

وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحريم: ٦] فأخبرنا الله تعالى عن طاعتهم له وقبولهم لأمره، وشهد لهم أنهم لا يعصونه وأنهم من خشيته مشفقون.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] فأخبرنا تعالى عن مُراجعتهم إياه فيما أعلمَهم أنه فاعِلُه، ومُعارضتِهم له فيما اختارَه، وتعريضِهم بأنفسهم لطَلَبِ الخِلافة وأنهم أحقُّ بها ممَّن اختاره، وهم أهلُ طاعتِه الذين قد أثبتها اللهُ تعالى لهم ونفى عنهم العصيان، وكان فعلُهم هذا ومراجعتُهم إياه عندهم مباحًا مُطلقًا غيرَ محرمٍ ولا محظورٍ لأنه لم ينههم عنه قبلَ ذلكَ ولم يحظره عليهم، فعلِمُوا بإمساك الحظر[1] عليهم ما لم يرضه منهم،[2] فأراد تعالى أن يثبت عليهم الحجة، ويعلمهم أن آدم عليه السلام أحق بالخلافة منهم، وأن مراجعتهم إياه مما قد كرهه منهم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى

(١) إمساك الحظر: أي عدم ذكر الحظر.

(٢) أي علموا أن ما حظره فإنه لا يرضاه، وما لم يحظره فإنه مباح.

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣١] يعني في قولكم أنكم أحق بالخلافة من آدم: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١]. فاعترفوا بالعجز عن علم الله وعما لم يعلمهم الله تعالى، قال: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فدل هذا على أنه امتحن الملائكة بالمسألة عن الأسماء التي عجزوا عن علمها وعَلِمَها آدم عليه السلام، ثم سأل آدمَ فأنبأهم بها ليُعلمهم فضلَ آدمَ عليهم بالعلمِ الذي أودعه إياه وأنه أحق بالخلافةِ مِنهُم لفَضلِ علمِه، وأثبَتَ الحُجَّةَ عليهِم من أنفُسِهم، وبإقرار ألسنتِهم، وباعترافِهم بالعجزِ عما علمَه آدمُ، وأنه كان أعلمُ بما اختارَه مِنهم، ثم أعرضَ عنهُم بعدَ إثباتِ الحُجَّة عليهم، حتى لاذوا بالعرش وطافوا حوله واستغفروه فغفر لهم،[١] ولم نجد الله تعالى ذمَّهم فيما كان من أمر مراجعتهم إياه، ولا ألزَمهم ذنبًا ذَكَرَه عنهم، ولا خرجوا بمراجعتِهم إياه

---

[١] رواه أبو الوليد الأزرقي في «أخبار مكة» (ج١ص٢٢) عن علي السجاد ابن الحسين وفي إسناده عليُّ بن هارون العجلي، ولم أجد له ترجمة، وفيه "القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري" وهو ضعيف.

من صفتِه ومِدحَتِه لهم، إذ كانوا إنما عملوا ذلك بإمساك الحَظر عليهِم، وهم عندَ أنفسِهم غير حَرِجين ولا مأزورين، ولقد تمت مِدحةُ اللهِ لهم وصفتُه لطاعتهم، إلى أن بعث اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ وهو آخرُ الأنبياء، وامتدحهُم في كتابِه الذي أنزله عليه -وهو القُرَان- وأخبره بكرامَتِهِم عليه وأنهم لا يعصونَه ولا يَخرجون عن طاعته.

ولم يزل الأنبياءُ أجمعون بعد الملائكةِ يعملونَ فيما لم يُنهوا عنه ولم يحرَّم عليهم بإمساك الوحي عنهم، حتى إذا نُهوا عن شيء أو حُظِر عليهم فعلُه؛ انتهوا عنه، فلم يفعلوه ولم يقربوه وتجافوه وجانبوا من أتاه أو فعله.

فكان آدم ﷺ أول الأنبياء خلقًا خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه، واصطفاه لنفسه، وأسجد له ملائكتَه، وأسكنه جنتَه.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩].

و قال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] فمن يبلغ عقلُه أو فَهمُه أن يصفَ قَدرَ منزلةِ آدمَ عليه السلام عند ربه وقد أسجد له صفوتَه وأهلَ الكرامةِ عليه مِن خلقِه، ثم أسكنه الجنةَ وأباحَه إياها يأكل منها ما تمنى حيثُ شاءَ مُباحًا مُطلقًا غيرَ ممنوعٍ ولا محظورٍ عليه، ولا حرجَ عليهِ في ما يفعل، فقال تعالى: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥] فأخبر تبارك وتعالى أنه أباحهما الجنة يأكلان من حيث شاءا، ثم أمرهما ونهاهُما، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: ٣٥] في غير موضع من القُرَان.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: ١١٧] فلما جاء الأمر والنهي ووقع التحريم والحظر عليهما، كانا بذلك ممنوعَين مما كانَ مُباحًا لهُما مطالبَين بالأمرِ

والنهي، وقد أعلمَهُمَا اللهُ عز وجلَّ أنهما إن خالفا أمرَه وارتكبا نهيَه؛ كانا من الظالمين، فأوجبَ عليهما بهذا الخبرِ الطاعةَ فيما أمرهما به، والانتهاءَ عما نهاهُما عنه، والحذر مما حذرهما منه، والخوف مما توعدهما به، وهما أعظم خلقِه عنده قدرًا، وأرفعُهم منزلة، وأعلاهم مرتبة، فلمَّا خالَفا أمرَه وارتكَبا نهيَه وسكَنا إلى من حذرهما منه؛ حقَّ عليهما عقوبتَه، فسلبهما لِباسَ كرامته، وأخرجهما مِن داره، وباعدَهما من قُربه وجِوارِه، وأهبَطَهُما من سمائه إلى أرضه، فكانَ فعلُه هذا بهِما بعدَ مخالفتهما للأمر، وارتكابهما للنهي، فقال عز وجل: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ يعني الشجرة التي نُهوا عنها: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ [طه: ١٢١].

وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢٢] فأعلمنا عزَّ وجل أنه إنما سلبهما لباس كرامته وأخرجهما من داره، وأهبطهما مهبط العاصين، وأسكنهما دار الخاطئين بعد مخالفتِهما أمره وارتكابِهما نهيَه، ولم نجد اللهَ عز وجل احتجَّ عليهما بعلمِه السابقِ فيهِما، وإنما احتج عليهما بمخالفةِ الأمر وارتكاب النهي

بقوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢٢] فلمَّا سمِعا الخطاب من الله عز وجلَّ علِمَا أنهما قد أخطئا وظلما أنفسهما لمخالفتهما أمره، وارتكابهما نهيه، فندِما واعترفا بالخطأ، وقالا مقالة الخاطئين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٢﴾ [الأعراف: ٢٣] فكان اعترافهما لله بخطاياهما عند ثباتِ الحُجة للهِ عليهما ومخاطبتِه إياهما بها، ولم نجدِ اللهَ عزَّ وجل ذمهما على شيء كانَ مِنهما قبلَ مخالفتهما أمره وارتكابهما نهيَه.

وبذلك جَرَتْ سنة الله عز وجل في وَلَدِهما وذريتهما من بعدِهما، وكان بعد آدمَ نوحٌ عليه السلام، وهو أبو الخلقِ بعد آدم، وهو صفوة الله، اصطفاه وارتضاه وسلم عليه، وأثنى عليه وسمَّاهُ عبدًا شَكورا، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ [الصافات: ٧٩].

وقال عزوجل: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] فذكَرَه اللهُ بأجمل ذِكر، وأثنى عليه أحسن الثناء،

وقصَّ عليهِ قَصَصَه وما لبِثَ في قومِه، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] فصبر على أذاهم ومكرِهِم، محتسبا صابرًا، رجاء أن يهديَهم الله فيؤمنوا، وهو مع ذلك يكثر مخاطبة اللهِ تعالى في أمرهم، ويسأله تأخير العذابِ عنهم، ويذكر له ما يرجوه مِن إيمانهم، ولا يشكوهم ولا يذمهم، حتى جاء الوقتُ الذي أذن اللهُ فيه بهلاكِهم وقضى بغرقهم، فقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [هود: ٣٥-٣٦].

وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ [المؤمنون: ٢٦-٢٧]. فأعلَمَنَا جل وعزَّ أنه لم يزل نوحٌ يُكثر خطابَ ربِّه في أمر قومه ويسألَه تأخير العذاب عنهم لِمَا يَرجوه مِن إيمانهم، لأن قوله تعالى في غير موضع: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [هود: ٣٧-المؤمنون: ٢٧] دليلٌ على خطابٍ قد تقدَّم كثيرٌ منه في أمرِهم، فنهاه عن ذلك ليتم قضاءَه عليهم، وكان نوحٌ ﷺ يعمل في مخاطبةِ ربِّه، ومراجعتِه في أمرِ قومِه بإمساكِ الوحيِ عن نهيِه، وإنَّ

ذلك له مباحٌ مطلق غير مُحَرَّمٌ ولا محظورٌ، فلما جاء الأمر والنهي؛ وجبَ على نوحٍ ﷺ الطاعةَ للهِ جلَّ ذكرُه في اتِّباعِ أمرِه والانتهاءِ عمَّا نهاه اللهُ تعالى عنه، فانتهى ﷺ عن المُخاطبة للهِ عز وجل في أمر قومِه ومعاودةِ المسألةِ له فيهم، وأيِسَ مِن إيمانِهم، وثقُل عليه ما كان خفيفًا، وعظم عليه ما كان يسيرًا مِن الصبرِ على مكروهِهم الذي كانَ يتقرَّبُ به إلى ربه عز وجل، ويؤمل به عَظيم ثوابِه، وعلِمَ عليهِ السلامُ أن اللهَ جل اسمُه قد أذِن في هلاكِهم، فأحبَّ ما أرادَ اللهُ فدعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٧ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٨﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]. وقال [تعالى]: [١] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠] كان ذلك طاعة لله تعالى وتقربًا إليه، ولم نجد أنَّ اللهَ عز وجل ذمَّ نوحًا ولا أثبتَ عليه حجة فيما كان مِن خِطابه -قبل النهي- في قومه، لأن ثبات الحجة إنما يكون بعد الأمر والنهي.

ثم ذكر عزَّ وجلَّ قصة نوح وابنه فقال جل من قائل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ

---

[١] في المخطوطين: «رب إني مغلوب فانتصر» وهي تجوز على سبيل حكاية الحال، لكن أثبتُّ الآية هنا.

ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ [هود: ٤٢] وقال في موضع آخر: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥] فلم يزل نوح عليه السلام ينادي ابنه حتى أيس منه وعلم بغرقه فلما علم بغرقه رجع إلى ربه يسأله في أمره، ويذكر له ما كان وعده من نجاة أهله وكان الله تعالى وعد نوحًا عليه السلام أن ينجي أهله المؤمنين خاصة دون الكافرين، وكان نوحٌ يعمل في نداء ابنه ومناجاتِه ربَّه في أمره بإمساك الوحي عن نهيه والحظرِ عليه، وهو يرى أن ابنَه مِن أهله الذين وعده نجاتَهم، وأنه غير حَرِجٍ ولا مأزورٍ في فعله، فلمَّا نهاه اللهُ-عز وجل- عن ذلكَ، وحَظَرَه عليهِ، وأعلمه أنه ليس من أهله المؤمنين الذين وعده نجاتَهم بقوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ يقول ليس مِن أهلك المؤمنين الذين وعده نجاتهم ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود-٤٦] فلما نهاه عن المسألة في أمر ابنه؛ وجبَ عليه الطاعةُ لأمر ربه والانتهاء عما نهاه عنه، فأمسك نوحٌ ﷺ عن مُعاودةِ ربه بذكر وَلَدِه، والمسألةِ في أمره، ونَدِمَ على ما تقدَّمَ في مسألة ربه، فاعتذر إلى ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ

وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٤٧﴾﴾ [هود-٤٧] ولم نجد اللهَ عزَّ وجلَّ ذمَّ نوحًا فيما كان من نِدائه لابنه، ولا في مراجعته لربه قبل النهي، ولا أوجب عليهِ بذلك ذنبًا، لأنه قبل النهي غير ممنوع ولا محظور، وإنما ثبتت الحجةُ بعد النهي.

وبذلك جَرَت سُنة اللهِ عز وجل في ولدِ نوح وذريته من بعده.

ثم ذكر الله عز وجل قصة إبراهيم الخليلَ وما كان من استغفاره لأبيه، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٧] وقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء: ٨٦] وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١] فلم يزل إبراهيمُ ﷺ يستغفرُ لأبيه وهو يعبدُ الأصنامَ مِن دونِ اللهِ وهو يعلمُ أنه عدوٌّ للهِ بإمساك الوحيِ عن نهيِه والحظرِ عليه، وكان استغفاره له للموعد الذي وعده إبراهيم: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٤] فكان عليه السلام غيرَ حرِجٍ ولا مَلومٍ في ذلك لأنه لم يكن نُهِيَ عن الاستغفار ولا حُرِّمَ عليه، فلمَّا نهاه اللهُ

تعالى عن الاستغفار لأبيه، وأعلمه أنه عدو لله يموتُ على كفرِه فيُدخله النار، فأمره بالتبري منه ومِن قومِه؛ فوجبَ على إبراهيمَ عليه السلامُ الطاعةُ لله، وقَبولُ ما أمره به، والانتهاء عما نهاه عنه، فتبرأ إبراهيمُ عليهِ السلامُ مِن أبيه وقومه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] فانتهى عن الاستغفار لأبيه بقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝١١٥﴾ [التوبة: ١١٤] فأخبر جل ذكره عن انتهاء إبراهيم عن الاستغفار لأبيه طاعة لربه وانتهاء لما نهاه عنه، فدل =بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾= أنه وعدٌ لإبراهيم ﷺ في استغفاره لأبيه، وأنه إنما فعل ذلك لإمساك النهي والحظر عليه، وأنه كان في ذلك غيرَ حرجٍ ولا مأزورٍ حتى وقَعَ الحظرُ والتحريمُ وجاء النهيُ، ولم نجدِ اللهَ تعالى ذمَّه فيما كان مِن قَبل النهي، ولا تثبتْ له عليه حُجة، لأن الحجةَ له إنما تثبت بعد الأمر والنهي.

وبذلك جرت سنةُ اللهِ في ولد إبراهيم عليه السلام وذريته مِن بعده.

ولم يزل النبي ﷺ يستغفر لأمه آمنةَ بنتِ وهب ما شاء الله تعالى مِن دهره إلى أن فتحَ مكةَ فركب إلى قبرها في ألف مُدَجَّجٍ[1] فنزل عند قبرها، ولم يزل يستغفر لها، وكان ذلك منه ﷺ بإمساك الوحي عن نهيه والحظر عليه، وهو في ذلك غير حرج ولا مأزور، وكان ذلك له مباحًا مطلقا إذ لم يُنهَ عنه، وكان في عِلم اللهِ عزَّ وجلَّ أن من كان معه ممن قد سمعه يستغفر لها سيفترقون ويتحدثون بذلك عنه، فنزل المَلَكُ جبريلُ ﷺ فنهاه عن الاستغفار لأمِّه، فبكى رحمةً لها، ودخلَه ما يدخلُ الولدَ لوالدتِه، فزجره ونهاه، فاشتد بكاؤه وشهيقه، وجعل يُراجِعُ ربَّه في أمرِها، ويذكرُ استغفارَ إبراهيم لأبيه وأنه لم ينهَهُ عن ذلك، ولم ينزِل في القُرَان عليه أنه نهاه عن ذلك فهبطَ جبريلُ عليه السلام بالوحي من عند الله وهو قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٤﴾ [التوبة: ١١٣] فحرم الله تعالى عليه وعلى سائر المؤمنين، أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربي وحَظَرَ ذلك عليهِم جميعًا، وعلِم نبيُه ﷺ أنه قد نهى إبراهيمَ عليه السلامُ عن الاستغفار لأبيه وأمرَه بالتبرؤ منه، وأن إبراهيم

(١) قال أبو عبيد: المُدَجَّجِ: لابسُ السلاح التام [لسان العرب].

عليه السلام قد أمسك عن الاستغفار لأبيه وتبرأ منه قَبولا من ربه، وانتهاءً عما نهاه عنه، وأن ذلك كان بوحيٍ أنزله على إبراهيمَ ولم يُنزله في القُرَان، ولم يذكره لنبيه ﷺ، فقال جل اسمه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ﴾ [التوبة: ١١٤] فدل هذا على أن إبراهيم قد كان نهي عن الاستغفار لأبيه، وأمره بالتبري منه بوحي أوجب عليه قبوله، وأن إبراهيم عليه السلام قبِل أمرَه وانتهى عما نهاه، وعلِم النبيُّ ﷺ أن إبراهيم الخليل ﷺ داخلٌ في جُملة المؤمنين الذين ليس لهم أن يستغفروا للمشركين، فوجَبَ على النبيِّ ﷺ الانتهاءُ عما نهاه الله عنه؛ فانتهى ﷺ عن الاستغفار لأمه وتبرأ إلى اللهِ منها، وقال بحضرةِ أصحابه ومَن حضر كلامَه «اللّٰهُمَّ إني أتبرأ إليك مِن آمنة كما تبرأ إبراهيم من أبيه»[١] ولم نجد الله تعالى ذمَّ نبينا ﷺ فيما كان من استغفارِه لأمه قبلَ الأمرِ والنهي، ولا ألزمه لَومًا ولا أثبتَ عليه الحجة، إذ كانت الحجة إنما ثبتت بعد الأمر النهي.

وبذلك جرت سنة الله في أمر أمته كلِّها من بعده.

---

[١] روى نحوه الطبراني في الكبير (١٢٠٤٩) وصححه ضياء الدين المقدسي في المختارة (١٥٢) وقال ابن كثير قال ابن كثير: هذا حديث غريب وسياق عجيب" التفسير (ج٢ص٣٩٤).

ولقد ذكر الله تعالى قصة إبليس وما كان منه في السماء مع الملائكة في الجنة، وهو في سابق علمه أنه ملعون رجيم عدو له ولخلقه مخالف لأمره مرتكِبٌ لنهيه عاص له، خلقه من نار وجعل مصيره إلى النار، ولم يخرجه [بـ]سابق علمه فيه من جنته، ولا باعده من قربه، ولا نفاه عن أهل طاعته، ولا أهبطه من سمائه إلى أرضه إلا بعد خروجه عن أمره ونهيه وثَبات الحجة عليه بمخالفته وعصيانه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: ٢٦-٣١].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧] فأخبر الله عز وجل أنه أبى قوله

وخالف أمره، فغضبَ عليه ولعنه وجعله مِن المَرجومين، وأخرجه من الجنة وهو من الصاغرين، وأهبطه إلى الأرضِ، فصار من المَدحورين، بقوله عز وجل: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

وبقوله: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ [الحجر: ٣٤-٣٥].

فأعلمنا عز وجل أنه إنما غضِب عليه ولعنَه وجعله من المرجومين من بعد خروجه عن أمره ومخالفته إياه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] فدل هذا على أنه إنما وجبت الحجة عليه بعد خروجه عن أمره، ولم نجد الله عز وجل احتج على إبليس بعلمه السابق فيه،(١) وإنما احتج عليه بمخالفته أمره، وبذلك جرت سنة الله عز وجل في جميع خلقه.

---

(١) يعني أنه لم يطرد إبليس ويلعنه أو يعاقبه لأن الله تعالى تعلم أن إبليس سيعصي ويكون من الملعونين في المستقبل، بل لم ينزل عليه الأحكام قبل أمره ونهيه.

ولقد ذكر الله عز وجل قصة فرعون، وما كان من تجبره وعتوه وتكبره وادعائه الربوبية فقال جل اسمه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٨٣].

وقوله: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقوله عز وجل: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤] وقوله: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[الزخرف: ٥١] وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤] وقوله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣] فأخبرنا الله عز وجل عن كفره وادعائه الربوبية، وعلوه وتجبُّرِه في مواضعَ كثيرةٍ من القُرَان، وإمهاله إياه حتى أرسل الله عز وجل موسى ﷺ بالأمر والنهي والآيات والعلامات، فلما كذب وعصى وجحد ما جاء به موسى ﷺ وخالف الأمر وارتكب النهي أخذه الله عز وجل وغرقه وقومه بعد تكذيبهم وعصيانهم ومخالفتهم رسل ربهم وثبات الحجة بذلك عليهم وعصيانهم ومخالفتهم الرسل، وفقال عز وجل: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ

وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٨﴾ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿٩﴾﴾ [الحاقة: ٩-١٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٦] وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣-١٤] وقال عز وجل: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦]

فأعلمنا عز وجل أنه إنما أهلك فرعون وقومه بعد تكذيبهم الرسل ومخالفتهم الأمر والنهي، ولم نجد الله تعالى احتجَّ على فرعونّ بعلمِه السابق فيه وإنما احتج عليه بادعائه الربوبية وما كان منه من عظيم الكفر والعتو والتجَبُّرِ والتكبرِ عليه، لأن ذلك كان قبل ثَبات الحجةِ عليهِ وعلى قَومِه، وإنما ثبتت الحجة عليه وعلى قومه بعد توجيه الرُّسُلِ والأمرِ والنهيِ، وإنما احتج عليهم بعد إرسال رسله بأمره ونهيه.[1]

---

(١) هذا لا يعني عُذرَ فِرعَونَ بإطلاق، فمِنَ الأفعال ما جعله الله قبيحًا بالفِطرة، كقتلِ النَّفسِ بغَيرِ

=

ولقد أخبر اللهُ تعالى عن الأمم السالفة وقصَّ علينا أخبارَهم وتوجيهَ الرسل إليهم وإنزالَه الكتبَ عليهِم بالأمرِ والنهي والوعدِ والوعيدِ والترغيب والترهيب، فيلم نجد الله تعالى ذكر هلاكَ أمةٍ منهم إلا بعد تكذيبِ الرسل ومخالفة الأمر والنهي، ولا وجدناه -عز وجل- احتج في هلاك أمة منهم وفي عذابهم إلا بمخالفة الأمر وارتكاب النهي وتكذيب الرسل فيما أدوا إليهم في ذلك عن الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾

[الفرقان: ٣٧].

وقال في قصة عاد: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾

[الشعراء: ١٣٩].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٣ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٤ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٥﴾ [الحاقة: ٤-٦].

الحقِّ، والكَذِب، ولهذا قال تعالى لموسى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ فأثبت له الطغيان قبل ذهاب موسى ﷺ إليه، لأنَّ الفطرة والعقل يقتضيان كذب وشناعة أن يدعي المخلوق الألوهية.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٣-٣٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝﴾[1] [الشعراء: ١٧٦] إلى قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

وقال تعالى في موضع آخر، وقد ذكر الأمم فقصَّ قَصصها، ثم قال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝﴾ [ص: ١٤] يقول حقَّ عليهم العقاب بتكذيب الرُّسل ومخالفه الأمر والنهي الذي جاؤوهم به.

وقال تعالى في موضع آخر وقد قص قصص الأمم: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝﴾ [ق: ١٤] يقول حق عليهم الوعيد بتكذيبهم الرسل

---

(١) فائدة: وردت «الأيكة» أربع مرات في القرآن، كتبت مرتين «لئيكة» ومرتين «الأيكة» ففي حرف قُرِئت «الأيكة» في كل المواضع، وعند قراءتها فإننا نُقدِّرُ ألفًا هي مِن «ال» التعريف و«الأيكة» هي الشجر الملتف.

وفي حرف قرئت بحسب خطِّ المصحف، فقرئت في الشعراء و ص: «لئيكةَ» بدون أن نقدِّرَ فيها ألفًا، فاللام هو أول الكلمة، والتاء مفتوحة، وكلمة «لئيكة» في هذا الحرف: اسم مدينة، وهو مضاف إليه ممنوع من الصرف.

ومخالفتهم الأمر والنهي.

وقال تعالى في موضع اخر وقد قص قصص الأمم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠] فأعلمَنا الله تعالى أنه ما أخذ أحدًا منهم إلا بذنبه، ولا أهلكهم إلا بعد استحقاقه، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّمَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وقال في موضع آخر: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [يونس: ٧٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ

مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ [هود: ١٠٠-١٠١].

وقال تعالى في موضع ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فأخبرنا عز وجل أنهم عتوا عما نُهوا عنه؛ فجعلهم بعد عُتُوِّهِم قردةً خاسئين، وإنما قامت حجةُ اللهِ تعالى علىكل أمة بالكتاب الذي أنزله الله عليها، والرسولِ الذي أرسِلَ إليها،لأن عِلمَ النبوةِ كان في الناسِ مِن قبل جهل الجاهلين، فلم يزَل كلُّ نبي يأتي أمتَه بحجةٍ على أولها وحجةٍعلى آخرها بالبلاغ، إلى أن يبعثَ النبيَّ الذي بعدَه، حتى بعث الله تعالى نبيهُ محمدًا ﷺ إلى الناس كافةً، فكان حجةً على الناس كلِّهَا إلى أن تقوم الساعة، وبيانُ ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فإنما قامت الحجة على الناسِ لربِّهِم تعالى بالكتبِ والرسل التي احتجَّ بها عليهم وجعل تعالى الدلالة عليه بخبره عن نفسه الذي نطقت به كتبُه وجاءت به رسلُه، وبذلك اهتدى إليه المهتدون الذين وفقهم الله

للهدى، واستنقذهم بتوفيقه من الردى، وبيانُ ذلك قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٠﴾ [سبأ: ٥٠] فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُخبر أمتَه أنه إنما يهتدي بما يوحى إليه، وهو دليل الناس كافَّة الذين يهديهم الله تعالى، فأمتَه أحرى أن لا يهتدوا إلا بالوحي الذي به يهتدي نبيهم ﷺ.

وقوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ١٩﴾ [النازعات: ١٧-١٩]. فكانت الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون فعرضَها عليهِ أن يهديَه بها إلى اللهِ تعالى، وأبى فرعون أن يقبلَ الدلالةَ التي هي خبرُ الله تعالى عن نفسه التي يهتدي بها إليه، وبها احتجَّ اللهُ تعالى على فرعون، فقال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦﴾ [المزمل: ١٦].

وقال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦﴾ [فاطر: ٢٥-٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] فبدأ الله تعالى الناسَ بنعمتِه، وفَطَرَهم على معرفته، ثم قدَّمَ إليهِم الأمرَ بالإيمانِ والنهيَ عن المُنكر، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٤﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦] فأخبرَهم الله تعالى أنَّ كتبَه ورُسلَه حجةٌ عليهِم، وقدَّمَ ذلكَ إليهم ليُثبت الحجةَ عليهِم، حتى إذا قامَت بذلكَ حجتُه عليهِم وكانت من الكافرين معصية ومخالفة لأمره وارتكابهم[١] لنهيه؛ أخبر جل وعزَّ أنه جعلَ بعد المَعصيةِ عقوبتَه، وله أن يفعلَ بخلقِه ما يشاءُ، غيرَ أنَّ اللهَ تعالى قضى أن يكون حكمه هكذا، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥٩ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦٠﴾ [يس: ٦٠-٦١] فحكَمَ اللهُ تعالى بأن يحتجَّ على بني آدمَ بالحجةِ يومَ القيامةِ التي كان قدَّم علمها إليهم، كما احتج على أبيهم آدم عليه السلامُ

---

[١] في المخطوط: وارتكابها.

بالحجة التي قدَّمَها عليه وعهدها إليه في أكل الشجرةِ، فأمرَه ونهاه فأكلها، وكذلك قدَّمَ إلى بني آدم الأمرَ والنهيَ ليكونَ ذلك حجةً عليهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥] فقصَّ اللهُ تعالى على بني آدم علمَما يَحتَجُّ بِهِ عليهم يومَ القيامةِ، وأخبرَهُم بما كانوا يعتذرونَ به إليه= ويحتجون به عليهِ يوم القيامة = لو لم يبعث إليهم الرسل ولم ينزل عليهم الكتب، فقال تعالى في كتابِه الناطقِ على لسان نبيه الصادق قولَ حقٍّ قَطَعَ به عُذرَهُم ودحض به حجتهم وأبطل به عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [القصص: ٤٧].

ثم أخبر عز وجل عن إقرارهم في النار واعترافهم بثبات الحجة عليهم، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى مخبرا عن قولهم في النار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

و قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ

ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝١٠ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ٦-١١] فلو كانت الحُجةُ عليهم غيرَ الرُّسُلِ والآياتِ التي تُتلى عليهم بالأمرِ والنهي؛ لقررتهُم الخزَنَة بها واحتجت عليهِم بها في جهنم، لأنَّ اللهَ تعالى قضى عليِهم بأن يَدخُلُوها مُقرِّينَ له بالحُجَّةِ التي كانوا لهَا في الدنيا جاحدِين، ولولا أنَّ الحُجَّةَ تقديمُ اللهِ إليهم بالوعيد في كتُبه التي جاءتهم بها رسُله؛ ما احتجَّ عليهِم بالوعيد، فإنما قامت حجةُ اللهِ تعالى على الخلقِ جميعًا بالرسل والكتب ومخالفةِ الأمرِ وارتكابِ النهيِ.

[مراحل الدعوة النبويَّة]

فلمَّا بعثَ اللهُ تعالى محمدًا ﷺ؛ أمره يدعو الناسَ كلَّهم إلى الإيمان خاصةً دونَ العمَلِ، وهو القولُ وحده، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] فكانت الدعوةُ إلى الإيمانِ للناسِ عامَّةً وكانَت الدعوةُ إلى الفرائضِ للمؤمنينَ خاصة، فأقام النبيُّ ﷺ بمكةَ عشر سنين أو بضع عشرةَ سنةً يدعو الناس إلى الإيمان فمن آمن بكل ما أُمر وعَقَدَ على ذلك قلبَه وصدَّقَت به جوارحُه[1]؛ كان مؤمنا. وإن مات؛ ماتَ مؤمنًا، وليس عليهِم في ذلك فرضٌ يؤدونَه، ولا ينتهون عن مُحَرَّمٍ يرتكبونه، وهم في ذلك غيرُ مأزورينَ ولا عاصينَ لله تعالى، ولا يكتبُ عليهم شيء مما يفعلونَه، ولا يُطالَبُون به في الدُّنيا ولا في الآخرة، إذ كان اللهُ تعالى لم ينهَهُم ولم يُحرِّم عليهِم ما يفعلونَه،[2] وكان

(١) الجوارح: أعضاء الجسم، وتصديقها هو عملها، فإذا عملت بما اعتقده الإنسان فقد صدَّقت به. وهنا يتكلَّم عمَّا قبل الفرائض، فيكون تصديق الجوارح في نطق اللسان، وترك عبادة الأوثان.

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآيَةَ. رواه البخاري (٢٤٦٤) ومسلم (١٩٨٠).

ذلك تخفيفا من الله تعالى عليهم وترفُّقًا بهِم في بدء الإسلام وقُرب عهدهِم بالجاهليةِ وجفائِها، ولو جعلَ اللهُ تعالى الفرائضَ كلَّهَا مضافةً إلى الإيمان وأمر النبيَّ ﷺ أن يدعوَهم إلى الإيمان والفرائضِ معًا في وقتٍ واحدٍ؛ لَنَفَرَت قلوبُهم ولَضَاقَت بها صُدورهم وثقُلت على أبدانهم؛ فلم يجيبوا إلى ذلك، وكذلك لو حَرَّمَ عليهِم جميعَ المَحارِمِ التي كانوا يتلذذون بها من الخَمرِ، والزنا، والربا، وجميعِ الفواحشِ كلِّهَا في وقت واحد؛ ما احتملت نياتُهم ولا بلَغَه إيمانُهُم، وكان اللهُ عز وجلَّ غنيًا عنهُم قادرًا على أن يُهلكهم ويدمر عليهم إذا أبَوا أن يؤدُّوا فرائضَه ويقبلوا أمره وينتهوا عن محارِمِه حتى لا يدعَ على الأرضِ منهم أحدًا خرج عن أمره وركب نهيه، ولكنه تعالى بخلقه وعباده رحيمٌ، عالمُ بتدبيرهم، صبورٌ على أذاهُم، فلَم يزل المسلمون كذلك إقامتهم بمكةَ وبضعةَ عشر شهرًا بالمدينة بعد الهجرة.(١)

---

(١) عن الإمام الزهري، قال: قال هشام بن عبد الملك: أبلغك أن رسول اللَّه ﷺ أمر مناديًا ينادي: «من قال: لا إله إلا اللَّه فله الجنة».

قال: قلت: نعم، وذاك قبل أن تنزل الفرائض، ثم نزلت الفرائض، فينبغي على الناس أن يعملوا بما افترض اللَّه عليهم. [السنة للخلال (١٢٣٧)].

فلما سارَع الناسُ إلى الإيمان بالله وعَلِمَ اللهُ تعالى ثباته في قلوبِهم وتصديقَ جوارحِهم به، وصحةَ عقودِهِم، وحسنَ رغبتِهم في طاعتِه؛ فرض عليهم الصلوات، وجعل عدتها خمسًا وصرفها إلى الكعبة بعد أن كانت إلى بيت المقدس، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [هود: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩].

وقال تعالى ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤] فلم يزل الفرضُ عليهم بالإيمانِ

وإقامِ الصلاةِ لا يؤمرونَ بشيء غيرَ ذلك، ولا يُنهَون عن المحارم التي يركبونها، وهم مع ذلكَ غيرُ مأزورين ولا مطالَبين بما يفعلونَ، ولا حُجة عليهم في شيء مما أمروا بِه إلا إمساك الوحي عن نهيهم.

فلما أجابوا الله تعالى والرسول ﷺ إلى الصلاة وأقاموها، وحولوا قبلتهم إلى الكعبة كما أُمروا، وثبتَت نياتُهم فيها وحسُنت رغبتُهم في إقامتها، وقوِيَت عُزُومُهم فيها، وصارت عندهم بمنزلةِ الإيمانِ الذي وجبَ عليهِم، وأنه من تركها كان عاصيا للهِ-عز وجل-مخالِفًا لأمرِهِ لا إيمان له،[١] وأقاموا على ذلك بُرهةً من دهرِهِم، وعلم اللهُ تعالى صدق نياتِهم؛ فرض عليهم الزكاةَ في أموالهم،[٢] وأضافها إلى الصلاةِ فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:

(١) وهذا يفيد أنه على طريقة السَّلف في تكفير تارك الصلاة.

(٢) في السنة الثانية للهجرة. [السيرة النبوية لابن كثير ج٢ص٥٤٦].

١١٠].

فصار الفرضُ عليهم بعد الإيمان: الصلاةُ والزكاةُ فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥] فكان الفرض عليهم بعد الإيمانِ إقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاة، وهم مع ذلك يأتون كلما حُرم عليهم بعد ذلك، غير مأزورين ولا مأثومين ولا مُطالَبينَ بشيءٍ مِمَّا يأتونَه، ولا يُكتب عليهم فيه ذنبٌ، ولا تجبُ عليهِم حُجة إلا بتضييع شيء من الصلاة أو بترك أداء شيء من الزكاة التي قد أمروا بها.

ثم فَرض عليهم الصيامَ[1] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] يقول: فرض عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

ثم فرض عليهم الحج[2] بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ

---

(١) في السنة الثانية للهجرة. (زاد المعاد ج٢ص٢٩).

(٢) «اختلف العلماء في السنة التي فرض فيها الحج، فقيل في سنة خمس، وقيل: في سنة ست، وقيل: في سنة تسع، وقيل: في سنة عشر، وأقربها إلى الصواب القولان الأخيران، وهو أنه فرض في سنة تسع أو

=

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آلعمران: ٩٧].

ثم أمرهم بالقتال وفرضه عليهم[١] بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

ثم تتابَع نزولُ الأمرِ والنهي أولًا فأولًا.

سنة عشر، والله أعلم» فتاوى اللجنة الدائمة (ج١١ص١٠).

(١) القتال أبيح في أوَّل الهجرة، وفرض بعد ذلك.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨].

فقال المأمون: أقصِر فهذا يطول جدًا.

قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنمّا أدرس درسًا،[١] وأتكلم بما يُجريه الله تعالى على لساني، وما أدَعُ أكثر من ما أتكلم به، وأنا أريد بهذا وضوحَ العذرِ عند أميرِ المؤمنينَ-أطال الله بقاه- ولا بُدَّ مِن ذِكرِ ما حرَّم اللهُ لهم وما نُهوا عنه.

فقال له المأمون: قُل، واقتصر على بعضه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) «الدَّارِس يَتَتَبَّعُ مَا كَانَ قَرَأَ، كَالسَّالِكِ لِلطَّرِيقِ يَتَتَبَّعُهُ.» (مقاييس اللغة ج٢ص٢٦٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْبِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الأنعام: ١٥١]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[النساء: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣] يعني بالإثم: الخمر.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ

وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠_٩١].

وقال جل وعز: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل‌عمران: ١٣٠].

وقال عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى

ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

فقال المأمون: حسبُكَ يا عبد العزيز، فإن هذا يطول.

فقلت: يا أمير المؤمنين، فكان القومُ يعمَلون في ارتكاب المَحارِمِ قبل نُزولِ الأمر والنهيِ وهي مُباحَةٌ لهم مُطلقًا غيرَ مَحظورٍ عليهم، فلَمَّا جاء الأمرُ والنَّهيُ ووقعَ التحريمُ والحظرُ؛ صاروا ممنوعينَ مِمَّا كان مباحًا لهم وحُظِرَ عليهِم ما كان مُطلَقًا لهم، ووجَبَ عليهِم الطاعة لله تعالى فيما أُمروا به، والتناهي عما نُهوا عنه ولم يأمربعقوبةِ أحدٍ ممن وجب عليه عقوبته أو أقام عليه حدًا في الدنيا إلا بعد مُخالفةِ الأمرِ والنَّهيِ وارتكابه النهيِ، كما وجب عليهم الإيمانُ والصلاة والزكاة والصومُ والحج، لا فرق بين ذلك، فمن أطاع أمرَ ربه وتناهى عمَّا نهاه اللهُ، فمَن كانَ مطيعًا لله؛ له الثواب والجزاء. ومن خالف أمرَه وارتكبَ نهيَه؛ كانَ عاصِيًا لله مُستحقا للعقوبات والعذاب، إن شاء عذبَه وإن شاء عفا عنه.

وأنا أذكر ما وَعدَ اللهُ لأهل طاعته وطاعةِ رسولِه ﷺ، ومَن قَبل ما أُمر به وعمل به، وما تواعد به أهل الخلاف والعصيان مِن العذابِ والعِقَابِ في كلِّ شيءٍ قدَّمتُ ذكرَه في الأمر والنهي ليقفَ أميرُ المؤمنينَ-أطال الله بقاه-عليه.

إن اللهَ تعالى تجاوَزَ عن الخلقِ في ما كانَ منهم قبل نُزول الأمرِ والنهيِ، ولم يُطالبهم بشيء كان منهم في ترك فرض ولا ارتكاب مُحَرَّم حتى أمرهم ونهاهم، ووجب عليهم الطاعةُ بالأمر والنهي، وقامت الحُجة عليهِم بالأمر والنهي، ولم نجد اللهَ تعالى احتج على أحدِهم إلا بمخالفته للأمرِ والنهيِ، ولم يأمر بعقوبة أحدٍ ممن أوجَب عليهِ العُقوبةَ وأقام عليه حدًا في الدنيا إلا بعد مُخالفتِه الأمرَ وارتكابِه للنهيِ، ولم يذم أحدا مِن المؤمنين بشيء كان منه قبل نزول الأمر والنهي، فيبسطَ العذرَ لي في ما أتيتُ، إذ كان لي مُباحًا مُطلقًا بإمساك النهي لي عنه، وتأخير الحظر لي فيه، وإنْ كنْتُ غيرَ ملوم ولا مذموم في فعلي، وغيرَ مخالف لأمير المؤمنينَ ولا مرتكبًا لنهيه،إلا ما جرَت به سنةُ الله تعالى في ملائكته وأنبيائه وأعدائه.

فأما وعدُ الله تعالى أهلَ طاعته من عظيم الثواب فهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٨﴾ [النساء: ٦٩].

فقال بشر: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاه-إنه لا يفرغ من هذا إلى الليل، وكلُّ مَن هاهنا يعلمُ ما وعدَ اللهُ أهلَ طاعته مَن الثواب، وما توعد

به أهل معصيته من العقاب، وقد تكلم اليومَ وهَذَى ودَرسَ ما لو كُتِبَ في مئةِ ورقةٍ ما كفاه مما لا عذر له في شيء منه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاك- مَن أبلغ قولا وأحسن قَصصًا وأظهر عُذرًا ممن تلا بعذره قُرَانًا، واحتج لنفسه وفعله بما أباحه الله تعالى وأطلقه ولم يحرمْه ولم ينهَ عنه ولم يذمَّ فاعله، وجرت بذلك سُنته في كتابه لأهل وَلايته وعداوته؟

فقال بشر: هذه خرافاتٌ قد عمِلها، يظن أنَّ أميرَ المؤمنينَ -أطال الله بقاه- يسمعُها أو يقبلها أو يلتفتُ إليها، هذا مَتَاعُ القُصَّاصِ الذي يصلُحُ للعَوام، وقد حفظتَه لتجمَعَهُم وتغريهم بأهل العلم.

فقال عبد العزيز: إني لم أخاطب بشرًا ولم أعتذر إليه، وإنمّا اعتذرتُ إليكَ لِمَا أوجبَه اللهُ تعالى مِن طاعتِك وأسكنَه قلبي مِن هيبتِك وإعظامك وإجلالك، وما وهَبَهُ اللهُ تعالى لكَ مِن دِقَّةِ الفَهمِ، وكمالِ المعرفةِ، والتواضُعِ للخَلقِ، والرقةِ والوجلِ عند تلاوةِ القُرَانِ، وحُسنِ الاستماعِ والقَبُولِ لِمَا جاءَ في كتابِ اللهِ تعالى وعن سنةِ رسول الله ﷺ.

وألزمتُ نفسي ذنبًا وأنا غير مذنبٍ، واعترفتُبالخطأ وأنا غير مخطئ،خضوعًا وتَذَلُّلًا لطاعتِك، واستكانَةً لأمرِكَ، وبشرٌ يعارضُنِي برَدِّ

كتابِ اللهِ والتكذيبِ به، يزعُمُأنَّ كتابَ الله تعالى وكلامَه وكلامَ رسول اللهﷺ خرافاتٍ عملتُها، وأنَّما جرى مُنذُ اليومَ متاعُ القُصَّاصِ الذي لا يصلح إلا للعوام، يقولُ قولَ الكفار، ولقد ذمَّ اللهُ تعالى من قال مثلَ قوله، ولعنه في كتابه وأكذبه في غير موضعٍ منه، فإن أذنَ لي أميرُ المُؤمنينَ-أطال الله بقاه- انتزعت مئة آية أُبينُ فيها كَذِبَ بِشرٍ وكفرِه وافترائه على الله تعالى.

فقال المأمون: لهذا وقتٌ غير هذا، وقد صفحتُ عما كان منكَ وقبلتُ عذرَك، ولقد أبلغتَ في الاعتذارِ، وأوضحتَ الحُجةَ فيما كانَ لكَ مُباحًا قبلَ الأمر والنهي، والآن فقد نهيتُك عن مُعاوَدَةِ مِثلِ ذلك وحظرته عليكَ.

فقلتُ: السمعَ والطاعةَ، فمتى خالفتُ هذا الأمرَ وارتكبتُ النهي لزمَني الذنبُ ووجبت علي العقوبة.

قال بشر: وكل من قتل، أو زنى، أو شرب خمرا، أو أتى مُحرَّمًا فقد نهاه الله تعالى نهيا خاصًا ودخل في عموم النهي؟

قال عبد العزيز: كلُّ شيء نهى اللهُ عنه في كتابِه على لِسانِ نبيهﷺ، وحرمَه على خَلقِه فهو حرامٌ على جميعِهِم، وعلى كل واحد منهم، وقد

خوطب به الجميعُ، وخوطِبَ بِه كلُّ واحد منهم، وهو عامٌّ التحريمِ على الخَلقِ، وخاصًا على كل واحد منهم، وقد دخل في النهي كل واحد، وصار حراما على كل أحد.

فقال بشر: وكل مَن خرجَ على أمير المؤمنينَ ومَرَقَ مِن الدينِ وشَقَّ عصا المسلمين قد أمره أميرُ المؤمنينَ أو نهاه عن ذلك نهيا خاصًا؟ إنمّا هو داخل في عموم النهي، وكذلك أنت داخلٌ في عُموم نهيِه الذي تقدَّم منه -أطال الله بقاه- في أن لا تُخرِجَ له سرًا، ولا تتحدث عنه حدِيثًا، ولا تذكر شيئًا مِمَّا جرى في مجالِسِه وبين يديه إلا ما أمر بإذاعته.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: أما سمعتَ ما قُلتُ منذ اليوم واحتججتُ به، أنما تثبتُ الحجةُ على الخلقَ بالرُّسُلِ والكُتُبِ والأمرِ والنهي، فما جاءني لأمير المؤمنين رسولٌ ولا كتابٌ، ولا أمرنِي ولا نهاني مُشافهةً، ولا تقدَّم له إلى رعيَّتِه رسولٌ ولا كتابٌ فنهاهم عن ذلك فتثبتَ علي الحجةُ وتجبَ عليَّ الطاعةُ لأمره والانتهاءُ عن نهيه.

فإن يكن هذا حقًا وقد تقدَّمَ بِه أميرُ المُؤمنينَ إلى أوليائِه وأهلِ مُجالَسَتِه ومن يحضرُ بين يديه ومَن يأتمِنُه على سِرِّه خاصةً دُونَ سائر الناس، فأولى الناس باتِّباعِ أميرِ المؤمنينَ مَن قد بلغَ إليهِ أمرُ أمير المؤمنين وتناهى إليه خبرُه وصح عِندَه نهيُه، وقد أقررتَ يا بشرُ أنك ممن قد بلغه

أمرُ أميرِ المؤمنينَ ونهيُه، وصح عندَك، ووجبت عليكَ الطاعةُ لأمرِه والانتهاءُ عن نهيِه، ثم إنَّك بعد ذلك أولُ مَن خالفَ أميرَ المؤمنين، وخرج عَن طاعتِه، وارتكبَ نهيَه، وعَدَل عن مُوافقتِه، وأبدَا[1] أخبارَه، وأظهَر أسرارَه، وأباح كِتمانه، والدليلُ على ذلكَ والشاهدُ عليك به: وضعُك الكتابَ الذي سميتَه بـ «كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القُرَان ردا على أهل الكفر والضلال» تذكُرُ فيه مذهبَ أميرِ المؤمنينَ، واعتقادَه، وما جرى في سائر مجالِسه مِن الكلامِ، ومناظرة كل من ناظرتَه بين يديه، حتى بلغ ذلك الكتاب إليَّ فألحقتَني في آخر الكتابِ تذكُر أنك أكفرتَني وأثبتَّ الحُجَّةَ عليَّ في خلقِ القُرَان بالشرح والبيان، وأنَّ أميرَ المؤمنينَ-أطال الله بقاه- أقالَني واستبقاني بعد وجوبِ القتلِ عليَّ، وصفحَ عمَّا كان مِنِّي لِمَيله إلى العربِ، فمَن أشدُّ خلافًا لأمير المؤمنين وخروجًا عن طاعتِه ممن عصاه وارتكب نهيه وقد عرَفَه ووقفَ على صِحته وشهدَ على نفسه أنه قد بَلغَه نهيُه؟ ومَن أنصفُ وأعدلُ ممن أقامَ الشاهدَ على خصمِه من كتابه وقوله؟[2]

---

(١) أبدا: أظهَرَ.

(٢) بشرٌ أساء للمأمون في كتابه هذا حينما قال إنه صفح عن عبد العزيز لأنه عربي، وعبد العزيز عرف هذا، ولو أنَّه لمَّا سمِع بالكتاب سارَعَ وأخبَرَ به المأمون لغضب المأمون مِن بِشرٍ، إلا أنه لم

=

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، دَمِي مرتَهَنٌ بما قُلتُ، فليأمُر أميرُ المؤمنين بإحضارِ هذا الكتابِ الذي قد ترجَمَه «كتاب الكمال» فإن يكُ ما قد وصفتُ؛علِمَ أن بشرًا قد خالف أمره، وارتكب نهيَه، وبيَّنَ أخباره، وأظهر أسراره، وتَكَذَّبَ عليه، وباحَ بِما يجب كتمانه، وأشاعَ ما كان في سائر مجالِسِه كلها، ونسبَ أميرَ المؤمنينَ إلى مُوافقتِه على قولِه بخلق القُرَانِ، وقد أجل اللهُ قدرَ أميرِ المؤمنين عن أن تَظهر له مقالةٌ أو يقفَ له على مذهب غير موافقة الكتاب والسنة وما مضى عليه الراشدون المهتدون، ثم هو -أيده الله- تعالى أعلى عينا بما يراه بعد وقوفِه على صحه قولِي، وهذا كتابي الذي ذكرَ بشرٌ أني وضعته وأمليته على الناس وتكذبت فيه وحكيت أضعاف ما جري بيننا، (فأخرجته من كُمي ورميتُ به بين يديه) فليأمر أمير المؤمنين بقراءتِه عليهِ، فإن يكونَ فيه زيغٌ مِمَّا جرى في المجلس، أو يكون حرفًا زائدًا غير ما جرى أو حرفان زائدان مم لم يسمعه أمير المؤمنين؛ فهو في حلٍ وسعة مِن دَمِي، وإنمّا كتبتُ هذا الكتاب -يا أمير المؤمنين- ليقف الخلقُ كلُّهم على عدلِ

يتكلَّم به حتَّى تكلمَ بشر في الأمر، وهذا دليل على أنَّ أهل السنَّة ليس مِن منهجهم الوشاية بخصومِهم إلى السَّلاطين.

أميرِ المؤمنين ونِصفَتِه[١] وميلِه إلى الحقِّ، ومُوافقته إياه واتِّباعِه له حيثُ كانَ، وعُدوله عن الباطلِ وانحرافِه عن أهله حيثُ كان.

قال عبد العزيز: فاقبَلَ المأمونُ على بِشرٍ فقال له: قد وضعتَ هذا الكتابَ الذي ذكره عبدُ العزيز مُترجما بـ«كتاب الكمال»؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنا وضعتُه أحتجُّ بِه على من خَالَفَنِي في خَلق القُرَانِ، وأذكرُ الشرحَ والبيانَ، وأما ما حكى عبدُ العزيزِ مما فيهِ، فقد أبطَلَ، وما فيه مما حكاه شيء، وأنا أُحضرُه حتى يقفَ أميرُ المؤمنين على بُطلان قولِه.

قال عبد العزيز: فلمَّا علمَ المَأمونُ أنه كما قُلتُ وأني ما تزيدت فيه، وأنه كذَبَ في ما قال، فأقبل عليه فقال: أنت تضعُ مثلَ هذا الكتاب وتقرؤه على الناسِ وتُمليه عليهم، وتجيءُ وتذكرُ ما فعلَه غيرُك مِمَّا تقدَّمَ فعلُك فعلَه، فأيُّ حجة أبلَغُ لخصمِكَ عليكَ مِن أن يكونَ تأسَّى بكَ واقتدَى بِكَ وفعلَ مثلَ فِعلِكَ، وما الحُجَّةُ عليهِ بأثبتَ منها عليكَ، إلا أنه أعلم بما يأتي منك، فما الحجةُ له بألزمَ مِنها لك.

(١) النِصفة: الإنصاف.

[التفريق بين الاسم واللقب]

فقال بشر: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاك-أنا أمدح أميرَ المؤمنينَ في كُلِّ كَلِمة، وأدعو له، وأنسُبه إلى الخلافة التي لا شيءَ أجل منها، وعبدُ العزيزِ يُلَقِّبُ أميرَ المؤمنين في كل كلمة،[1] ولا ينسبُه إلى الخلافةِ، ولا يدعو له، وإنّما جُعل اللقبُ للخُلفاءِ بعد الأسماءِ والنُّعوتِ والصفاتِ ليفرَّقُ بها بين بعضهم وبعض[2]، لا لأنها تُذكَر عن أحد منهم مُفرَدًا، فمن أفرَدَ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاه- باللقبِ فإنما أراد تنُقصه وعيبَه، وهذا هو الذي أباحَ دمَه وأوجبَ عُقوبَتَه، وكل شيء يقع فيه الاعتذارُ إلا هذا فلا عُذر فيه لقائلٍ ولا حجةَ فيه لِمُحتَج.

قال عبد العزيز: فقلت له: اسكت، أخرَسَ اللهُ لسانَك وأعمى بصرَك كما أعمى قلبَك يا عدوَّ اللهِ، تستقبلُ أمير المؤمنينَ بهذه الألفاظِ

---

(١) أي يقول «المأمون» وهذا ليس اسمه الأصلي، فاسمه عبد الله، والمأمون هي التسمية التي كان يشتهر بها.

(٢) الألقاب: يقصِد مثل الأمين والمأمون والرشيد والمعتصم، فكانوا يتسمون بمثل هذه الأسماء تشريفا لأنفسهم، ولأن أسماءهم الأصليَّة تتشابه.

القبيحةِ الدَّميمةِ[1] التي تُشبهُك وتُشبه أسلافَكَ، التي لم يرضَها الله تعالى لعباده المؤمنين ونهاهم عنها في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑪﴾ [الحجرات: ١١] فنهى الله تعالى المؤمنينَ عن الألقاب والتنابز،[2] فتزعُمُ -يا عدوَّ اللهِ تعالى- أنَّ النبيَّ ﷺ خالفَ أمر

---

(١) الدميم (بالدال) هو القبيح الحقير. «عَن ابْن الأعرابيّ قَالَ: الدّميمُ بِالدَّال فِي قَدِّه، والذّميم فِي أخلاقه» (تهذيب اللغة ج١٤ص٥٩).

(٢) هذا بناءً عل أن الألقاب مذمومة مطلقًا، والأسماء هي الممدوحة، فما كان من نعت حسنٍ يضاف إلى الشخص فإنه اسم وليست لقبًا، وقد قال محمد بن يحيي الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ) عن الأسماء: «وإني لأعجب من إطباق الناس على تسميتها ألقابا فيقولون لقب بكذا وهذا عندي خطأ، كبير، وزلل عظيم، لأن الألقاب مكروهة ومنهي عنها في كتاب الله جل وعلا، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله جل وعز ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾» في كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء (ج٢ص٢)

وقال ابن فارس (لَقَبَ) اللَّامُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. اللَّقَبُ: النَّبَزُ، وَاحِدٌ. وَلَقَّبْتُهُ تَلْقِيبًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وقال الشاعر «أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبُه، والسوءةُ اللقبُ» والكنية كقولنا «أبو فلان» أو «أبو فلانة» أو «أم فلان» أو «أم فلانة» وباختصار، الكنية: كل ما صدر بأبي أو أمِّ.

=

ربه، ولم يقبل قوله وارتكب نهيه لأنه لقَّبَ أبا بكرٍ بالصديق،[١] ولقَّبَ عمرَ بالفاروق، ولقَّبَ عثمانَ بذي النورين، وقد حلَّ دمُكَ -يا عدو الله- بدعواك هذا على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم، وعلى الخُلفاءِ الراشدينَ إذ اختاروا الألقاب لأنفسهم ولأولادهم خلافًا لأمر الله-عز وجل- وارتكابًا لنهيه، وقد برَّأهُم الله تعالى من ذلك ووصفهم ونعتهم بغير ما قُلتَ، فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ١٤] فقد حل دمُك بردِّكَ على اللهِ تعالى قولَه وأخبارَه ونعتَه وصِفَتَه ومدحَه لخُلفاء في أرضه، ولقد امتدَحَ اللهُ أهلَ وَلايته وذم أهل عداوته وفرَّق بين مدحه وذمه، فجعل=ما كان من حَسَنٍ وجميل وخيرٍ وفضل وتُقَى وعملٍ صالح= مديحا لأهل وَلايته، فقال تعالى: ﴿بِأَيۡدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ٥١-٦١].

على أن هذا التفريق ليس لازما بالضرورة، فقد قال الله تعالى عن الفسوق اسمًا ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

(١) أي: «الصدِّيق» اسم وليس لقبًا، فمن قال عنه إنه لقبٌ؛ فقد اتَّهَم النبيَّ بإطلاق كلمة قبيحة على أبي بكر رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣]

وقال تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾

[ص: ٤٥-٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ [الحجر: ٤٥/الذاريات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٠﴾ [الصافات: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فامتدحهم تعالى بهذه الأسماءِ وصيَّرَهَا مَدِيحًا وصِفةً لهم ونعتًا لهم وزَينا لهم، وذَكَرَ تعالى أعداءَه فقال: «المشركين» و«الكافرين» و«المنافقين» و«المجرمين» و«الفاسقين» و«الظالمين» و«الطاغين» و«الخاسرين» فذمَّهُم بهذه الأسماء وصيرها ذمًا لهم وعَيبًا لهم وشَينًا لهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ [ص: ٢٨] نفى الله جل وعز عن نفسه الشريفة أن يجعلَ أعداءَه كأوليائِه أو يمتدح أعداءَه كما امتدح أولياءَه.

قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وأنتَ تزعُم أن مِدحةَ الله تعالى وذمَّه واحدٌ، وأنَّ المَدحَ الذي أمتدحبه أولياءَه لقبٌ لهم، وإن الله تعالى نهى عن اللقبِ وتواعَدَ عليهِ ولقَّبَ أنبياءَه وأصفياءَه وأولياءَه وارتضى لهم اللقبَ كما ارتضاه لأعدائه.

فقد أعظم الفريةَ على اللهِ تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى خُلفائِه الراشدين مَن جعلَ المَدحَ لقبًا والذمَّ لقبًا ولم يفرق بينهما، لأنه مِن سنة العربِ ولُغاتِها وما لم تزل تتعامل به في خطابها أن كلَّ شيءٍ من النُّعوتِ

والصفات الصالحةِ الزاكيةِ والخيرِ والفضلِ والتُّقى والورعِ والخشوعِ والتواضعِ وأشباهِ ذلك تُسميهِ مَدحًا وزَينًا، وكلَّ شيءٍ مِن الأعمالِ القبيحة والشرِ والاذى والرَّدَى والخَنَى والفُسوقِ والفُجورِ والظُلمِ وأشباهِ ذلك تُسميهِ ذمًّا وعَيبا وشَينًا، وتُفرقُ بين المَدح والذم بأن تنسب كل ما كان عندها من المَدح إلى الاسميَّة، فتقول: «هذا أُسَمِّيه» لأن الاسمِيَّة هي غايةُ المَدح عندها وأعلاها وأرفعُها درجةً، وتنسبُ الذمَّ وكلما كان عندها مِن جنسه إلى اللقب، وهو عندها غايةُ الذَّمِّ والنهايةُ في العَيبِ: وأعلى درجاتِ العَيبِ والذَّم: اللقب،[١] فكان الفرقُ عند العربِ في المَدحِ والذَّمِّ بهذا، تجعلُ غاية المَدح والنهايةَ في الوَصف الاسميَّة، وتجعلُ غايةَ الذَّمِّ والنهايةَ في العيبِ اللقب، فهذا كان الفرقُ بين المَدحِ والذَّمِّ عند العربِ، وبذلك خاطبها اللهُ تعالى فعقلت عنه ما أراد، وكذلك كان فعلُ رسول الله ﷺ في مَدحِ أبي بكر بالصديق، وعمرَ بالفاروق، وعثمان بذي النورين، وعليا بالرضي[٢] -رضوانُ الله تعالى عليهم- أنه بالغ في مِدحَتهِم وشرَّفَهم، وجعل

---

[١] في المخطوطين: «واللقب» والسياق لا يقتضي العطف.

[٢] لا شك أنَّه رضيٌّ، إلا أنَّ نسبة هذا الاسم لأمير المؤمنين غير موجود في مخطوط جامعة الملك سعود، ولم أجد هذا اللقب إلا قريبا منه في رواية شيعيةَّ ذكرها شهاب الدين الشافعي الإيجي (عاش في القرن التاسع، وهو غير العضد الأشعري الإيجي صاحب كتاب المواقف) في كتابه «توضيح

=

ذلك اسميَّةً لهم، وكذلك فعل الخلفاءُ مِن ولدِ العباس- صلوات الله عليهم- اقتدوا بنبيهم محمد ﷺ وسلكوا مسلك الخلفاء الراشدين المهتدين وأخذوا على مثالهم وتشبهوا بهم ورغبوا في سنتِهم واتِّباع مناهجهم، ولم يرغبوا في سنة من تقدَّمَهُم من خلفاء بني أميةَ الذين رغبوا عن سُنَّةِ الخُلَفاءِ الراشدين المُهتَدين وعن مِدحتِهم، فجُعلت المِدحة للخلفاء من بني العباس- رضي الله عنه- وتمت النعمةُ عليهِم، وتكاملَت الصفاتُ الجميلة فيهم، وأمير المؤمنين يعلم ويشهد لي بذلك وبصحة ما أقول إذ كان بيتَ اللغة وأعلمَ خلق الله بقول العرب، وإنه لَيَعلَمُ- أيده الله- أن قوليَ «المأمونُ» أعلى وأجلُّ مَن قولي «الخليفة» و«المَلك» إذ كانتْ هذه الصفاتُ قد وقعت على غير مستحقها ممن تقلَّد

الدلائل» (ص١٥٠) وقال فيها: «روت الثقات: أنّه لمّا ولد عليّ (عليه السلام) أتى أبوه أبو طالب البيت، فقال:

يا ربّ ذا الغسق الدجيّ * * * ربّ البلد الضحي

والقمر المبتلج المضيّ * * * بيّن لنا باسم ذا الصبيّ

فأجابه الهاتف:

خصّصتما بالولد الزكيّ * * * الطيّب المطيّب الرضي

وإنّ اسمه من شامخ العليّ * * * عليّ اشتقّ من العلي»

هذا الأمرَ من قَبلِ وَلَدِ العبَّاسِ، فإن الله تعالى شرَّف ولدَ العباس بأن شرَع هذه القضية التي هي غاية المدح والنهاية عند العرب، وحبَّبَها إليهم، وجعلها باقيةً فيهم يتوارثونها واحدًا عن واحدٍ وهي الاسمية.

فقال بشر: ليسَ كلما تحكيه عند العرب نقبلُه منكَ، لأنك تحكي شيئًا كثيرًا ليس هو من قَولها، فإن كان هذا كما تزعُم من قولها فأخبرنا بشيء مِن قولِهَا تستدلُّ بِه على صِدقِ قولِكَ.

قال عبد العزيز: كيفَ يتهيأ لي التزيُّد على العرب وبيتُ اللغة ومعقِلُها يسمعُني، فافهم واسمع جواب ما سألت عنه.

إنَّ العرب تقول اسم واسمِيِّة، ولقب.

فأما الاسم: فعبدُ الله، ومحمد، وزيد، وبكر، وما أشبهه.

وأما الاسمية: فما كان مدحًا مثلَ قولهم: المهدي، والرشيد، والمأمون، ومثلُ قولهم: البطل[١] والكامل.

وأما اللقب: في مثل قولهم: رأس الكلبِ، ووجه النعجة، وذنب العنز،

---

[١] في المخطوطان: «البطال» ومعناها قبيح، وهو الفارغ الفاشل، فأثبتُّها: البطل.

وأشباه ذلك مما يَغضبُ منه من نُسب إليه، وما هو ذم، وهو الذي نهى الله تعالى عنه بقوله ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [الحجرات: ١١] فهذا الذي تتعارفه العرب في لُغاتِهَا وكلامِهَا.

[أمثلة على الإسم واللقب]

فقال بشر: فأوجِدنا من كلامِها شيئًا مَدَحت به إنسانا أو ذمته أو غيرت ذمَّه بمدحٍ نقلته إليه.

قال عبد العزيز: فقلت: قد فعل ذلك رسول الله ﷺ، بزيد، كان لقبُه «زيدُ الخيلِ» وكان يكره ذلك اللقب، فنقله رسول الله ﷺ إلى المدح فقال: نجعله «زيد الخير» فصار بهذا مِدحةً له، وأزال عنه اللقبَ الذي كان يُغضبه، وكان بنو لأي بن شماس يلقبون ببني أنفِ الناقة فيغضبهم ذلك ويبلُغُ منهم، فمَدَحَهُم الحُطيئة الشاعر فقال:

قوم هم الأنف، والأذنابُ غيرُهم ومن يساوي بأنف الناقةِ الذنبا؟!

فمدحهم وصيَّره اسميَّةً لهم، وأزالَ عنهم اللقب الذي كان يغضبهم، فصار مديحًا لهُم حتى أن أهلهم يمتدحونهم بذلك، وزال عنهم اللقب، وهذا أكثر موجودٍ في كلام العرب وخِطابها وأشعارها، وإنمّا يجب أن يُطالَب بإقامةِ الدليلِ والشاهدِ على ما يقعُ فيه خلافٌ، فأمَّا ما لا اختلافَ

فيه فما مطالَبَتي بإقامة الدليل عليه وأمير المؤمنينَ يعلمُ ويشهدُ لي بصحة قولي إذْ كانَ بيتَ اللغةِ؟!

فقال المأمون: قد أحسنتَ يا عبد العزيز في الاعتذارِ وإقامةِ الحُجة، وقد صفحتُ عما كان منك، وما قلتَ إلا ماتتعارفُه العربُ وتتعامَلُ بهِ في خِطابها ولُغَاتِها.

قال عبد العزيز: ثم أقبل المأمونُ على بِشرٍ، فقال له: الخطأ لك ألزمُ منه لعبد العزيز في كل حال، ولكني أرجع إلى قِلة معرفتكَ باللغة، واختلاطك بالعوام، ومذهبك في كلامك، وكثرةِ خطئك وزلك، فأنت تخطئ مِن حيث لا تدري ومن حيث ترى أنك تصيب، وقد صفحت عنك أيضا كما صفحتُ عن عبد العزيز.

[نتيجة الجلسة]

ثم أقبل المأمون عليَّ فقال: يا عبد العزيز، تلافَ ما كان منك مما تستقبلُ، ولا تدعنَّ أحدًا ممن كتب بهذا الكتاب عنك إلا طالبتَه بردِّه إليك حتى لا يبقى عندَ أحدٍ منه نُسخَةٌ يُخرِجُها بعد اليوم، ولا يَذكُرُ شيئًا مما كان، فإنه متى اتَّصلَ بي أن عند أحدٍ منه نسخة، أو بلغني أن أحدًا أخرج هذا الكتاب؛ لحقك مني ما تكره، ولم أقرَّكَ على ذلك بعد الأمر والنهي الذي كان قد شافهتك به.

قال عبد العزيز: فقلت له: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، أما أنه في خاصةِ نفسي قد سمعت ما أمر به أمير المؤمنين وما نهى عنه، وقد وجب عليَّ قبولُ أمرِه والانتهاءُ عما نهاني عنه، فلا أذكر شيئا مما جرى في المجلس، ولا مما يجري في مجالسَ بعد هذا الوقت، ولا أكتبُه لأحد من الناس [ولا][١] يسألني عنه أحدٌ من الناس فأخبره به. وأما استرجاع ما كُتِبَ عني وأخذُك لِنسخة في أيدي الناس حتى لا يبقى في يدِ أحدٍ نسخةٌ يذكرها ولا يُظهرها بعد هذا الوقت؛ فهذا والله -يا أمير المؤمنين- ما لا تقدر عليه أنت وقد مكنكَ اللهُ وأعلى يدك وبسطها على الخلق، فكيفَ أقدر أنا في ضعفي ومهانَتي وعجزي وقصور يدي، ولست أضمن لأمير المؤمنين ما لا أفي به ولا أقدر عليه؛ فيقف مني على خُلف موعدي وتزيُّدٍ في كلامي، فإنَّ هذا مما لا أقدِرُ عليهِ وإن اجتهدتُ.

فقال المأمون: ولِمَ ذلك؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كتبَه واحد عن واحد، وقد دار في أيدي الناس، ولا يُعرفُ مَن كتبَه ولا مَن هو عِندَه فيقصده بمطالبته، فإن أحبَّ

[١] ليست في المخطوط، ولكن السياق يقتضيها.

أميرُ المؤمنين أن لا يظهرَ منه نُسخةٌ ولا يذكرَ منها شيءٌ بعدَ هذا الوقت؛ فليأمر -أيده الله تعالى- بالنداءِ في الجانبين: أنَّ من أظهر لهذا المجلس نسخةً أو ذكر منه شيئا؛ عوقب بأغلظ عقوبة، فإن هذا ينتشِرُ وينجَعُ، ولا يتهيأ لأحد إظهار شيء منه بعد النداء، فإن اتصلَ لأمير المؤمنين -أطال الله بقاه- أني ذكرت حرفًا واحدًا بعد هذا اليوم، أو أمليته على أحدٍ، أو دفعت إلى أحد نسخةً يكتب منها؛ فدمي لأمير المؤمنين حلالٌ.

فلم يرض هذا الجواب مني، وأظهَرَ السخط وقال: إنْ كنْتَ لا تقدرُ على هذا فالزم بيتَك، ولا تخرُجْ إلا إلى الصلاة والجمعة أو حاجة عرضت لك، ولا يجلس إليك جماعةٌ في المسجد الجامع ولا في غيره من المواضع، ولا يدخل إلى منزلك أحد، واحذر أن تتكلم بشيء تستوجب به عقوبتي.

فقلت: السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين.

قال عبد العزيز: فانصرفت على تلك الحالة.

فلما خرجت من بين يديه؛ أقبلَ على بشرٍ وغيرِه ممن كلَّمَه في أمري وأغراه بي قبل إحضاري، فقال لهم: هذا الرجل أوحدٌ في دَهرِه، واللهِ لاعتذاره في حاله الخوفِ والجزعِ- على غيرِ أهبة كانت منه-أحسن من

كلامِه ومناظرَتِهِ، ولقد اعتذَرَ بما لَو خَرج علينا وفارقَنا وفَارَقَ عصا المسلمين ثم اعتذر بمثله لَوَجَبَ الصفحُ عنهُ وقَبولُ عذرِه، فكيفَ ولا ذنبَ له! وإنما تزيَّدتُم عليهِ وأغريتُموني به، وإنه لَمِن دميم الأخلاقِ أن ينصرِفَ مِن بينِ يديَّ بعد حُسنِ الاعتذارِ على مِثلِ هذه الحالةِ، ولكنِّي فعلتُ به ما فعلتُ ليسكُنَ عنكم ما شكوتُمُوه من تَوَثُّبِ الرَّعيةِ عليكُم وما يتصلُ بكُم عنهم فينكسروا إذا بَلَغَهُم ذلكَ بِسَخَطِي على عبد العزيز ويرجعوا إلى الخوف والرهب.

قال عبد العزيز: أخبرني بهذا الكلام = الذي ذكرتُه أنه كان منه بعد خروجي من بين يديه، وما كان من الكلام الذي جعلتُه أولَ كتابي مما تكلم به أمير المؤمنين قبل توجيهه إليَّ =أبو كاملٍ الخادمُ، وكان من أهل السنة شديدَ المَحبةِ لي والميلِ لي، وكان له مِنَ المَأمون محلٌ لطيفٌ جدًا، يقوم على رأسه فلا يَخفَى عليه شيء مما يجري.

[مراجعة عبد العزيز المأمون]

قال عبد العزيز: فلم أزل في منزلي أيامًا لا يَدخل عليَّ أحدٌ، وجُعِلَتِ الأرصادُ عليَّ رجاءَ أن يقفوا على دخول أحد عليَّ أو كلامٍ لأحدٍ فيجدوا السبيلَ إلى مكروهي، وحَذِرتهم حذرا شديدا.

فلما كان بعد أيام اتصل بي ذكرُ أمير المؤمنينَ لي إذ حضروا

وتكلموا بين يديه، فكتبتُ إليه قصيده واستعتبته[١] فيها ودفعتها الى أبي كاملٍ الخادمِ وسألته أن يضعها بين يديه إذا خلا ورآه طيبَّ النفس، فلم يزل أبو كامل يترقب ذلك منه حتى وجده، فوضع الرقعة بين يديه، فأخذها وقرأها وجعل يردد شيئًا فيها لم يقف عليه، وكان عالمًا بالغريب من الشِّعرِ وغيرِه، فلمَّا لم يقف على ما فيها ولم يعرفه؛ قال لأبي كاملٍ: «اركب فجئني بعبد العزيز الساعة» فجاءني أبو كامل فقال: «أجب أمير المؤمنين» وعرَّفني الخبر وما عمله وما كان من المأمونِ وحيرتِه عند قراءة الرقعةِ وطولِ فكرِه، فعلمت ما خفيَ عليه منها.

وهذه القصيدة التي كتبتها إليه [من الطويل]

أيَا جَاعِلَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ جُنَّةً[٢] فدَلَّ بِهَا للدِّينِ غَاوٍ وَطَامِعُ [٣]

---

(١) استعتبه: أي استرضيه، و«أَصْل العُتْبَى رجوعُ الـمُسْتَعتِبِ إلى مَحبَّةِ صاحبه» [لسان العرب]

(٢) الجُنَّة: هي الوِقاية، فكأنه يقول: استعملت منصبك الدنيوي لحماية الدين.

(٣) فدلَّلت (من الدلال) في الدنيا أناسًا لأجل حسن ظنك بهم وانتسابهم للدين، منهم من هو غويّ ضال، ومنهم طامع.

(في المطبوع «فذلَّ» وقد أثبتُّ ما في المخطوطين عندي، وفي المطبوع اختلافات أخرى، وكأني به أثبت القصيدة من كتاب «روضة الإعلام بمنزلة العربية من الإسلام» والله أعلم).

هَلِ العُذْرُ إلَّا مَا اعْتَذَرْتُ بِمِثْلِهِ ... إليْكَ لَوَ انَّ العُذْرَ أَدَّاهُ سَامِعُ(١)

إذَا لَمْ يَكُنْ قَوْلِي لَدَيْكَ بِمُسْمَعٍ ... وَلَمْ تَرَ سَعْيًا مِنْكَ عَيْنٌ تُطَالِعُ(٢)

فَإِنِّي وَمَنْ قَدْ ضُرَّ ضِعْفًا رَعِيَّةٌ(٣) ... يَرَى اللهُ أَنِّي فِيْهِمُ لَكَ نَافِعُ(٤)

غَدَاةَ تَجَلَّى سَاعِيًا لِشَتَاتِهَا ... وَيَرْدَعُنِي عَنْ جَمْعِهَا مِنْكَ رادِعُ(٥)

---

(١) أي: هل يوجد عذر أبلَغ مما اعتذرت لك به، لكن لو كان المؤدي لهذا مسموعًا عندك لعذرته. وجاءت «سامع» بمعنى «مسموع» مثل «عيشة راضية» أي «مرضيَّة» وهو مما لا يستخدم إلا قليلًا عند العرب.

(٢) إذا لم يكن قولي مسموعًا عندك، ولم أرَ سعيًا مِنك إلى قبول كلامي والتخفيف عني وأنا أطالع هذا وأنتظره.

(٣) فاعلم أني ومَن قد تضرر غيري من رعيتك، وهو تضرروا ضعفَ ما تضررت أنا، فضرري بحبسي وتخويفي ومنعي من الكلام، وهم تضرروا بتخويفهم ومنعهم من الكلام إضافة إلى وجود من يضلهم عن الحق فكان ضررهم الضعف.

(٤) الله تعالى يرى ويعلم أني أنفعم بوجودي فيهم، بدفاعي عن الدين فأخفف عنك وزر المضلين الذين أطلقت يدهم ليضلوا الناس، ومع ذلك فإني لا أحرِّضُ النَّاس عليك.

(٥) أي كأن الناس كانوا أشتاتًا متفرقين بسبب الفتنة، وأنا تجليت وظهرت لأجمعهم على الحق، لكنك ردعتني ومنعتني.

كَمُسْتَعْتِبِ النُّعْمَانِ مِمَّنْ وَشَى بِهِ[١] فَقَالَ بِزِيٍّ نَاصِحِ الجَيْبِ خَاضِعُ[٢]

حَمَلْتَ عليَّ ذنبَهُ وتَرَكْتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ[٣]

كَذَاكَ يُداوِي الجِسْمَ مني مُصَحِّحًا وذاكَ لهُ الجِسمُ بِهِ الدَّاءُ نَاقِعُ[٤]

فَلَمْ يَشْفِهِ أَنِّي تَجَرَّعتُ دونَهُ أمرَّ دَوَاءٍ طَعْمُهُ مُتَقَاصِعُ[٥]

---

(١) أي حالي كحال النابغة الذبياني وهو من مشاهير شعراء الجاهلية حينما استعتب الأمير النعمان بن المنذر، وقد كان النابغة مُقَربًا جدًا إلى النعمان، وقد طلب منه النعمان أن يصف له زوجته، ففعل النابغةُ إلا أنه بالغ في وصف زوجة النعمان حتى وصف فرجها، وكان هناك رجل متَّهَمٌ بأنه على علاقةٍ بها، فقال: «والله ما يصف هذا الوصف إلا مَن جرَّب» فغضب النعمان وأراد قتل النابغة، فهرب. [انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص١٦٤]

(٢) أي النابغة قال وهو ناصح الجيب، والجيب: القلب.

(٣) البيت للنابغة، وصدره هكذا جاء في كتاب الأمثال للقاسم بن سلَّام، ولكن الأشهر أنه قال «وكلّفتني ذنب امرئ وتركته» ومعناه حملتني جريرة المذنب وتركته، كذي العُر، وهو الجمل المصاب بمرض العر، وهو شبيه بالجرب، فالعرب يبركون الجملَ المريضَ ويُبركون بجنبه جملا صحيحًا ويكوونَ الصحيح، بينما المريض راتع، أي متنعِّم لا يصيبه شيء.

(٤) كذلك كان حالي، فقد عالجتني أنا بالكيِّ طلبًا للصحَّة، وتركت بشرًا الذي اجتمع فيه المرض.

(٥) لكن هذا الذي فعلتَه من عقوبة لي -شبَّهها بالدواء المر- لم يشفِ بشرًا.

متقاصِع: يقال: «قصَعَ الماء» ابتلعه جَرْعاً [لسان العرب] وفي مخطوط شستربيتي وفي المطبوع

=

وذو العُرِّ يَشْـفِيْـهِ مُـــدَاوَاةُ غَيْرِهِ إذا مَا اكْتَوَى عَنْهُ الصَّحِيحُ المُضَارِعُ[١]

قال عبد العزيز: فلمَّا دخلتُ على المأمون إذا هو جالس والقصيدة بين يديه على فخذه وهو ينظر فيها، فلمَّا دخلتُ قال لي: «اجلس» فجلستُ بينَ يديه ثم قال لي: أيْش هذا الذي كتبته في قصيدتك مما لا يُعرَفُ في كلامِ العربِ؟

فقلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ فانِّي ما كتبت إلا ما تتعارَفه العرب وتتعامَل به في لُغَاتها وأشعارِهَا.

فوضع يدَه على البيت الذي قلتُ فيه

حَمَلْـتَ عليَّ ذنـبَــهُ وتَرَكْـتَــهُ كَذِيْ العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ[٢]

«متقاطع» ولا معنى لها.

(١) أما الجمل المصاب بالعُر فإنه يُشفى بكَيِّ غيره، وبشر لم يُشف، فأيُّ نفعٍ لما فعلته بي؟!

(٢) البيت للنابغة، وصدره هكذا جاء في كتاب الأمثال للقاسم بن سلَّام، ولكن الأشهر أنه قال «وكلّفتني ذنب امرئ وتركته» ومعناه حملتني جريرة المذنب وتركته، كذي العُر، وهو الجمل المصاب بمرض العر، وهو شبيه بالجرب، فالعرب يُبركون الجملَ المريضَ ويُبركون بجنبه جملا صحيحًا ويكوون الصحيح، بينما المريض راتع، أي متنعِّم لا يصيبه شيء.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، هذا من أصَحِّ بيتٍ تقوله العربُ وأوضَحِه معنًى لكثرة مشاهدتها لِمَا ذكرتُه منه.

فقال المأمون: أيش معنى قولك: «كَذِي العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ»؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، عندنا في البادية داء يقعُ على الجَمَلِ يُقالُ له العُرُّ، من جنس الجرب، إلَّا أنه ليس بجربٍ، فإذا أصابَ البَعِيرَ وظَهَرَ بِه؛ لم يكن له دواء في الدنيا إلا أن يُجاء بهذا البعيرِ الذي قد أصابَه العُر فَيُبرَكُ، ثم يُجاء ببعيرٍ صَحِيحٍ ليس به عِلَّة فيُبرَكُ بحِيَالِ البَعيرِ، فلم يزل يكوى أبدًا الصحيحُ حتّى يبرأ السَّقيمُ.

فقال المأمون: هذا شيء لا أقبله ولا يكونُ مثلُه.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، هذا شيء تتعارفه العرب، ولا تدفعه ولا بينهم فيه خلاف، يشاهدونَه كلَّ يومٍ وكلَّ ساعةٍ.

فقال المأمون لعمرِو بنِ مَسعَدة: انظر مَن هاهنا مِن العربِ فأحضره.

فتوجَّهَ فأحضَرَجماعَةً مِنهُم.

فقال: سلهُم: أيش هو العُر عندكم؟

فقالوا بأجمَعِهم: هو داءٌ يقع على الجَمَلِ، قريبٌ مِنَ الجَرَبِ.

فقال لهم: فما دواؤه عندَكُم؟

قالوا: ليسَ له دواء في الدنيا إلا أن يُبرَكَ البعيرُ السقيمُ، ويجاء ببعيرٍ صحيحٍ فيبرك بحِيالِه فلم يزل يكوى الصحيحُ أبدًا حتى يبرأ السقيمُ.

ثم أمَرَهم فانصرفوا.

قال عبد العزيز: ثم أقبلَ عليَّ المأمونُ وقال: يا عبدَ العزيز، ما أعجبَ هذا! ولَمَعرفتي به اليومَ أحبُّ إليَّ مِن مئةِ ألف دينارٍ.

ثم قال: فأيش أردت بقولك: «حَمَلْتَ عليَّ ذنبَهُ وتَرَكْتَهُ».

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، حملتَ عليَّ ذنبَ بِشرٍ وقد وقفتَ على أنه خالَفَ كتابَ اللهِ تعالى وسنةَ رسولِ اللهِ ﷺ وبدَّلَها وحرَّفَها عن مواضِعِها وخالفَ أمرَ الله تعالى وأمرَ رسوله ﷺ وأمرَ خليفَتِهِ وأمرَ المُسلِمِينَ، وأنه قد حلَّ دمُه وعقوبتُه، وغضِبَ أميرُ المؤمنين وسخِطَ عليَّ، فحملتَ على ذنبه وأنا بريء منه، وسخِطت عليَّ وتركتَه، كذي العُر يُكوى الصحيحُ حتى يبرأ، وكذلك أُكوى أنا وأنا صحيحٌ حتى يبرأ بشرٌ وهو سقيم ويَشتفي مني.

قال: فأيش معنى قولك:

كَذَاكَ يُداوِي الجِسْمَ مني مُصَحِّحًا وذاكَ لهُ الجِسمُ بِهِ الدَّاءُ نَاقِعُ[١]

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، إنما سخطتَ عليَّ وأنا بريء الساحة ليرضى بشرٌ وهو سقيم، وقد ظهر كفرُه وضلالُه وقبحُ مذهبِه ودحضُ حجتِه بين يديك.

فقال المأمون: قد قبلتُ عذرَك وصفحت عمَّا كان منك كلِّه، فارجع إلى القعود في المسجد الجامع ومسجدك، وتكلم معهم فيما شئت مِن الكلام فقد أجزتُك ذلك وأطلقتُه لك، وزدتُ في رزقك[٢] مثله. فاحضر الدار واقعد مع المُتَكلِّمين وناظر وتكلم بما تُريد، فليس لك مني إلا ما تُحب.

قال عبد العزيز: فأكثرتُ من الدعاءَ له وانصرفت على أجمل حال، وكنتُ أقعد للناس ويجتمع إليَّ خلقٌ كثير، وأحضُر مجالس أمير المؤمنين

---

(١) كذلك كان حالي، فقد عالجتني أنا بالكيِّ طلبًا للصحَّة، وتركت بشرًا الذي اجتمع فيه المرض.

(٢) الرزق هنا المراد منه المال الذي يصرفه الحاكم بشكل دوري لأهل العلم.

كلَّها ولا أخلو منها، وأناظر وأرد عليهم في كل شيء يتكلمون فيه.

[الخاتمة]

قال عبد العزيز بن يحيي المكي رحمه الله تعالى: إنما كتبتُ ما جرى كما جرى، وما تركتُ مما لم أحتجَّ به ولم أذكرْه أكثر مما احتجت به، وإنما كنت أدرُس درسًا ما يُجريه اللهُ تعالى على لساني، فمن قرأ كتابي هذا أو قُرِئَ عليه؛ فلا ينسبني إلى قلَّةِ الفهم ويقول: «هذا مَبْلَغُ علمِهِ» فإنه كان وقتًا يُلحَق في ممثلهِ الحَيرة، فمَن أحبَّ أن يعلَمَ أنه ما بقي عليَّ شيء إلا قد أتَيتُ عليه؛ فليقرأ رسالَتي في «فَضلِ بني هاشِمٍ الكبيرة» ويقرأ كتابَ «السُّنَنِ والأحكام» وكتاب «الاعتذار» فإنَّه يقفُ على دِقَّةِ فَهمي وحُسنِ انتِزاعي[1] وفضل عِلمي.

جعل اللهُ جميعَ ذلكَ خالصًا لوجهِهِ وفي سبيل مرضاته،

---

(١) يعني بالانتزاع: استخراج الفوائد والشواهد من الكتاب والسنَّة.

إنه سميع الدعـاء

فعال لما

يشاء

لا إله إلا الله العزيز الحكيم، وصلواته على محمد خاتم النبيين

وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلَّم

ورضي الله عنهم أجمعين.

آخـر كتـــاب

الحيدة

.

مناظرة أحمد ابن حنبل

مقدمة

هذه مناظرة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد عام ١٦٤هـ في بغداد، ومات فيها عام ٢٤١هـ وهو أشهر من أن نتكلَّم عنه.

قال ابن ماكولا عن الإمام أحمد: كان أعلم الناس بمذاهب الصحابة والتابعين.

وقال ابن حبان: كان حافظًا مُتقِنًا فقيهًا ملازِمًا للوَرَعِ الخفيِّ مُواظبًا على العبادةِ الدائمةِ، أغاث اللهُ به أمةَ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم؛ وذاك أنه ثبت في المِحنة [يعني محنة خلق القرآن] وبذل نفسَه للهِ حتى ضُرِبَ بالسِّياطِ للقَتلِ فعصمَه اللهُ تعالى عن الكُفرِ وجَعَلَه عَلَمًا يُقتدَى به وملجًأ يُلجأ إليهِ.

وهذه المناظرة من كتاب سيرة الإمام أحمد، من رواية ابنه صالح، مطبوع بتحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط. دار الدعوة، وهو الذي اعتمدت عليه هنا. وقد نقلها أبو نعيم في الحلية (ج.٩، ص.١٩٧) والذهبي في السِّيَر.

وقد اختصرت منه ما لا يلزم.

المناظرة

قال الشيخ صالح بن أحمد ابن حنبل:

قَالَ أبي رَحْمَة الله لما كَانَ فِي شهر رَمَضَان لَيْلَة تسع عشرَة خلت مِنْهُ حولت من السجْن إِلَى دَار إسْحَاق بن إِبْرَاهِيم[١] وَأَنا مُقَيّد بِقَيْد وَاحِد، يُوَجه إِلَيّ كل يَوْم رجلَيْنِ، وهما أَحْمَد بن رَبَاح وَأَبُو شُعَيْب الْحجام يكلماني ويناظراني، فَإِذا أَرَادَا الِانْصِرَاف دُعِي بِقَيْد فقُيِّدتُ، فَمَكثت على هَذِه الْحَال ثَلَاثَة أَيَّام وَصَارَ فِي رجْلي أَرْبَعَةُ أقياد.

فَقَالَ لي أحدهمَا فِي بعض الْأَيَّام فِي كَلَامٍ دَارَ وَسَأَلتُه عَن عِلم اللهِ، فَقَالَ: علم الله مَخْلُوق.

قلت: يَا كَافِر، كفرتَ!

فَقَالَ لي الرَّسُول الَّذِي كَانَ يحضر مَعَهم مِن قِبَل إسْحَاقَ: هَذَا رَسُول أَمِير الْمُؤمنِينَ.

قَالَ: فَقلت: إن هَذَا قد كفر.

---

(١)إسحاق بْن إبراهيم بْن مُصْعَب الخُزاعي.

وَكَانَ صَاحبُه الَّذِي يَجِيء مَعَه خَارجًا، فَلَمَّا دخل؛ قلت: إن هَذَا زعم أن علم الله مَخْلُوقٌ.

فَنظر إِلَيْهِ كالمنكر عَلَيْهِ، ثمَّ انْصَرفَ.

قَالَ أبي: وأسماء الله فِي الْقرَان، وَالْقرَان من عِلمِ اللهِ، فَمن زعم أن الْقرَانَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمن زعم أن أسمَاءَ الله مخلوقةٌ فقد كفر.

[ثم نُقِل أحمد رحمه الله تعالى إلى المعتصم وأُدخِلَ عليه، قال]: وَإِذا هُوَ جَالس وَابْن أبي دؤاد حَاضرٌ وَقد جمع أصْحَابه وَالدَّارُ غاصةٌ بِأَهْلِهَا، فَلَمَّا دَنَوْت مِنْهُ؛ سلَّمتُ.

فَقَالَ: أدنه، أدنه.

فَلم يزل يُدنيني حَتَّى قربتُ مِنْهُ.

ثمَّ قَالَ لي: اجْلِسْ.

فَجَلَست وَقد اثقلتني الأقياد، فَلَمَّا مكثت هُنَيْهَةً؛ قلتُ: تَأذن فِي الْكَلَام؟

قَالَ: تكلم.

قلت: إلَى مَا دَعَا إلَيْهِ رَسُوله؟

قَالَ: إلَى شَهَادَة أن لَا إله إلَّا الله.

فقلت: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله.

قَالَ: ثمَّ قلت: إن جدك ابْن عَبَّاس حكى أن وَفد عبد الْقَيْس لما قدمُوا على النَّبِي ﷺ أمرهم بِالْإِيمَان بِاللَّه تَعَالَى فَقَالَ: «أتَدْرُونَ مَا الْإِيمَان؟» قَالُوا: «الله وَرَسُوله أعْلَم» قَالَ: «شَهَادَة أن لَا إله إلَّا الله، وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وإقامَ الصَّلَاةِ، وإيتاءَ الزَّكَاةِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وأن تُعطوا الْخمس من الْمَغنَم»[١]

قَالَ أَبُو الْفضل: قَالَ أبي: فَقَالَ لي عِنْد ذَلِك: لَوْلَا أنِّي وَجَدْتُك فِي يَد من كَانَ قبلي مَا عرضتُ لَك، ثمَّ الْتفتَ إلَى عبد الرَّحْمَن بن إسْحَاق فَقَالَ لَهُ: يَا عبد الرَّحْمَن ألم آمُرك أن ترفع المحنة!

قَالَ أبي: فَقلت فِي نَفسِي: الله أكبر، إن فِي هَذَا لَفَرَجًا للْمُسلمين.

قَالَ: ثمَّ قَالَ: ناظروه وكلموه. ثمَّ قَالَ: يَا عبد الرَّحْمَن كَلمه.

---

[١] رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

فَقَالَ لي عبد الرَّحْمَن: مَا تَقول فِي الْقرَان؟

قلت: مَا تَقول فِي علم الله؟

قَالَ: فَسكت.

قَالَ أبي: فَجعل يكلمني هَذَا وَهَذَا، فأرد على هَذَا ثمَّ أَقُول: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، أعطوني شَيْئا من كتابِ الله أو سنةِ رَسُوله أَقُولُ بِهِ ذَلِك.

فَيَقُول لي ابن أبي دؤاد: وَأَنت لَا تَقول إِلَّا كَمَا فِي كتاب الله أو سنة رَسُوله؟

قَالَ: فَقلت لَهُ: تأولتَ تَأْوِيلًا فَأَنت أعْلَمُ. وَمَا تأولتُ مَا يُحبَس عَلَيْهِ ويقيَّدُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَقَالَ ابْن أبي دؤاد: فَهُوَ وَالله يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ ضال مضل مُبْتَدع يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، وَهَؤُلَاء قضاتُكَ وَالْفُقَهَاءُ فَسَلهُم.

قَالَ: فَيَقُول لَهُم: مَا تَقولُونَ؟

فَيَقُولُونَ: يَا أَمِير الْمُؤْمِنُونَ هُوَ ضال مضل مُبْتَدع.

قَالَ: فَلَا يزالون يكلموني، وَجعل صوتي يَعْلُو على أَصْوَاتهم.

فَقَالَ لي إنْسَانٌ مِنْهُم: قَالَ الله تَعَالَى ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فيكون مُحدثا إلَّا مخلوقا؟

قلت لَهُ: قَالَ الله تعال ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص: ١] فالذكر هُوَ الْقُرْآن، وَتلك لَيْسَ فِيهَا ألف وَلَام.(١)

قال: فَقَالَ لي إنْسَان مِنْهُم: حَدِيث خبَّاب: «يَا هنتاه تقرب إِلَى الله بِمَا اسْتَطَعْت فإنك لن تتقرب إِلَيْهِ بِشَيْء أحب إِلَيْهِ من كَلَامه».(٢) [٣]

---

(١) ليس فيها ألف ولا لام: يعني «ال» التعريف. كأنَّه يجنح إلى أن الذكر بالألف واللام هو المراد به القرآن، أما كلمة «ذكر» بدون ألف ولام فليست القرآن، وإنما السنَّة، فقد روى عنه ابن بطة في الإبانة (٤٣١) أنه قال: «فَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْقُرْآنِ مُحْدَثًا» وهذا قد بسط الحجة عليه في كتابه الرد على الجهمية، ومما قاله: لما اجتمعوا [القرآن والسنة] في اسم الذكر؛ جرى عليهم اسم الحَدَث، وذِكرُ النبيِّ إذا انفرد وقعَ عليهِ اسم الخَلقِ، وكان أولى بالحَدَثِ مِن ذكر اللهِ الذي إذا انفردَ لم يقع عليه اسم خلقٍ ولا حدثٍ، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ إلى النبي ﷺ لأن النبي ﷺ كان لا يعلمُ فعلَّمَه اللهُ، فلمَّا علَّمَه اللهُ كان ذلك مُحدثًا إلى النبيِّ ﷺ.

(٢) وجه الشَّاهد عندهم أنه قال عن كلام الله «شيء».

[٣] رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١١١) ورواه الحاكم (٣٦٥٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وقال الذهبي «صحيح».

قَالَ: فَقلت: نعم هَكَذَا هُوَ.

فَقَالَ بَعضهم: أَلَيْسَ قَالَ ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

قَالَ: قلت: قد قَالَ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمرت ألا مَا أَرَادَ الله؟

قَالَ: فَقَالَ لي بَعضهم فِيمَا يَقُول: وَذكر حَدِيث عِمرَان بن حُصَيْن «إن الله تبَارك وَتَعَالَى كتب الذّكر» فَقَالَ: إن الله خلق الذّكر.[1]

قَالَ: فَقلت: هَذَا خطأ حَدثنَا غير وَاحِد كتب الذّكر.

قَالَ أبي: فَكَانَ إذا انْقَطع الرجل مِنْهُم اعْترض ابْن أبي دؤاد يتَكَلَّم، فَلَمَّا قَارب الزَّوَال قَالَ لَهُم: قومُوا.

ثمَّ حبس[2] عبد الرَّحْمَن بن إسْحَاق فَخَلا بِي وَبِعَبْد الرَّحْمَن فَجعل يَقُول لي: أما كنت تعرف صَالحا الرَّشِيدِيّ؟ كَانَ مؤدِّبي[3] وَكَانَ فِي هَذَا

---

(١) هذا يتعلق بشبهة سنفصل الرد عليها هنا [كون القرآن في لوح محفوظ].

(٢) حبس: يعني أبقاه عنده.

(٣) المؤدِّب: هو شيخ يتولَّى تعليم أبناء الملوك والأمراء.

الْموضع جَالسًا-وأشار إِلَى نَاحيَة من الدَّار-قَالَ: فتكلمَ وَذكر الْقرَان فخالفني فَأمرت بِهِ فسُحب ووُطِئَ.

قَالَ أبي: ثمَّ جعل يَقُول لي: مَا أعرفُك ألم تكن تَأْتِينَا؟[1]

فَقَالَ لَهُ عبد الرَّحْمَن: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أعرفه مُنْذُ ثَلَاثِينَ سنة، يرى طَاعَتك وَالْحج وَالْجهَاد مَعَك وَهُوَ ملازم لمنزله.[2]

قَالَ: فَجعل يَقُول: وَاللهِ إِنه لفقيه، وإنه لعالِم، وَمِمَّا يسرني أن يكون مثلُه معي يردُّ عني أهلَ المِلل، وَلَئِن أجابني إِلَى شَيْء لَهُ فِيهِ أدنى فَرَجٍ[3] لأُطلِقَنَّ عَنهُ بيدَيَّ، وَلَأوطأنَّ عَقِبَه وَلَأركبن إِلَيْهِ بجندي.

قَالَ: ثمَّ الْتفتَ إِلَيّ فَيَقُول: وَيحك يَا أَحْمَد! مَا تَقول؟

قَالَ: فأقول: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ: أعطوني شَيْئا من كتاب الله أَو سنة رَسُوله.

---

(١) أي كان المعتصم لا يرى أحمد في دار الخلافة.

(٢) أي أنه مع كونه لا يدخل على السلاطين، فإنه لا يرى الخروج عليهم، بل يرى طاعتهم.

(٣) يعني يجيبه ويوافقه في القول بخلق القرآن ولو بأي طريقة تتيح للأمير أن يطلِقَه.

فَلَمَّا طَال بِنَا الْمجْلسُ، ضجر فَقَامَ فرددت إِلَى الْموضع الَّذِي كنت فِيهِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْم الثَّانِي أُدخِلت عَلَيْهِ.

فَقَالَ: ناظروه، كَلمُوهُ!

قَالَ: فَجعلُوا يَتَكَلَّمُونَ هَذَا من هَا هُنَا، وَهَذَا من هَا هُنَا، فأَرُدُّ على هَذَا وَهَذَا، فَإِذا جاؤوا بِشَيْء من الْكَلَام مِمَّا لَيْسَ فِي كتاب الله وَلَا سنة رَسُوله ﷺ وَلَا فِيهِ خبر وَلَا أَثَرٌ؛ قلت: مَا أدري مَا هَذَا؛ فَيَقُولُونَ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إذا تَوَجَّهَتْ عَلَيْهِ الْحجَّة علينا؛ وَثَبَ،[١] وَإِذا كلمناه بِشَيْء؛ يَقُول: لَا أدري مَا هَذَا.[٢]

---

(١) وثّبَ: يقصدون أنه يردُّ عليهم، شبَّهوا ردَّه بوثوب السَّبُع إلى فريسته.

(٢) وهذا من أنفع الأساليب في دحر المبتدعة في أيِّ نقاش، فإنَّ مجاراتهم في مصطلحاتهم وقواعدهم: يُعلي حجَّتَهُم، وهو بابٌ مِن أبواب الزيغ، وقوله: «لا أدري ما هذا» ليس جهلًا، إنما هو ردَّ لما يقولون، وكأنه يقول: «قد علِمنا الكتاب والسنة والأثر، وكلامكم ليس منها، فما هو».

ولا يسؤك إذا فعلتَ كما فعل أحمد، ثم وجدت من الجهلة المنتسبين إلى السنة من يلومك ويسيء إليك، ويقول لك «هذه القاعدة قالها فلان من أهل السنة» أو «هذه الكلمة استعملها فلان من أهل السنَّة» أو يتهمك بأنك تجهل علومًا قد تكون تعرفها، وكلمات قد تكون تفهمها، لظنهم

=

قَالَ: فَيَقُول: ناظروه.

قَالَ: ثمَّ يَقُول: يَا أَحْمد إِنِّي عَلَيْك شفيق.

فَقَالَ رجل مِنْهُم: أَرَاك تذكر الحَدِيث وتنتَحلُه![1]

قَالَ: فَقلت لَهُ: مَا تقول فِي قَول الله تَعَالَى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١].

فَقَالَ: خص اللهُ بهَا الْمُؤمنِينَ.

قَالَ: فَقلت لَهُ: مَا تَقول إن كَانَ قَاتلًا أَو كَانَ عبدًا أَو يَهُودِيًّا أَو نَصْرَانِيّا[2]

قَالَ: فَسكت.

أن العلم بقواعد واصطلاحات المبتدعة يلزم منه مجاراتهم، وصاحب هذا الظن قد أوتي مِن جهله.

(١) وتنتَحلُه: أي تزعم أنك من أهلك. وهو يريد بقوله أن يقلل من شأن الحديث.

(٢) قاتل أبيه لا يرث منه، والعبد لا يرث، والكافر لا يرث من المسلم، وكل ذلك ثبت بالأحاديث، فأراد أحمد إلزام ذلك الرجل بأن الحديث قد خصص الحكم العام الذي في القرآن.

قَالَ أبي: وإنما احتججت عَلَيْهِ بِهَذَا لأنهم كَانُوا يحتجون عَليَّ بِظَاهِرِ الْقُرْآن، وَبِقَوْلِهِ: أَرَاك تنتحل الحَدِيث.

ثم ذكر مِن مِحنته وجَلدِه وتَعذيبه.

وروى عنه ابن بطة[١] أنه قال: وَاحْتَجُّوا عَلَيَّ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا كَذَا أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَخْلُوقَةً، إِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ، أَيْ: هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُخْلَقَ.(٢)

---

[١] رواه ابن بطة في الإبانة (ج٦ص٢٥٠).

(٢) فالمخلوقات ليست أعظم من كلام الله. وجاء عنه رحمه الله أنه قال: «إن الخلق واقع هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن» [سير أعلام النبلاء ج١٠ص٥٧٨] وهذا جواب آخر حسن، وهو كما لو قلتَ: «ما أكلت طعاما ولا شربت شرابا أطيب عندي من الصلاة» فكلامك ليس فيه أن الصلاة من الطعام والشراب، ولكن هي خير منه.

ومما جاء عنه في كتاب ابنه صالح: [١]

وجه المتوَكل إلَى إسْحَاق بن إبْرَاهِيم يَأْمُرهُ بِحمْل أبي إلَى المُعَسكر، قَالَ فَوجه إسْحَاق إلَى أبي فَقَالَ: أن أمِير الْمُؤمنِينَ قد كتب إلَيّ يَأْمُرنِي بإشخاصِك إلَيْهِ فتأهب إلَيْهِ لذَلِك.

قَالَ أبي: فَقَالَ لي إسْحَاق بن إبْرَاهِيم: اجْعَلنِي فِي حِلٍ.

فَقلت: قد جعلتُك وكلَّ من حَضَرَ فِي حل.

قَالَ أبي: فَقَالَ لي إسْحَاق: أسألُك عَن الْقرَانِ مسالة مُستَرشِدٍ لَا مسالة امتحانٍ، وَلْيكُن ذَلِك عنْدك مَسْتُورًا، مَا نقُول فِي الْقرَان؟

قَالَ أبي: فَقلت: الْقرَانُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بمخلوق.

قَالَ: فَقل لي، مِن أيْن قُلتَ: «غير مَخْلُوق».

قَالَ أبي: فَقلت لَهُ: قَالَ الله تبَارك وَتَعَالَى: «ألَا لَهُ الْخلقُ وَالأمرُ» فرَّق بَين الْخلقِ وَالْأمرِ.

---

[١] ص٨٤.

فَقَالَ إِسْحَاق: الْأَمرُ مَخْلُوقٌ.

فَقَالَ أبي: فَقلت لَهُ: يَا إِسْحَاق، إن اللهَ يَخلق خلقًا.

فَقَالَ أبي: فَقَالَ لي: وَعَمن تحكي إنّه لَيْسَ بمخلوق؟

قَالَ فَقلتُ: جَعْفَرُ بنُ مُحَمّدُ قَالَ: «لَيْسَ بخالق وَلَا مَخْلُوق».[1]

قَالَ: فَسكت.

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العِباد (ص٤٤) وجعفر بن محمد هو جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وهو من أئمة أهل الإسلام في السنّة والحديث والفقه.

مناظرة الشيخ عبد الله الْأَذْرَمِيُّ

مقدمة

وهو عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزري، أبو عبد الرحمن الأذرمي المَوصلي.

قال الجيّاني: «وأذرم قرية من قرى عين زربة»[١] وعين زربة هي مِن قرى أضنة المعروفة في جنوب تركيا الحاليَّة. قال السمعاني: «هذه النسبة الى آذرم، وظني أنها من قرى أذنة»[٢] وأذنة هي أضنة.

أخذ العلم عن هُشَيمٍ، وغُندَر، وابنِ عيينةَ وغيرِهِم.

وعنه أخذ أبو داود، والنَّسائي، وعبد الله بن أحمد، وخلقٌ.

قال المِزي: قال أبو حاتم والنسائي: ثقة.

---

[١] شيوخ أبي داود (ص١٦٠).

[٢] الأنساب للسمعاني (ج١ص٧٣).

وهذه المناظرة رواها الآجري في الشريعة: [١] وابن بطة في الإبانة[٢] والخطيب في تاريخ بغداد.[٣]

المناظرة.

عن أَبِي الْفَضْلِ صَالِحَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَهْلِ الْجَلَالَةِ، وَالشَّأْنِ مِنْهُمْ.

عن الأميرِ المُلَقَّبِ بالْمُهْتَدِي بِاللَّهِ قال: مَا زِلْتُ أَقُولُ: «إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ» صَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ الْوَاثِقِ، حَتَّى أَقْدَمَ(٤) عَلَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ أَذَنَةَ فَأُدْخِلَ الشَّيْخُ عَلَى الْوَاثِقِ مُقَيَّدًا، وَهُوَ جَمِيلُ الْوَجْهِ تَامُّ الْقَامَةِ، حَسَنُ الشَّيْبَةِ، فَرَأَيْتُ الْوَاثِقَ قَدِ اسْتَحْيَى مِنْهُ، وَرَقَّ

---

[١] الشريعة (ج١ص٥٤٠).

[٢] الإبانة (ج٦ص٢٦٩).

[٣] تاريخ بغداد (ج١٠ص٧٦).

(٤) أقدمه لمناظرته أو لحبسه.

لَهُ، فَمَا زَالَ يُدْنِيهُ وَيُقَرِّبُهُ، حَتَّى قَرُبَ مِنْهُ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ فَأَحْسَنَ السَّلَامَ، وَدَعَا فَأَبْلَغَ الدُّعَاءَ، وَأَوْجَزَ.

فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، نَاظِرِ ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ عَلَى مَا يُنَاظِرُكَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَقِلُّ وَيَضِيقُ، وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ.

فَغَضِبَ الْوَاثِقُ، وَعَادَ مَكَانَ الرَّأْفَةِ لَهُ غَضَبًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَصْبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاظَرَتِكَ أَنْتَ؟!

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ، وَائْذَنْ لِي فِي مُنَاظَرَتِهِ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاظَرَةِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ، إِلَى مَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟

فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَقُولَ: «الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ» لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: إنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ.

قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ الشَّيْخُ: أَخْبِرْنِي يَا أَحْمَدُ عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَوَاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ.

فَسَكَتَ.

فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الْوَاثِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحِدَةٌ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: وَاحِدَةٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣] أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ يَا أَحْمَدُ.

فَلَمْ يُجِبْهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: اثْنَتَانِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْ جَهِلَهَا؟

قَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: عَلِمَهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثٌ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: ثَلَاثٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، فَاتَّسَعَ[1] لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَلِمَهَا كَمَا زَعِمْتَ، وَلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشَّيْخُ: وَاتَّسَعَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: نَعَمْ.

---

(١) من السَّعَة، أي لم يكن هناك مشكلة.

فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْوَاثِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ الْقَوْلَ أَنَّ أَحْمَدَ يَصْبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَكَ الْإِمْسَاكُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: نَعَمْ إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا، اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ.

فَلَمَّا قُطِعَ ضَرَبَ الشَّيْخُ بِيَدِهِ إِلَى الْقَيْدِ لِيَأْخُذَهُ فَجَاذَبَهُ الْحَدَّادُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: دَعِ الشَّيْخَ لِيَأْخُذَهُ.

فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ فَوَضَعَهُ فِي كُمِّهِ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: لِمَ جَاذَبْتَ عَلَيْهِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ أُوصِي إِلَيْهِ إِذَا مِتُّ أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كَفَنِي، حَتَّى أُخَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُولَ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ هَذَا لِمَ قَيَّدَنِي وَرَوَّعَ أَهْلِي وَوَلَدِي

وَإِخْوَانِي بِلَا حَقٍّ وَأَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ؟

وَبَكَى الشَّيْخُ فَبَكَى الْوَاثِقُ وَبَكَيْنَا،

ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَاثِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِمَّا نَالَهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ كُنْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ كَانَتْ مُمْكِنَةً فَعَلْتُ.

فَقَالَ الْوَاثِقُ: تُقِيمُ فِينَا فَيَنْتَفِعَ بِكَ فِتْيَانُنَا.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَدَّكَ إِيَّايَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْهُ هَذَا الظَّالِمُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ مُقَامِي عَلَيْكَ، وَلَأُخْبِرَكَ بِمَا فِي ذَلِكَ: أَصِيرُ إِلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَكُفُّ دُعَاءَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَدْ خَلَّفْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ: فَتَقَبَّلْ مِنَّا صِلَةً[١] مَا تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى دَهْرِكَ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَحِلُّ لِي، أَنَا عَنْهَا غَنِيٌّ، وَذُو مِرَّةٍ سَوِيٌّ.

قَالَ: فَسَلْ حَاجَتَكَ.

قَالَ: أَوَ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَخَلِّ سَبِيلِي إِلَى الثَّغْرِ السَّاعَةَ، وَتَأْذَنْ لِي.

قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ.

فَسَلَّمَ الشَّيْخُ، وَخَرَجَ. قَالَ صَالِحٌ: قَالَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَظُنُّ الْوَاثِقَ بِاللَّهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

---

(١) يعني هدية.

□

رواية أخرى لمناظرته

قال الآجري رحمه الله: [١] بَلَغَنِي عَنِ الْمَهْتَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا قَطَّعَ أَبِي يَعْنِي الْوَاثِقَ إِلَّا شَيْخٌ جِيءَ بِهِ مِنَ الْمَصِّيصَةِ،(٢) فَمَكَثَ فِي السِّجْنِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ أَبِي ذَكَرَهُ يَوْمًا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالشَّيْخِ.

فَأُتِيَ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، سَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا اسْتَعْمَلْتَ مَعِي أَدَبَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء: ٨٦] وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَدِّ السَّلَامِ.

فَقَالَ لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ: سَلْهُ.

---

[١] الشريعة (ج١ ص٤٥٣).

(٢) المَصِّيصَةُ يقال لها (مفسوسطيا) مدينة صغيرة تبعد ٣٠ كم شرق أضنة جنوب تركيا، ويطلق عليها التُّرك (Eski Misis) أي مصيصة القديمة.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، أُصَلِّي فِي الْحَبْسِ بِتَيَمُّمٍ، مُنِعْتُ الْمَاءَ فَمُرْ بِقُيُودِي تُحَلُّ، وَمُرْ لِي بِمَاءٍ أَتَطَهَّرُ وَأُصَلِّي، ثُمَّ سَلْنِي.

قَالَ: فَأَمَرَ، فَحَلَّ قَيْدَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ: سَلْهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: الْمَسْأَلَةُ لِي، تَأْمُرُهُ أَنْ يُجِيبَنِي.

فَقَالَ: سَلْ.

فَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، أَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهُمْ، تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟

لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عَلِمُوهُ، أَوْ جَهِلُوهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمُوهُ، وَسَكَتُوا عَنْهُ، وَسِعَنَا وَإِيَّاكَ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ مِنَ السُّكُوتِ.

وَإِنْ قُلْتَ: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتُهُ أَنَا، فَيَا لُكَعُ ابْنَ لُكَعٍ[1]، يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟

---

(١) ورجل لُكَعٌ، أي لئيمٌ، ويقال هو العبد الذليل النفس. [الصِّحاح للجوهري].

قَالَ الْمُهْتَدِي: فَرَأَيْتُ أَبِي وَثَبَ قَائِمًا وَدَخَلَ الْخَبْزِي، وَجَعَلَ ثَوْبَهُ فِي فِيهِ، يَضْحَكُ؟ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدَقَ، لَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَقُولَ: جَهِلُوهُ أَوْ عَلِمُوهُ، فَإِنْ قُلْنَا: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ وَسِعَنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْنَا: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ، فَيَا لُكَعُ بْنَ لُكَعٍ يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: لَسْتَ أَعْنِيكَ، إِنَّمَا أَعْنِي ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ.

فَوَثَبَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الشَّيْخَ نَفَقَتَهُ وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلَدِنَا.

مناظرة ابن الشحَّام قاضي الرَّيِّ للواثق[١]

كان ابن الشَّحَّام قاضي الرَّيِّ قد سمع بأن الواثق قال ببدعة خلقِ القُرآن، فاصطحب محمد بن الرازي ورحلا إلى دار الخلافة، فاستأذن على الأمير فأذن له.

قال ابن الرازي: فَلَمْ يَزَلْ يَدْخُلُ مِنْ دِهْلِيزٍ إِلَى دِهْلِيزٍ حَتَّى دَخَلْنَا إِلَى الصَّحْنِ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ يَتَنَاظَرُونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ فِي الدَّارِ، حَتَّى وَافَى إِلَى الْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ جَلَسَ، فَجَعَلَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَطْرَقُوا إِلَى الْأَرْضِ وَتَشَاغَلُوا بِالْكَلَامِ، وَإِذَا أَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا إِلَيْهِ، فَنَحْنُ هَكَذَا حَتَّى شِيلَ السِّتْرُ، فَإِذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَالِسٌ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَنَا بِالْجُلُوسِ، وَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا جِئْنَا فِيهِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لِابْنِ الشَّحَّامِ: مَنِ الرَّجُلُ؟

---

(١) نقلها ابن بطة في الإبانة (ج٦ص٢٧٨).

فَقَالَ: عَامِلٌ مِنْ عُمَّالِكَ، قَاضِي الرَّيِّ، أُعْرَفُ بِابْنِ الشَّحَّامِ.

فَقَالَ: حَاجَةٌ؟

فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جِئْتُ قَاصِدًا مِنَ الرَّيِّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِ وَأَسْمَعُهُ مِنْهُ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: قُلْ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شَرِيطَةِ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُجِيبُ لِي غَيْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُعَارِضُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَحَدٌ.

فَقَالَ: ذَلِكَ لَكَ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ كَانَ لَهُ بَيْتٌ يُدْخِلُهُ فِي حَوَائِجِهِ، وَهُوَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فَجَرَتْ مِنْهُ يَمِينٌ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْبَيْتَ مَخْلُوقٌ سِوَاهُ، فَعَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَدَخَلَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، طُلِّقَتِ امْرَأَتُهُ أَمْ لَا؟

فَضَجَّ أَهْلُ الْمَجْلِسِ، وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَسْأَلَةُ حِيلَةٍ.

قَالَ: فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ هَكَذَا! وَعَدْتَنِي أَنْ لَا يُجِيبَنِي غَيْرُكَ وَلَا يُعَارِضَنِي فِي الْمَسْأَلَةِ.

فَأَسْكَتَهُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ حلَفَ؟

قَالَ لَهُ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ بَيْتٌ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ مَخْلُوقٌ سِوَاهُ، فَعَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، طُلِّقَتِ امْرَأَتُهُ أَمْ لَا؟

فَقَالَ: لَا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[1]، مَا طُلِّقَتْ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

قال ابن الرَّازي: ثُمَّ أُلْقِيَ السِّتْرُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، ثُمَّ وَثَبَ الْقَاضِي وَاعْتَمَدَ عَلَى يَدَيَّ، فَقُلْتُ: لَيْتَهُ تَرَكَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَاتِلِي، فَلَمَّا صِرْنَا فِي آخِرِ الصَّحْنِ، عَرَضَ لَنَا خَادِمٌ وَمَعَهُ فَرَّاشٌ عَلَى كَتِفِهِ بَدْرَةٌ،[2] فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -أطال الله بقاه- يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: اسْتَعِنْ بِهَذِهِ فِي مَصْلَحَتِكَ، وَلَا تُخَلِّ مَجْلِسَنَا مِنْ حُضُورِكَ.

---

(١) لا يجوز الحلف بالقرابة.

(٢) البَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف [لسان العرب].

مناظرة العباس بن موسى بن مَشْكُوْيَهْ[١]

روى ابن بطة عن الْعَبَّاسِ بْنِ مَشْكُوْيَهْ الْهَمَذَانِيُّ، قَالَ:

أُدْخِلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَكَنِّي بِالْوَاثِقِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَأَقْبَلَ بِالْمَسْأَلَةِ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ مُرَوَّعٌ وَلَا عَهْدَ لِي بِكَلَامِ الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِكَ.

فَقَالَ: لَا تَرُعْ وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

فَقُلْتُ: كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

فَقَالَ: أَشْهَدُ لَتَقُولَنَّ «مَخْلُوقًا» أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ.

---

[١] رواها ابن بطة في الإبانة (ج٦ص٢٨٤).

قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّكَ إِنْ تَضْرِبْ عُنُقِي، فَإِنَّكَ فِي مَوْضِعِ ذَلِكَ إِنْ جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَتَثَبَّتْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِمَّا أَنْ أَكُونَ عَالِمًا فَتَثْبُتَ حُجَّتِي، وَإِمَّا أَنْ أَكُونَ جَاهِلًا فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي لِأَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ(١) وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّهِ.

فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢](٢)

قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْكُلِّيَّةُ(٣) فِي كِتَابِ اللَّهِ خَاصٌّ أَمْ عَامٌّ؟

قَالَ: عَامٌّ.

قُلْتُ: لَا، بَلْ خَاصٌّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] فَهَلْ أُوتِيَتْ مُلْكَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

---

(١) سبق التنبيه على عدم جواز هذه الكلمة.

(٢) يريد الاحتجاج عليه بالآيتين بأن الله خلق القرآن لأن القرآن شيء.

(٣) الكليَّة: أي كلمة «كل».

فَحَذَفَنِي بِعَمُودٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ.

فَأُخْرَجْتُ إِلَى قُبَّةٍ قُرَيْبَةٍ مِنْهُ، فَشُدَّ عَلَيْهَا كِتَافِي، فَنَادَيْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ ضَارِبٌ عُنُقِي، وَأَنَا مُتَقَدِّمُكَ،[١] فَاسْتَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا.

فَقَالَ: أَخْرِجُوا الزِّنْدِيقَ وَضَعُوهُ فِي أَضْيَقِ الْمَحَابِسِ.

فَأُخْرِجْتُ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ يُنَاظِرُ النَّاسَ عَلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: يَا خُرَّمِيُّ.

قُلْتُ: أَنْتَ وَالَّذِينَ مَعَكَ وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ.

فَحَبَسَنِي فِي سِجْنٍ بِبَغْدَادَ يُقَالُ لَهُ الْمُطَبَّقُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رُقْعَةً يُشَجِّعُونَنِي وَيُثَبِّتُونَنِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَرَأْتُ مَا فِيهَا، فَإِذَا فِيهَا:

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدَعٍ ... وَكُلَّ غَاوٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيَّالِ
وَلَا تَمِيلَنَّ يَا هَذَا إِلَى بِدَعٍ ... يَضِلُّ أَصْحَابُهَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ

---

(١) متقدمك: أي سابقك إلى الله.

إِنَّ الْقُرَانَ كَلَامُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لَيْسَ الْقُرَانُ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بَالِ
لَوَ انَّهُ كَانَ مَخْلُوقًا لَصَيَّرَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ إِلَى مَوْتٍ وَإِبْطَالِ
وَكَيْفَ يَبْطُلُ مَا لَا شَيْءَ يُبْطِلُهُ أَمْ كَيْفَ يَبْلَى كَلَامُ الْخَالِقِ الْعَالِي
وَهَلْ يُضِيفُ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَى الْبِلَى غَيْرُ ضُلَّالٍ وَجُهَّالِ
فَلَا تَقُلْ بِالَّذِي قَالُوا وَإِنْ سَفِهُوا وَأَوْثَقُوكَ بِأَقْيَادٍ وَأَغْلَالِ
أَلَمْ تَرَ الْعَالِمَ الصَّبَّارَ حَيْثُ بُلِيَ بِالسَّوْطِ هَلْ زَالَ عَنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
فَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ فَالصَّبْرُ سِرْبَالُهُ مِنْ خَيْرِ سِرْبَالِ
يَا صَاحِبَ السِّجْنِ فَكِّرْ فِيمَ تَحْبُسُهُ أُقَاتِلٌ هُوَ أَمْ عَوْنٌ لِقَتَّالِ
أَمْ هَلْ أَتَيْتَ بِهِ رَأْسًا لِرَافِضَةٍ يَرَى الْخُرُوجَ لَهُمْ جَهْلًا عَلَى الْوَالِي
أَمْ هَلْ أُصِيبَ عَلَى خَمْرٍ وَمِعْزَفَةٍ يُصَرِّفُ الْكَأْسَ فِيهَا كُلَّ ضَلَّالِ
مَا هَكَذَا هُوَ بَلْ لَكِنَّهُ وَرِعٌ عَفٌّ عَفِيفٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْمَالِ

ثُمَّ ذَكَرَنِي بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَأَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: عَسَاكَ مُقِيمًا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي كُنْتُ سَمِعْتُهُ مِنْكَ؟

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَدْعُو رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي لَيْلِي وَنَهَارِي أَلَّا يُمِيتَنِي إِلَّا عَلَى مَا كُنْتَ سَمِعْتَهُ مِنِّي.

قَالَ: أُرَاكَ مُتَمَسِّكًا.

قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ قُلْتُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَقِيتُ فِيهِ الْعُلَمَاءَ بِمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَالْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَالشَّامِ، وَالثُّغُورِ، فَرَأَيْتُهُمْ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَقَالَ لِي: وَمَا السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ؟

قُلْتُ: سَأَلْتُ عَنْهَا الْعُلَمَاءَ فَكُلٌّ يُخْبِرُ وَيَقُولُ: **إِنَّ صِفَةَ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:**

أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ مُخْلِصًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

وَيَشْهَدُ الْعَبْدُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ لِسَانِهِ وَعُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ.

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ مِنْ خَلْقِهِ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَصَلَاةُ الْمَكْتُوبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُقَدِّمَ وَقْتًا أَوْ تُؤَخِّرَ وَقْتًا.

وَأَنْ نَشْهَدَ لِلْعَشَرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْجَنَّةِ.

وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ.

وَإِيقَاعُ الطَّلَاقِ إِذَا جَرَى كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.

وَالتَّقْصِيرُ فِي السَّفَرِ إِذَا سَافَرَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا بِالْهَاشِمِيِّ - ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ مِيلًا.

وَتَقْدِيمُ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرُ السَّحُورِ.

وَتَرْكِيبُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ فِي الصَّلَاةِ.

وَالْجَهْرُ بِآمِينَ.

وَإِخْفَاءُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَأَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ وَتَعْلَمَ يَقِينًا بِقَلْبِكَ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنكِيرٍ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ أَهْلَ الْكَبَائِرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا إِلَّا مُشْرِكٌ.

وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَأَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا مِنِّي، أَمَرَ بِي فَقَلَعَ لِي أَرْبَعَةَ أَضْرَاسٍ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُ عَنِّي لَا يُفْسِدُ عَلَيَّ مَا أَنَا فِيهِ.

فَأُخْرِجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَسَأَلَنِي عَمَّا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: لَا نَسِيَ اللَّهُ لَكَ هَذَا الْمَقَامَ حِينَ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ نَكْتُبَ هَذَا عَلَى أَبْوَابِ مَسَاجِدِنَا، وَنُعَلِّمَهُ أَهْلَنَا وَأَوْلَادَنَا.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنِهِ صَالِحٍ، فَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ وَاجْعَلْهُ فِي رَقٍّ أَبْيَضَ وَاحْتَفِظْ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ حَدِيثٍ كَتَبْتَهُ، إِذَا لَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَلْقَاهُ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

مناظرةُ ابنِ قدامةَ المقدسي

(كتاب المناظرة في القرآن)

التعريف بابن قدامة المقدسي

هو أبو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قُدَامَةَ بنِ مِقْدَامِ بنِ نَصْرٍ المَقْدِسِيُّ، الجَمَّاعِيْلِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الصَّالِحِيُّ، الحَنْبَلِيُّ المعروف بمُوَفَّقِ الدين ابن قدامة المقدِسي.

كَانَ عَالِمَ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ.

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: كَانَ إِمَامَ الحَنَابِلَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ ثِقَةً، حُجَّةً، نبيلاً، غزِيْرَ الفَضْلِ، نَزِهاً، وَرِعاً، عَابِداً، عَلَى قَانُوْنِ السَّلَفِ، عَلَيْهِ النُّوْرُ وَالوَقَارُ، يَنْتفعُ الرَّجُلُ برُؤيتِهِ قَبْلَ أَنْ يسمع كَلاَمَهُ.

وقال أحمد ابن تيمية: «الشيخ الإمام المتفق على إمامته وعلمه

وصلاحه وكراماته أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي».[١]

وقال إسماعيل ابن كثير: «إِمَامٌ عَالِمٌ بَارِعٌ، لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ بَلْ وَلَا قَبْلَ دَهْرِهِ بِمُدَّةٍ، أَفْقَهَ مِنْهُ» [٢]

من كتبه:

- المغني (شرح مختصر الخرقي).
- إثبات صفة العلو.
- لُمعة الاعتقاد.
- عمدة الفقه (على مذهب الإمام أحمد).
- المقنع (على مذهب الإمام أحمد).
- الكافي (على مذهب الإمام أحمد).
- روضة الناظر وجنة المُناظر (في أصول الفقه).
- كتاب التَّوَّابين.

---

[١] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج٤ص١٢٩١)

[٢] البداية والنهاية ط هجر (ج١٧ص١١٧)

أهمية هذا الكتاب

هذا الكتاب أجاب فيه الشيخ عن شبهات الطائفة الأشعريَّة بعد مناظرته لهم، وهو يتميَّزُ عن كتب السَّلف بأنَّ مؤلفه عايش الأشعريَّة وعرف بدعتهم وناظرهم، ورد على بدعتهم خاصة، بينما السلف ردوا على كلام الجهميَّة والمعتزلة، وهم كانوا أصرح وأجرأ في إظهار عقيدتهم من الأشعريَّة الذين عُرفوا بممارستهم للتقيَّة وإخفاء عقائدهم تحت ستار الادعاء بأنهم يوافقون أهل السنّة والجماعة. وقد تكلَّم الشيخ ابن قدامة عن هذه المسألة، أعني مسألة التقيَّة، فكان هذا الكتاب من الكتب المهمة في معرفة خطر هذه الطائفة ورد شبهاتها.

ويحتوي هذا الكتاب على قواعدَ مهمةٍ جدًا في رد شبهاتهم، منها الاحتجاج بالإجماع، ومنها الاحتجاج باعتقاد السلف، ومنها أن القول في بعض الصفات كالقول في غيرها.

وقد اعتمدتُ على مخطوطةِ المكتبة الظاهرية وهي ضمن مجاميع العمرية (١١٦) وكذلك مخطوطة جامعة أم القرى (b11489200) إلا أن هذه الأخيرة ناقصة وآخرها الكلام عن أن القرآن حروف، وما يلي ذلك من كلام عن الأشعريَّة وتصريح بذمِّهم وتبديعهم مفقود منها.

[كتاب المناظرة في القرآن]

[مقدمة]

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

قَالَ الشَّيْخ الإمَام الْعَالم الْفَقِيه موفق الدّين، شيخ الإسلام مفتي الْأَنَام سيد الْعلمَاء، أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن قدامَة الْمَقْدِسِي رَضِي الله عَنهُ وأرضاه:

الْحَمد لله رب الْعَالمين وَصلى الله على مُحَمَّد النَّبِي وَآله أَجْمَعِينَ، أما بعد، فَإِنَّهُ تكَرر سُؤال بعض أَصْحَابنَا عَن حِكَايَة مناظرة جرت بيني وَبَين بعض أهل الْبِدْعَة فِي الْقُرْآن، فَخِفتُ من الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان فَرَأَيْت أن أذكر ذَلِك على غير سَبِيل الْحِكَايَة، كي لَا تكون الزِّيَادَةُ فِي الْحُجَجِ والأجوبَةِ عَن شُبَهِهِمْ كذِبًا، مَعَ تَضَمُّنِ ذَلِكَ لأَكْثرِ مَا جرى إن شَاءَ الله سُبْحَانَهُ، وَالله الْمُوفِّقُ والمُعينُ وَهُوَ حَسبُنَا وَنِعم الْوَكِيلِ.

[أصل الخلاف في القرآن]

فَنَقُول: مَوضِعُ الْخِلافِ أَنَّنَا نعتَقِدُ أن الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَهُوَ[١] هَذِه الْمِئَةُ والأربع عشرَة سُورَةً، أولهَا سُورَةُ الْفَاتِحَة وَآخِرهَا المعوِّذات، وأنه سُوَرٌ وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، مَتْلُوٌّ مَسموعٌ مَكْتُوبٌ. وَعِنْدهُم:[٢]

- أن هَذِه السُّور والآيات لَيست بقرآن وَإِنَّمَا هِيَ عبارَة عَنهُ وحكاية.
- وأنها مخلوقة.
- وَأن الْقُرْآن معنًى فِي نفس الْبَارِي.
- وَهُوَ شَيْء وَاحِد لَا يتجَزَّأ وَلَا يَتَبَعَّض وَلَا يَتَعَدَّد.
- وَلَا هُوَ شَيْء يُنَزَّلُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسمَعُ[٣] وَلَا يُكْتَبُ.
- وَأنه لَيْسَ فِي الْمَصَاحِف إِلَّا الْوَرق والمِداد.[١]

---

(١) الضمير يعود على القرآن لا على كلام الله.

(٢) الأشعرية.

(٣) يقول الأشعري وأتباعُه بأنه يمكن أن يُسمَع مع أنه ليس صوتًا [إحياء علوم الدين ج١ص٩١] وقال الماتريدي بعدم إمكانية السماع، لأنه لا يمكن أن يسمع إلا الصوت [التوحيد للماتريدي ص٥٩]، غير أن الأشاعرة والماتريدية متفقون على الإنكار والكفر بصوت الله تعالى، وقد بينَّا الرد عليهم في حاشية "فضل علم السلف" (ص٤٣).

وَاخْتلفُوا فِي هَذِه السُّور الَّتِي هِيَ الْقُرْآن.

فَزعم بَعضهم أنها عبارَةُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام، هُوَ الَّذِي أَلَّفَهَا بإلهامِ الله تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ.(٢)

وَزعم آخَرُونَ مِنْهُم أن الله تَعَالَى خلقهَا فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ فَأَخذهَا جِبْرِيل مِنْهُ.(٣)

---

(١) المداد: الحِبر.

(٢) قال الباقلاني الأشعري: «والمنزول به هو اللغة العربية التي تلا بها جبريل، ونحن نتلوا بها إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى قطر: قولُ جبريلَ عليه السلام، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ... وهذا إخبارٌ مِن الله تعالى بأن النظمَ العربي الذي هو قراءةُ كلامِ اللهِ تعالى: قولُ جبريلَ» [الإنصاف ص١٤٧].

(٣) قال فخر الرازي الأشعري: «فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، بِمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الَّذِي رَتَّبَهُ وَنَظَّمَهُ» [تفسير الرازي، الحاقة: ٤٠] وقال: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ سَمِعَ جِبْرِيلُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ سَمْعًا لِكَلَامِهِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى عِبَارَةٍ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَلَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فَقَرَأَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَفِظَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَصْوَاتًا مُقَطَّعَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فِي جِسْمٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَلَقَّفَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْلُقَ لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّهُ هُوَ الْعِبَارَةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ» [تفسير الرازي، البقرة: ٤].

[شبهة تعدد السُّوَر]

وَاحْتَجُّوا على كَون هَذِه السُّور مخلوقة بِأنَّهَا تَتَعَدَّد، وَلَا يَتَعَدَّدُ إِلَّا الْمَخْلُوق.

[الجواب] وَهَذَا يَبطُلُ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا صِفَاتٌ مُتعَدِّدَةٌ؛ مِنْهَا السّمعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْعلمُ، والإرادةُ، وَالْقُدْرَةُ، والحياةُ، والكلامُ، وَلَا خلافَ فِي أَنَّهَا قديمَة.[1] وَكَذَلِكَ أسمَاءُ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا مُتعَدِّدَةٌ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وَقَالَ النَّبِي ﷺ «إن لله تَعَالَى تِسْعَةً وتسعين اسْما، مئَةً إِلَّا وَاحِدًا، من أحصاها دخل الْجنَّةَ» فَثَبت تعدادُها بِالْكتابِ وَالسُّنةِ الْإِجْمَاعِ، وَهِي قَديمَةٌ. وَقد نَصَّ الشَّافِعِيُّ رَحمَه الله على أن أسمَاءَ الله تَعَالَى غيرُ مخلوقةٍ، وَقَالَ احْمَدُ رَحمَه الله «من زعم أن أسماء الله تَعَالَى مخلوقة فقد كفر».

وَكَذَلِكَ كَلِمَاتُ الله تَعَالَى مُتعَدِّدَةٌ، قَالَ الله تَعَالَى ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا

---

(١) كلمة قديمة عندهم بمعنى أنها لم تحدث بعد أن كانت معدومة.

بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩] وَهِي قديمَةٌ.

وَكَذَلِكَ كُتبُ الله تَعَالَى فَإِنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ مُتعَدِّدَةٌ وَهِي غيرُ مخلوقةٍ، وَإِن قَالُوا: «هِيَ مخلوقة» فقد قَالُوا بِخلقِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَول الْمُعْتَزلَةِ، وَقد اتفقنا على ضلالهم،[1] وَاتفقَ المُنتمونَ إِلَى السَّنةِ على أن الْقَائِلَ بِخلقِ الْقُرْآنِ كَافِرٌ،[2] مِنْهُم من قَالَ: «كفر ينْقل عَن الْمِلَّة» وَمِنْهُم من قَالَ: «لَا يَنْقُلهُ عَنْهَا».

فَمَتَى قَالُوا بِخلق الْقُرْآن وَغَيره من كتب الله تَعَالَى؛ فقد قَالُوا بقول أقرُّوا بِكفْر قَائِله!

وَإِن أقرُّوا بهَا غيرَ مخلوقةٍ وَهِي مُتعَدِّدَةٌ فقد بَطَلَ قَوْلُهُم.

---

(١) أي: اتفقنا نحن والأشاعرة والماتريدية على ضلال المعتزلة.

(٢) قال أبو زرعة وأبو حاتم: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم»... قالوا: «ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر» [شرح أصول أهل السنة ٣٢١].

وللمزيد مما نقل عن أهل السنة في هذا؛ انظر: السنة لعبد الله بن أحمدن في الفصل الأول منه، وانظر: شرح أصول أهل السنة للالكائي، فصل: سياق ما روي عن من أفتى في من قال: القرآن مخلوق.

وإن قَالُوا: هي شَيْءٌ وَاحِدٌ غيرُ مُتعَدِّدَةٍ؛ فقد كابَروا، وَيجب على هَذَا أن تكونَ التَّوْرَاةُ هِيَ الْقُرْآنُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأن مُوسَى لما أُنزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ؛ فقد أُنْزِلَ عَلَيْهِ كلُّ كتابٍ للهِ تَعَالَى، وأنَّ نَبيَّنَا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ فقد أُنزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأَنَّ من قَرَأَ آيَةً من الْقُرْآنِ فَقَدْ قَرَأَ كلَّ كِتَابٍ للهِ تَعَالَى، وَمن حفِظَ شَيْئًا مِنْهُ؛ فقد حَفِظَهُ كُلَّهُ، وَيجِبُ على هَذَا أن لَا يَتعَبَ أَحَدٌ فِي حِفظِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّه يحصُلُ لَهُ حِفظُ كلِّ كتابٍ للهِ تَعَالَى بِحِفْظِ آيَة مِنْهُ، وَيجِبُ أن يكونَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أنزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ؛ قد أَنْزَلَ عَلَيْهِ جَمِيعَهُ وَجَمِيعَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَهَذَا خِزيٌ على قَائِلِهِ، ومكابَرَةٌ لنَفسِهِ.

وَيجبُ على هَذَا أن يكونَ الْأمرُ هُوَ النَّهْيِ، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ النَّفْيُ، وقِصَّةُ نوحٍ هِيَ قصَّةُ هودٍ وَلُوطٍ، وَأَحدُ الضِّدَّينِ هُوَ الآخَرُ، وَهَذَا قَولُ من لَا يستحيي، وَيُشبهُ قَولَ السوفسطائية.[1]

وَقد بَلغنِي عَن وَاحِد مِنْهُم -يقال له ابن فورك- كأنه قيلَ لَهُ: «سُورَةُ

---

(١) السوفسطائية: مذهب فلسفي، وأهله يقدمون أدلة فاسدة موهمة، أحيانا ينكرون بها أشياءَ حسيةً أو يقينيةً.

الْبَقَرَةِ هِيَ سُورَةُ آل عَمرَان؟» قَالَ: «نعم».

[شبهة أن كلام الله لا ينزل]

وَإِن قَالُوا: إِن كَلَام الله عز وَجل هُوَ هَذِه الْكتب، وَإِن التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَالزَّبُور وَالْقُرْآن كَلَامُ اللهِ عزَّ وَجلَّ الْقَدِيمُ، لَكِنْ لم ينزل مِنْهُ شَيْءٌ على الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا هُوَ شيٌ يُحفَظُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسمَعُ، وَإِنَّمَا أنزلَ عِبَارَته.

[الجواب] كذَّبَهم القُرآنُ والسّنةُ وإجمَاعُ الأمةِ؛ فَإِنَّهُ لَا خلافَ بَينَ المُسلمينَ كلِّهم أنَّ القُرآنَ أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ، وأنَّ التَّورَاةَ أُنزِلَتْ على مُوسَى، والإنجِيلَ على عِيسَى، والزَّبُورَ على دَاوُدَ، واللهُ عزَّوجلَّ يَقُول: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يُوسُف ١-٢].

وقَالَ سُبحَانَهُ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشُّعَرَاء ١٩٢-١٩٤].

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ

وَٰحِدَةًۚ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١].

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر: ٨٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

وقَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ [الأنعام٩٢ / الأنعام ١٥٥] ومثل هَذَا كثير.

وقد كفَّرَالله تَعَالَى اليَهُود بقَولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: ٩١] ثمَّ قَالَ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ

نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١] ثمَّ قَالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١].(١)

وقَالَ عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ الآيَة [آل عمرَان ٧] ومثلُ هَذَا كثيرٌ.

وقَالَ النَّبِي -عَلَيهِ السَّلَام- «أُنزِل القُرآن على سَبعَة أحرف»[٢] والسّنةُ مَملُوءَةٌ مِنهُ.(٣)

[شبهة أنَّ كتاب الله غير القرآن]

فَإن قَالُوا: فكِتَابُ اللهِ غيرُ القُرآنِ.

---

(١) ﴿قل الله﴾ هي جواب: ﴿مَن أنزل الكتاب...﴾.

[٢] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨).

(٣) أي: من هذا المعنى.

[الجواب] قُلنَا: خالفتُم ربَّ العَالمِين، وخَرَقتم إجمَاعَ المُسلمين، وجئتم بِمَا لم يَأتِ بِهِ أُحدٌ من المُلحِدِينَ، فَإنَّهُ لَا خلافَ بَين المُسلمينَ أنَّ كتابَ اللهِ هُو القُرآنُ العَظِيمُ المُنَزَّلُ على سيدِ المُرسلينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ، واللهُ تَعَالَى قد أخبَرَ بذلكَ، فَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ١-٢].

وقالَ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف ١-٣].

وقالَ سُبحَانَهُ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ١-٣].

وقالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠﴾ [الأحقاف ٢٩-٣٠]. فَسَموهُ قُرآنًا وكتابًا.

وقَالَ فِي مَوضِع آخر: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجنّ ١-٢] ولَا يخفى هَذَا إِلَّا على من أعمى اللهُ قلبَه وأضلَّه عَن سَبيلِه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [الرعد: ٣٣].

[شبهة أن الحروف والأصوات لا تخرج إلا مِن مخارج وأدوات]

واحتَجُّوا أيضا بِأن هَذِه الحُرُوفَ لَا تخرج إِلَّا من مخارجَ وأدواتٍ، فَلَا يجوز إِضَافَة ذَلِك إِلَى الله سُبحَانَهُ.(١)

---

(١) قال الباقلاني الأشعري: «ما ذكرتم من الحصر، والتحديد والتبعيض، والحروف، والأصوات، فجميع ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته؛ لأن جميع ما ذكرتم يحتاج إلى مخارج من لسان، وشفتين، وحلق، والله يتعالى ويتنزه عن جميع ذلك» [الإنصاف ص٢٧]

وقال الشهرستاني الأشعري: «فإن أثبتوا حروفا هي أصوات مقطعة فلا بد لها من اصطكاكاتِ أجرامٍ حتى يتحقق الصوت...» قال: «فيلزم على ذلك أن يكون الباري جسما متحركا ذا اصطكاك في أجزاء جسمية، ويتعالى الرب سبحانه عن ذلك علوا كبيرا» [نهاية الإقدام إلى علم الكلام]

وقال الآمدي الأشعري: «إذ الأصوات لا تكون إلا عن اصطكاك أجرام صلبة من قرع، أو قلع» أبكار الأفكار (ج١ص٣٨٦).

والجَواب عَن هَذَا من أوجُهٍ:

أحدهَا: مَا الدَّلِيلُ على أنَّ الحُرُوف لَا تكون إلا مِن مخارجَ وأدواتٍ؟

فَإن قَالُوا: لأننا لَا نَقدِرُ على النُّطقِ بهَا إلَّا من مخارجَ وأدواتٍ؛ فَكَذَلِك اللهُ ربُّ العَالمينَ؛ قُلنَا: هَذَا قِيَاسٌ للهِ تَعَالَى على خلقِه، وتشبيهٌ لَهُ بِعِبادِه، وإلحاقٌ لصفاتِهِم بصفاتِه،وهَذَا من أقبحِ الكُفرِ، وقد اتَّفَقنا أن اللهَ تَعَالَى لَا يُشَبَّهُ بِخَلقِه وأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

الثَّانِي: إن هَذَا بَاطِلٌ بِسَائِرِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، فَإن العِلمَ لَا يكونُ فِي حَقنا إلَّا بِقَلبٍ، والسمعَ لَا يكونُ إلَّا من الخراقِ، والبَصَرُ لَا يكونُ إلَّا من حَدَقَةٍ، والله تَعَالَى عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، ولَا يُوصَفُ بذلِكَ، فَإن نَفَيتُم الكَلَامَ لافتقارِه -فِي زعمكم- إلَى المَخارِجِ والأدواتِ فَيَلزَمُكُم نفيُ سَائِر الصِّفَاتِ، وإن أثبَتُّم لَهُ الصِّفَاتِ ونفيتُم عَنهُ الأدواتِ؛ لَزِمَكُم مثلُ ذَلِكَ فِي الكَلَامِ، وإلَّا فَمَا الفرقُ بَينهمَا؟!

الثَّالِث: إن الله تَعَالَى أنطقَ بعضَ مخلوقاتِهِ بِغَيرِ مخارجَ، فَإنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [سورة فصلت: ٢٠-٢١].

وأخبَرَ عَن السَّمَاء والأرض أنَّهُمَا ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١].

وأخبر النَّبِي ﷺ أن حَجَرا كَانَ يسلم عَلَيهِ،[١] وسبح الحَصَى فِي يَدَيه.[٢]

وقَالَ ابن مَسعُود «كُنَّا نسمع تسبيحَ الطَّعَام وهُو يُؤكَل»[٣] ولَا خلاف

(١)عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» رواه مسلم (٢٢٧٧)

[٢] [غير ثابت] عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «تَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ حَصَيَاتٍ أَوْ تِسْعَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ» رواه ابن أبي عاصم (١١٨٠) والبزّار (٤٠٤٠) والطبراني في الأوسط (١٢٤٤) و(٤٠٩٧) والشاميين (٢٤٦) وأسانيد هذا الخبر لا تقوى مع شهرته، وقد أورده ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٣٢٦)

[٣] رواه البخاري (٣٥٧٩).

فِي أن الله تَعَالَى قَادرٌ على إنطاقِ الحَجَرِ الأصَمِّ مِنْ غَيرِ مَخَارِجَ، فَلِمَ لَا يَقدِرُ سُبحَانَهُ على التَّكَلُّمِ إلَّا من المَخَارِجِ؟![(١)]

[شبهة تعاقب الحروف]

واحتَجُّوا بَان الحُرُوف يدخُلُهَا التَّعَاقُب؛ فَيَسبِقُ بَعضَهَا بَعضًا.[(٢)]

---

(١) وإننا نستغرب ونتعجَّب من أناس يرددون هذه الشبهة اليوم وهم يسجلون أصواتهم ويسمعونها بمكبرات الصوت، ويرونها بأعينهم تصدر صوتًا بحروف مفهومَّة بدون أن يكون لها فم ولا أسنان ولا حنجرة، ثم يرددون هذه الشبهة أن الله -حاشاه- إذا تكلم فلابد من أن يكون له فم وأسنان وحنجرة، فترى من يدعي العقل والنظر كيف أنه يردد شبهة قيلت بجهل قبل أكثر من ألف سنة دون أن يحاول إعادة النظر فيها أو تطويرها بعدما علم أن الصوت ليس من شروطه الأسنان والرئتين والحنجرة، إلا أنَّ هذا سببه تصوُّرهم أنَّ الله قد يشابه البشر إذا أثبتنا له الصفات.

(٢)هذا الاعتراض كتبه الجويني الأشعري في «الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» (ص١٤٩).

ومعناه مثلا ﴿بسم الله﴾ الباء قبل السين، والسين بعد الباء. وهذا يخالف دين الجهمية من جهتين:

الأولى: أن هذا يلزم منه أن الله عنده زمان، وعنده قبل وبعد، وهذا ينافي دينهم.

والثاني: أن هذا الحرف الذي جاء بعد غيره فهو قطعا كان بعد أن يكن، وهذا عندهم مخلوق، لأنه بالنسبة إليهم، كل ما كان بعد أن لم يكن مَخلوقٌ، حتى لو كان من أفعال الله تعالى، وهذا ما يبنون عليه أكثر ضلالاتهم.

=

والجَواب: إنَّ هَذَا إنَّمَا يلزَمُ فِي حَقِّ مَنْ يتَكَلَّم بالمَخَارِجِ والأَدَوَاتِ، واللهُ سُبحَانَهُ لَا يُوصَفُ بذلكَ، وعَلى أن هَذَا يعودُ إلَى تَشبِيهِ اللهِ تَعَالَى بعبادِهِ، وأنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ إلَّا مَا يُتَصَوَّرُ مِنهُم؛ وهُو بَاطِل فِي نَفسه.

[بيان أنَّ السور التي فيها حروف قرآن]

فَإن قَالُوا فَمَا دليلكم على أن هَذِه السُّور المُشتَمِلَة على الحُرُوفِ قُرآنٌ؟

ولأن جواب الشيخ لم يكن مستوعبًا دحر هذه الشبهة، فأقول:

جواب الأولى: إن الله تعالى قال: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فوقع الحق وبطل بذلك قولهم، ثم تلي هذه الآية جميع ما أثبتناه من أفعال الله تعالى كالاستواء، والنزول، وبسط الأدلة في ذلك يطول.

وأما جواب الثانيَة: فهم بنوا قولهم على قاعدة «كل حادث مخلوق» وهذه القاعدة غير متفق عليها إلا بينهم وبين إخوانهم الفلاسفة، أما نحن فنقول: إن الله تعالى يفعل ما شاء كما شاء متى شاء، وشاهِد قولنا ما أجمع عليه الأنبياء آدمُ ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمدٌ عليهم صلوات الله وسلامه في قولهم يوم القيامة: « إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» [رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)] فأثبتوا غضب الله تعالى الذي يكون يوم القيامة أنه كان بعد أن لم يكن قبله مثله، ولن يكون بعده مثله، ولا يقول عاقل أن غضب الله مخلوق، فتعلم يقينًا أن ما كان من صفات الله تعالى وأفعاله لا يسمى مخلوقًا، ولا يقاس على غيره.

[الجواب] قُلنَا: كتابُ اللهِ تَعَالَى، وسنةُ نبيِّهِ عَلَيهِ السَّلَامُ، وإجمَاعُ الأمَّةِ.

أما كتابُ اللهِ تَعَالَى: فَقَوله سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩] فَأخبر الله تَعَالَى أن الَّذِي سَمَّوهُ شِعرًا؛ قُرآنٌ مُبينٌ، ومَا لَيسَ بِحُرُوفٍ لَا يجوز أن يكونُ شِعرًا عِند أحَدٍ، فَلَمَّا ثَبتَ أنهم سمَّوهُ شِعرًا؛ دلَّ على أنه حُرُوفٌ.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨] فَأَشَارَ إلَى حَاضِرٍ، وتحدَّاهم بالإتيانِ بِمِثلِهِ، ولَا يجوزُ التحدي بِمَا لَا يُعلَمُ ولَا يُدرَى مَا هُو.[1]

---

(١) الواقع أن هذا الرد ليس بحجَّةٍ عليهم، إلا إذا كان السؤال «مَا دليلكم على أن هَذِه السُّور المُشتَمِلَة على الحُرُوفِ هي الـقُرآنُ؟» لأن الأشاعرة عندهم القرآن قرآنان:

قرآن مخلوق، وهو ما نقرأه، وهذا الذي تحدى الله الكفار أن يأتوا بمثله.

وقرآن غير مخلوق وهو علم الله، يقول الرازي: «انَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِ اللَّه تَعَالَى، وَعَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّبَةَ

=

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل: ٧٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، وَالتَّحَدِّي إِنَّمَا وَقَعَ بِهَا لَا بِالصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ» [تفسير سورة يونس ٣٧ الى ٣٩] وليس عند هؤلاء دليل على كلامهم إلا أنهم أعجبهم كلام المعتزلة، وأعجبهم كلام أهل السنة فحاولوا خلط الحق بالباطل، فخرجوا بقول ثالث أكثر بطلانًا مِن قول المعتزلة.

فلا بد من الاحتجاج عليهم بأن القرآن ليس إلا كلام الله تعالى المبدوء بالفاتحة والمختوم بالناس، وهذا فقط هو القرآن.

وإنه لمِن المحزِنِ أن نحتاج إلى أن نحتَجَّ على أناس مِن أهل القِبلَة بأنَّه ليس عندنا إلا قرآن واحد، وأنَّ هذا القرآن هو ما نقرؤه في صلاتنا، فانظر شؤم البِدعة.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

فَأخبر الله تَعَالَى عَنهُم أنهم طَلبُوا مِنهُ الإتيَانَ بِغَيرِهِ أو تبديلَه، ومرَّةً أنهم ادعَوا القُدرَةَ على أن يَقُولُوا مثلَه، ومرَّةً قَالُوا: «لَولَا أنزِل على غَيره»؛ عُلمَ يَقِينًا أنَّه هَذَا المَوجُود عندنَا الَّذِي هُو سُوَرٌ وآياتٌ وحروفٌ وكلماتٌ.

وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقَالَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: ٤١].

وقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨] وهَذِه إشَارَةٌ إلَى حَاضرٍ، والَّذِي صُرِّفَتْ فِيهِ الأمثَالُ إنَّمَا هُو هَذَا القُرآنُ العَرَبِيُّ الَّذِي يعرِفُهُ النَّاسُ قُرآنًا، وسَماهُ الله تَعَالَى ﴿عَرَبِيًّا﴾ وهَذَا إنَّمَا يُوصَفُ بِهِ النَّظمُ الَّذِي هُو حُرُوفٌ دون مَا لَا يُعرَفُ ولَا يُدرَى مَا هُو.

وقَالَ عزَّ وجل: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [فصلت: ٣].

وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾

[الشُّعَرَاء ١٩٢-١٩٥].

وقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾

[طه: ١١٣].

وقَالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ٢].

وقَالَ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]

وهَذِه الآيَاتُ وأشباهُهَا فِي كتابِ اللهِ تَعَالَى كثيرٌ، تدُلُّ بمجموعِهَا على أنَّ القُرآنَ؛ هَذَا الَّذِي هُو سُوَرٌ مُحكماتٌ وآياتٌ مُفَصَّلاتٌ وحروفٌ وكلماتٌ، وإن تَطَرَّقَ احتِمَال [إلى][١] بَعضهَا فَلَا يتَطَرَّق إلَى مجموعها.

وقَالَ النَّبِي ﷺ: «إن هَذَا القُرآن مأدُبَةُ اللهِ فتعلمُوا مِن مأدُبتِه مَا استَطَعتُم، إن هَذَا القُرآنَ هُو حَبلُ الله تَعَالَى، هُو النُّور المُبينُ والشفاءُ النافع، عصمَةٌ لمن تمسَّكَ بِهِ، ونَجَاةٌ لمن تبعَه، لَا يعوَجُّ فَيُقَوَّمُ، ولَا يزِيغُ فيُستعتَبُ، ولَا تَنقَضِي عَجائِبُهُ، ولَا يَخلَقُ عَن كَثرَة الرَّد، فاتلوه فَإن اللهَ يَأجُركُم على تِلَاوتِه بِكُل حرفٍ عشرُ حَسَنَات، أما إنِّي لَا أقُول ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، ولَكِن فِي الألف عشر، وفِي اللَّام عشر، وفِي المِيم عشر».

ورُوِيَ أيضًا عَن ابن مَسعُود مَوقُوفًا عَلَيهِ،(٢) والسّنةُ مُشحُونةٌ بذلك.

والأمةُ مُجمِعَةٌ على أنَّ هَذَا هو القُرآنَ؛ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إلا بِهِ،

---

[١] غير موجودة في المخطوط، وأضفتها لأن السياق يقتضيها.

(٢) الموقوف: أي من كلام الصحابي.

ولَا تصح الخُطبَةُ إلَّا بِآيَةٍ مِنهُ، ولَا يَقرَأُهُ حَائِضٌ ولَا جُنُبٍ.(١)

ولَمَّا اختلفَ أهلُ الحقِّ والمعتزلةُ، فَقَالَ أهلُ الحقِّ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ، وقَالَتِ المُعتَزلَةُ: هُو مَخلُوقٌ؛ لم يَكُنِ اختلَافُهُم إلا فِي هَذَا المَوجُودِ، دون مَا فِي نفس البَارِي مِمَّا لَا يُدرَى مَا هُو ولَا نعرِفُهُ.

ولَمَّا أمَرَ اللهُ تَعَالَى بترتيلِ القُرآنِ بقولِه سُبحَانَهُ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤] لم يَفهَمْ مِنهُ المُسلمُونَ إلَّا هَذَا المَوجُودَ.

ولما قَالَ الولِيدُ بنُ المُغيرَةِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥] إنَّمَا أشَارَ إلَى هَذَا النّظمِ،(٢) فَتَوَعَّدَه اللهُ عزَّوجَلَّ فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦].

ولَمَّا قَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١] إنَّمَا أشاروا إلَيهِ.

---

(١) القراءة في الخطبة وقراءة الحائض فيها خلاف.

(٢) النظم: الكلام المنظوم المرتب بترتيب معيَّن.

ولَمَّا قَالُوا: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لم يَعنوا غيرَه.

ولَو لَم يكُنْ هَذَا النّظمُ قُرآنًا لَوَجَبَ أن تَبطُلَ الصَّلَاةُ بِهِ لِأن النَّبِي ﷺ قَالَ: «إن صَلَاتنَا هَذِه لَا يَصلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسبِيحُ والتَّكبِيرُ وقِرَاءَةُ القُرآنِ» فعلى قَول هَؤُلَاءِ المَخذُولينَ: يكونُ القُرآنُ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إلَّا بِهِ؛ مُبطِلًا لَهَا لِأَنَّهُ لَيسَ بقرآنٍ وإنَّمَا هُو عبارةُ جِبرِيلَ، وهَذِه فضيحةٌ لم يُسبقُوا إلَيهَا.[١]

[مخالفة الأشعري وأتباعه للإجماع، وبيان ضلالهم]

وأجمع المُسلمُونَ على أنَّ فِي القُرآنِ نَاسِخًا ومَنسُوخًا، وإنَّمَا يتعَلَّقُ هَذِا بالنّظم دون مَا فِي النَّفسِ.

وأجمعُوا على أن القُرآن مُعجِزٌ لِلخَلقِ؛ عجزوا عَن الإتيَانِ بِعَشرِ سُوَرٍ مِثلِه، أو سُورَةٍ مثلِه، وإنَّمَا يتعَلَّقُ ذَلِك بِهَذَا القُرآنِ، وهُو هَذَا القُرآنُ

(١) **والفضيحة الثانية**: إنهم إن صدقوا بأن الكلام هو ما في النَّفسِ؛ لكانت الصلاة تبطل إذا فكَّر الشخص بشيء مِن الأمور، وهذا لا ينفكُّ أحدٌ عنه، وهو غير مبطل للصلاة بالإجماع.

الَّذِي أجمَعَ عَلَيهِ المُسلمُونَ، وكَفَرَ بِهِ الكَافِرُونَ، وزَعَمَتِ المُعتَزِلَةُ أنه مَخلُوقٌ، وأقرَّ الأشعَرِيُّ أنهم مُخطِئونَ ثمَّ عَادَ فَقَالَ: «هُو مَخلُوقٌ ولَيسَ بقرآنٍ» فَزَاد عَلَيهِم.

ولَا خلاف بَينَ المُسلمينَ أجمَعِينَ أنَّ مَن جَحَد آيَةً أو كَلِمَةً مُتَّفَقًا عَلَيهَا أو حرفًا مُتَّفقًا عَلَيهِ؛ أنه كَافِرٌ، وقَالَ عَلِيّ رَضِي الله عَنهُ: «مَن كفرَ بِحرفٍ مِنهُ فَقد كفرَ بِهِ كُلِّه»[١] والأشعرِيُّ يجحَدُهُ كُلَّه، ويَقُول: «لَيسَ شَيء مِنهُ قُرآنًا، وإنَّمَا هُو كَلَامُ جِبرِيلَ».

ولَا خلاف بَينَ المُسلمينَ كلَّهُم فِي أنَّهُم يَقُولُونَ: «قَالَ اللهُ كَذَا» إذا أرَادُوا أن يُخبِرُوا عَن آيَةٍ، أو يستشهِدُوا بِكَلِمَةٍ مِن القُرآنِ، ويُقِرُّونَ كلُّهم بِأن هَذَا قَولُ اللهِ، وعندَ الأشعَرِيِّ لَيسَ هَذَا قَولُ اللهِ وإنَّمَا هُو قَولُ جِبرِيلَ، فَكَانَ يَنبَغِي لَهُم أنهم يَقُولُونَ: «قَالَ جِبرِيلُ» أو: «قَالَ النَّبِي ﷺ» إذا حَكَوا آيَة.

[١] صحيح عن ابن مسعود، ولم أجده عن عليٍّ. رواه بنحوه عبد الرزاق (١٥٩٤٦) والطبري في التفسير (ط. دار التربية ج١ص٥٥) وهو صحيح عن إبراهيم النخعي، وقال إبراهيم عن ابن مسعود، وبينهما انقطاع، إلا أنَّ مراسيل النخعي عن ابن مسعود صحيحة، انظر: «شرح علل الترمذي» (ج١ص٥٤٢).

ثمَّ إنَّهُم[١] قد أقرُّوا أن القُرآنَ كَلَامُ اللهِ غيرُ مَخلُوقٍ، فَإذا لم يكن القُرآنُ هَذَا الكتابَ العَرَبِيَّ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ قُرآنًا؛ فَمَا القُرآن عِندَهُمْ؟ وبِأيِّ شَيءٍ علِمُوا أنَّ غيرَ هَذَا يُسمَّى قُرآنًا؟ فَإن تَسمِيَةَ القُرآنِ إنَّمَا تُعلَمُ مِنَ الشَّرعِ أو النَّصِّ، وَأما العَقلُ فَلَا يَقتَضِي تَسمِيَةَ صِفَةِ اللهِ قُرآنًا، ومَا وردَ النَّص بتسميتهِ «القُرآن» إلَّا لهَذَا الكتابِ، ولَا عَرَفَتِ الأمةُ قُرآنًا غَيرَه، وتسميتُهم غَيرَه قُرآنًا تَحكُّمٌ بِغَيرِ دَلِيلٍ شَرعِيٍّ ولَا عَقلِيٍّ تُخَالفُ الكتابَ والسّنةَ وإجمَاعَ الأمة.

ومدارُ القَومِ على القَولِ بِخلق القُرآنِ ووفاقِ المُعتَزلَةِ[٢] ولَكِنْ أحبُّوا أن لَا يُعلَمَ بِهِم؛ فارتَكَبُوا مُكَابَرَةَ العيانِ، وجحْدَ الحَقَائِقِ، ومُخَالفَةَ الإجمَاعِ، ونبذَ الكِتابِ والسُّنةَ ورَاءَ ظُهُورِهِم، والقَولَ بِشَيءٍ لم يقُلهُ قبلَهُم مُسلِمٌ ولَا كَافِرٌ.

---

(١) الأشاعرة.

(٢)قال الإيجي الأشعري: «فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف،وكونها حادثة، فنحن نقول به،ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك» [المواقفص٢٩٤]

[التَّقيَّة عند الأشعريَّة]

وَمِنَ العَجَبِ أنَّهم لَا يتجَاسَرُونَ على إظهَارِ قَولِهِم ولَا التَّصرِيحِ بِهِ إلَّا فِي الخَلَوَاتِ[١] ولَو أنهم وُلَاة الأمر وأربابُ الدولة،[٢] وإذا حُكيت عَنهُم مقالَتَهُم الَّتِي يَعتقِدونَها؛ كَرِهُوا ذَلِكَ وأنكَروه وكابَرُوا عَلَيهِ، ولَا يَتَظاهَرُونَ إلَّا بتعظِيمِ القُرآنِ وتبجيلِ المَصَاحِفِ والقِيَامِ لَهَا عِندَ رؤيتِها، وفِي الخلواتِ يَقُولُونَ «مَا فِيهَا إلَّا الورق والمِداد، وأيُّ شَيء فِيهَا؟!» وهَذَا فعلُ الزَّنَادِقَةِ.

ولَقَد حكيتُ عَن الَّذِي جَرَتْ المُنَاظَرَةُ بيني وبَينَهُ بعضَ مَا قَالَه، فَنُقِلَ إلَيهِ ذَلِكَ؛ فَغَضِبَ وَشَقَّ عَلَيهِ، وهُو من أكبر وُلَاةِ البَلَدِ. ومَا أفصَحَ لِي بمقالتِهِ حَتَّى خَلَوتُ مَعَهُ، وقَالَ: «أُرِيدُ أن أقُولَ لَكَ أقصَى مَا فِي نَفسِي،

---

(١) قال الباجوري الأشعري: «لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم» [شرح جوهرة التوحيد ص٩٤].

(٢) فالأشاعرة كانوا هم المسيطرون على المناصب الدينية لقربهم مِن السلاطين، وترى السلاطين يوافقونهم، وهذا موجود إلى زماننا كما ترى في سوريا ومصر وأكثر البلاد الإسلامية، ومع ذلك فإنَّهم أجبَنُ مِن المُعتَزِلَةِ في إظهار مقالاتهم، إذ أنَّهم علموا أنَّ مذهب المعتزِلة لمَّا كان صريحًا قويًّا مُصادِمًا لعلماء المسلمين وعامَّتِهم؛ انكسر، فعلِموا أن تغليف البدعة بالأقوالِ الموهِمةِ أروَجُ لها، ففعلوَا ذلك، ولهذا راجَ مذهبُهُم.

وتقولَ لِي أقصى مَا فِي نَفسِك» وصرَّحَ لي بمقالَتِهِم على مَا حَكَيناهُ عَنهُم، ولمَّا ألزمتُه بعضَ الآيَاتِ الدَّالَّة على أن القُرآنَ هُو هَذِه السُّور؛ قَالَ: «وأنا أقُول: إن هَذَا قُرآنٌ، ولَكِنْ لَيسَ هُو القُرآنُ القَدِيمُ.

قلت: ولنَا قرآنان؟

قَالَ: نَعَم، وأيُّ شَيءٍ يكونُ إذا كَانَ لنا قرآنان؟

ثمَّ غَضِب لما حكيتُ عَنهُ هَذَا القَولَ.

وقَالَ لَهُ بعضُ أصحَابِنَا: أنتُم وُلَاةُ الأمر وأربابُ الدولةِ؛ فَمَا الَّذِي يمنَعُكُم من إظهَارِ مَقَالَتِكُم لعامَّةِ النَّاسِ ودُعَاءِ النَّاسِ إلَى القَولِ بهَا بَينَهُم؛ فبُهِتَ ولم يُجِبْ إلَيَّ.

ولَا نَعرِفُ فِي أهلِ البِدَعِ طَائِفَةً يكتُمُونَ مَذاهبَهم ولَا يتجاسرونَ على إظهارِها إلا الزَّنَادِقَةَ والأشعريَّةَ، وقد أمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَه ﷺ بإظهَارِ الدّينِ والدُّعَاءِ إليه وتبليغِ مَا أُنزِلَ عَلَيهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

فَإن كَانَت مقالتهم كَمَا يَزعمُونَ هِيَ الحقُّ فَهَلَّا أظهرُوها ودعَوْا

النَّاسَ إلَيهَا؟! وكَيفَ حَلَّ لَهُم كتمانُها وإخفاؤها والتظاهُرُ بِخِلَافِهَا وإيهامُ العَام اعتِقَادَ مَا سِواهَا؟ بل لَو كَانَت مقالتُهم هِيَ الحقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأصحَابُه والأئِمَّةُ الَّذينَ بعدَهُم؛ كَيفَ لَمْ يُظهِرَهَا أحدٌ مِنهُم، وكَيفَ تواطَأوا على كِتمَانِهَا، أم كَيفَ حلَّ للنَّبِيِّ ﷺ كتمانُها عَن أمتِه وقد أُمِرَ بتبليغِ مَا أُنزِلَ إلَيهِ وتُوُعِّدَ على إخفاءِ شيءٍ مِنهُ بقولِه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] أم كَيفَ وَسِعَهُ أن يُوهِم الخَلقَ خِلَافَ الحَقِّ؟ ثمَّ هُو ﷺ اشفَقُ على أمَّتِهِ مِن أنْ يُعَلِّمَهُ اللهُ حَقًا ويَأمُرُه بتبليغِهِ إلَى أمتِه فيكتُمُه عَنهُم حَتَّى يضِلوا عَنهُ. ثمَّ إذا كتَمَهُ فَمَن الذي بَلَّغَه إلَى الصَّحَابَةِ حَتَّى اعتقدُوه ودانوابِهِ، وكَيف يُصوَّرُ مِنهُم أن يدينوا بِهِ ويتواطَأوا على كِتمَانِه حَتَّى لَا يُنقَلُ عَن أحدٍ مِنهُم مَعَ كَثرتِهم وتَفَرُّقِهم فِي البلدَانِ، فَإِن تُصُوِّرَ ذَلِك مِنهُم؛ فَمن الَّذِي نَقَلَه إلَى التَّابِعينَ حَتَّى اعتقدُوه فَكُلُّ هَذَا مِنَ المُستحيلِ الَّذِي يقطَعُ كُلُّ ذِي لُبٍّ بِفَسَادِه، ويَعلمُ يَقِينًا أن رَسُولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه وتابعيهم مَا كَانُوا يَعتَقِدُونَ فِي القُرآن اعتقادًا سِوى اعتِقَادِ المُسلمين، وأنه هَذَا القُرآنُ العَرَبِيُّ الَّذِي هُو سورٌ وآياتٌ، وهَذَا أمر لَا يخفى على غيرِ مَن أضلَّهُ اللهُ.

وإن تصورَ فِي عُقُولِهِم أن الحق خَفِيَ= على رَسُولِ اللهِ ﷺ وعَلى أصحَابِه والتَّابِعِينَ بعدَهم، وعَلى الأئِمَّةِ الَّذين مهَّدوا الدّينَ واقتدَوا

بِسَلَفِهِم، واقتَدوا بِهِم مَن بعدَهم = وغُطِّيَ عَنهُم الصَّوابُ ولم يتَبَيَّن لَهُمُ الصَّحِيحُ إلَى أن جَاءَ الأشعَرِيِّ فَبَيَّنَهُ وأوضحَ مَا خَفِيَ على النَّبِيِّ ﷺ وأمتِه وكشفَه؛ فَهَذِهِ عقولٌ سخيفةٌ وآراءٌ ضَعِيفَةٌ؛ إذ يُتَصَورُ فِيهَا أنْ يضيعَ الحقُّ عَن النَّبِيِّ ﷺ ويجدُهُ الأشعَرِيُّ ويغفلُ عَنهُ كلُّ الأمَّةِ، وينتَبِهُ لَهُ دونَهُم، وإن سَاغَ لَهُم هَذَا؛ سَاغَ لسَائِرِ الكفَّارِ نِسبتُهم لنبيِّنا -عَلَيهِ السَّلَامُ- وأمَّتِه إلَى أنَّهم ضَاعُوا عَن الصَّواب وأُضِلُّوا عَن الطَّرِيقِ، ويَنبَغِي أن تكونَ شريعتُهم غيرَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ودينُهم غيرَ دينِ الإسلَامِ لِأنَّ دينَ الإسلَامِ هُو الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّد ﷺ، وهَذَا إنَّمَا جَاءَ بِهِ الأشعَرِيُّ، وإن رَضوُا هَذَا واعتَرَفُوا بِهِ؛ خَرجُوا عَن الإسلَامِ بِالكُلِّيَّةِ.

[إثبات أن القرآن حروف]

[شبهة] فَإن قَالُوا فَكيف قُلتُم إن القُرآن حُرُوفٌ، ولم يَرِد فِي كتابٍ ولَا سنةٍ ولَا عَن أحدٍ من الأئِمَّةِ؟

[الجواب] قُلنَا: قد ثَبتَ أن القُرآنَ هُو هَذِه السُّورُ والآياتِ، ولَا خِلافَ بَينَ العُقَلَاءِ كلِّهم مسلمِهم وكافرِهم فِي أنَّهَا حُرُوفٌ، ولَا يختَلف عاقلانِ فِي أنَّ ﴿الحَمدُ﴾ خَمسَةُ أحرفٍ، واتفقَ المُسلمُونَ كلُّهم فِي أن سُورَةَ الفَاتِحَةِ سبعُ آيَاتٍ، واختلفُوا فِي أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم﴾ هَل هِيَ آيَةٌ مِنهَا أم لَا، واتَّفَقُوا كلُّهم على أنَّهَا كَلِمَاتٌ وحروفٌ.

وقد افتَتَحَ اللّٰهُ تَعَالَى كثيرًا من سُوَرِ القُرآنِ بالحروفِ المُقطَّعَةِ مثل: ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ ولَا يجحَد عَاقلٌ كَونَهَا حروفًا إلَّا على سَبِيلِ المُكابَرَةِ، وهَذَا أمرٌ غيرُ خَافٍ على أحدٍ، فَلَا حَاجَةَ إلَى الدَّلِيلِ عَلَيهِ.

فَإن قَالُوا: لَا يسوغُ لكم أن تَقولُوا لَفظَةً لم ترد فِي كتاب ولَا سنةٍ وإن كَانَ مَعنَاهَا صَحِيحًا ثَابتًا.

قُلنَا: هَذَا خَطَأ، فَإنَّهُ لَا خلافَ فِي أَنَّهُ يجوزُ أنْ يُقَالَ: «إن القُرآنَ مائَةٌ وأربعُ عشرَةَ سُورَة، وإن سُورَةَ البَقَرَةِ مِائَتَانِ وستٌّ وثَمَانُونَ آيَة» وفِي عدِّ آي سُوَرِ القُرآنِ وأحزابِه وأسبَاعِه وأعشارِه، ولم يّرِد لفظٌ فِي ذَلِك فِي كِتَابٍ ولَا سُنَّةٍ.

على أنَّ لفظَ الحَرفِ قد جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ وأقوالُ الصَّحَابَةِ وإجمَاعُ الأمةِ؛ فَقَالَ النَّبِي ﷺ «من قَرَأَ القُرآن وأعربه فَلهُ بِكُل حرف مِنهُ عشر حَسَنَات ومن قَرَأَهُ ولحن فِيهِ فَلهُ بِكُل حرف مِنهُ حَسَنَة»[١] وهَذَا حَدِيثٌ

[١] قال محققو المغني: «لم نجده في الترمذي بهذا اللفظ ولا قريب منه. وقد أورد السيوطي في الجامع الكبير حديثا يقاربه في المعنى باختلاف الألفاظ صفحة ٨١٧ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان».

وقال محقق لمعة الاعتقاد: «رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

=

صَحِيحٌ.

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقرأوا القُرآن قبل أن يَأتي قوم يُقيمُونَ حُرُوفه إقَامَة السهم لَا يُجَاوز تراقيهم».[١]

وقَالَ عَلَيهِ السَّلَام: «أُنزل القُرآن على سَبعَة أحرف».[٢]

وقَالَ أبُو بكرٍ وعمرَ رَضِي الله عَنهُمَا: «إعرَابُ القُرآن(٣) أحبُّ إلَينَا من حِفظِ بعضِ حُرُوفِه».[٤]

بلفظ: (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات) وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك».

قلت: لكن قد يكون في نسخة ليست عندنا من سنن الترمذي، لأن ابن قدامة نسبه للترمذي في كتابين، وأكد على صحته هنا وفي المغني وفي اللمعة وفي الكافي.

[١] رواه ابن المبارك في الزهد (٨١٣) وغيره، وفيه موسى بن عبيدة ضعيف.

[٢] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨).

(٣) كلمَة «إعراب» معناها: قراءة الكلمة بلسان عربي فصيح.

[٤] رواه أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١٦) وابن المقرئفي «أخبار النحويين» (ص٤٢) وإسناده تالف فيه جابر الجعفي وشريك النخعي، ونُقل هذا القول عن الشافعي «مناقب

=

وقَالَ عَلِيٌّ رَضِي اللهُ عَنهُ: «من كفر بِحرف من القُرآن فقد كفر بِهِ كُله».[١]

وقَالَ أيضًا: «تعلمُوا البَقَرَة، فَإن بِكُل حرفٍ مِنها حَسَنَةً، والحسنةُ بِعشرَةِ أمثَالِهَا».[٢]

وقَالَ عبد الله بن مَسعُود رَضِي اللهُ عَنهُ: «من حلف بِالقُرآنِ فَعَلَيهِ بِكُل حرف كَفَّارَة».[٣]

وقَالَ ابن عُمَرُ: «إذا خرج أحدكُم لِحَاجَتِهِ ثمَّ رَجَعَ إلَى أهله فليأت

الشافعي للبيهقي» (١/ ٢٨٢).

[١] سبق الكلام عنه قبل صفحات.

[٢] لم أجده عن عليٍّ رضي الله عنه، ولكن «تعلموا البقرة» جاء في حديثٍ مرفوع رواه أحمد «تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ...» وذِكر الحروف في أثر عن عبد الله بن مسعود « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ، فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ فِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ {الم} وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَامٌ وَمِيمٌ»رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٣٢) و(٢٩٩٣٤) والدارمي (٣٣٥١) وقال حسين سليم أسد: « إسناده صحيح وهو موقوف» وروى الترمذي نحوه مرفوعا (٢٩١٠) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

[٣] **صحيح**، رواه عبد الرزاق (١٥٩٤٦).

المُصحفَ فيفتحه فيقرا سُورَةً، فَإن اللهَ يكتبُ لَهُ بِكُلِّ حرفٍ عشرَ حَسَنَاتٍ، أما إنِّي لَا أقُول ﴿الٓمٓ﴾ ولَكِن الألف عشرٌ، واللَّام عشرٌ، والمِيم عشرٌ». [١]

وقَالَ الحسن البَصرِيُّ: «قُرَّاءُ القُرآنِ ثَلَاثَةٌ؛ فقومٌ حَفِظوا حُرُوفَه وضَيَّعُوا حُدُودَه...». [٢]

وقَالَ حُذَيفَةُ وفَضالَة بن عبيد(٣): «خُذ عَلَيَّ المُصحَفَ، ولَا تَرُدَّنَّ عَلَيَّ ألِفًا ولَا واوًا». [٤]

وذَكَرَ أبُو عُبَيدٍ وغَيرُه من الأئِمَّة فِي تصانِيفِهم «بَابُ اختلَافِهِم فِي

---

[١]**عن ابن عباس**، ولم أجده عن ابن عمر. رواه ابن المبارك (٨٠٧) ونقله البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠٣) وقال: «وهذا هو **الصحيح**».

[٢] رواه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (١٠٢) ولا يثبت إسناده.

(٣) صحابي.

[٤] رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٢١٣) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٤٨ص٣٠٢) وإسناده ضعيف، وفيه أبو مسكينة أو أبو مكينة ولم أعثر عليه.

حُرُوفِ القُرآنِ». [١]

واتفقَ أهل الأمصَارِ مِن أهلِ الحِجَازِ والعِرَاقِ والشَّامِ على عَدَدَ حُرُوفِ القُرآن فَعَدَّهَا كلُّ أهلِ مصرَ وقَالُوا: «عَدَدُهَا كَذَا وكَذَا». [٢]

وقَالَ المُسيبُ بن واضحٍ: «قلتُ ليوسفَ بنِ أسباطٍ: حَدَّثَنِي أبو عمرَ الصَّنعَانِيُّ حَفصُ بن مَيسرَة قَالَ: القُرآنُ ألْفَا ألِفِ حَرفٍ وأربعةٌ وعِشرُونَ ألفَ حرفٍ، فَمَن قَرَأَ القُرآنَ أُعطِيَ بِكُلِّ حرفٍ زَوجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، فَقَالَ لي يُوسُفُ بنُ أسبَاطٍ: ومَا يُعجِبك من ذَلِكَ؟ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أبانٍ العجلِيِّ، عَن عبدِ الأعلى، عَنْ إبرَاهِيم التَّيمِيّ، عَن أبِيه، عَن عبد الله بن مَسعُود قَالَ: «من قَرَأَ القُرآن أعطي بِكُل حرف زَوجَتَينِ من الحور

---

(١) يعني في اختلاف القراءات، فالقرآن الكريم له عشر قراءاتٍ، وكل ذلك أنزله الله، فقد أنزَلَ الله تعالى في الفاتحة ﴿مالك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿ملك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿صراط الذين﴾ وأنزل ﴿سراط الذين﴾ فكل قارئ اختار لنفسه ما يقرأ به مما أنزل الله، فهذا المراد باختلافهم في حروف القرآن.

(٢) وذلك الاختلاف سببه اختلاف قراءتهم كما سبق، وقد يكون الاختلاف بسبب طريقة العد، فمثلًا: كلمة «قالوا» الألف تكتب ولا تلفظ، فهل نعدُّها أم لا، وكذلك «لكن» نقرؤها بألف بعد اللام، ولا نكتب هذه الألف، فهل نعدُّها أم لا.

العين».[١]

ولم تزل هَذِه الأخبَارُ وهَذِه اللَّفظَةُ متداولةً منقولةً بَين النَّاسِ لَا يُنكِرُها مُنكِرٌ، ولَا يَختَلِفُ فِيهَا أحَدٌ إلَى أن جَاءَ الأشعَرِيُّ فأنكرها وخَالفَ الخلقَ كلَّهُم؛ مسلمَهم وكافِرَهم، ولَا تَأثِيرَ لقَولِه عِندَ أهلِ الحَقِّ، ولَا يَترُكُ[٢] الحَقَائِقَ وقَولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وإجمَاعَ الأمةِ لقَولِ الأشعَرِيِّ، إلَّا مَن قَد سَلَبَهُ اللهُ التَّوفِيقَ وأعمى بصيرَتَه وأضَلَّهُ عَن سَواءِ السَّبِيلِ.

[شبهة اثبات الصوت لله]

وقَالُوا أيضًا: قد قُلتُم: «إن الله يتَكَلَّم بِصَوتٍ» ولم يَأتِ كتابٌ ولَا سُنَّةٌ.

[الجواب] قُلنَا: بل قَد وَرَدَ بِهِ الكتابُ، والسنةُ، وإجمَاعُ أهلِ الحَقِّ.

أما الكتابُ فَقولُ الله تَعالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

[١] ضعيف، ورواه ابن منده في «الرد على من يقول الم حرف لابن منده» (ص٦١).

[٢] في المخطوطة (تترك) والسياق لا يقتضيها.

وقوله تعالَى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله سُبحانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ الآية [الشورى ٥١].

وقوله تعالَى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠].

ولَا خلافَ بَيننَا أنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ بِغَيرِ واسِطَةٍ،[1] ولَا يُسمَعُ إلَّا الصَّوتُ، فَإن الصَّوتَ هُو مَا يَتَأتَّى سَمَاعُه.

وقد صَحَّ عَن النَّبِي ﷺ أنَّه قَالَ: «إن الله يجمع الخَلَائق فيناديهم بِصَوت يسمعهُ مَن بَعُد كَمَا يَسمع مَن قَرُبَ {أنا الملك أنا الديَّان}»[٢].

وذكر عبد الله بن أحمد انه قَالَ: سَالَتُ أبِي فَقلتُ: يَا أبه، إن الجَهمِيَّةَ يَزعمُونَ أن اللهَ لَا يتَكَلَّمُ بِصَوتٍ، فَقَالَ: «كذبُوا إنَّمَا يُرِيدُونَ على التعطيل»

---

(١) لا خلاف بيننا وبين الأشعرية في هذا، لأنهم يقولون إن موسى سمع الكلام النفسي، وهم ينكرون صوت الله تعالى مع ذلك، أما المعتزلة والماتريدية فلا يوافقون هذا ويرون قول الأشعرية متناقض، ويثبتون الواسطة.

[٢] صحيح، انظر تخريجه والرد على اعتراضات من ضعفه في تعليقي على «فضل علم السلف» (ص٤٣).

ثمَّ قَالَ: حَدَّثنَا عبدُ الرَّحمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ المُحَارِبِيِّ قَالَ: حَدثنَا سُلَيمَانُ بنُ مِهرَانَ الأعمَشُ، عَن أبي الضُّحَى، عَن مَسرُوقٍ، عَن عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِي اللهُ عَنهُ أنه قَالَ: «إذا تكلم الله بِالوحي سمع صَوتَه أهلُ السَّمَاء».

قَالَ أبُو نصر السجزِي -رَحِمَه الله- وهَذَا الخَبَر لَيسَ فِي رُواتِه إلَّا إمَامٌ مَقبُولٌ، وقد رُوِيَ مَرفُوعًا إلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وفِي بعض الآثارِ أنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ لَمَّا ناداهُ ربُّه: ﴿يَا مُوسَى﴾ أجابَ سَرِيعًا استئناسًا بالصوتِ، فَقَالَ: «لبيك، أسمَعُ صَوتَكَ ولَا أرى مَكَانَكَ، فَأينَ أنتَ»؟ قَالَ: {أنا فَوقَكَ وأمامُكَ ووراءُكَ وعَن يَمِينِكَ وعَن شِمالِكَ} فَعَلِمَ أنَّ هَذِه الصّفةُ لَا تنبغي إلَّا للهِ عزَّ وجلَّ، قَالَ: «فَكَذَلِكَ أنت يَا ربِّ، أفكلامَكَ أسمَعُ أم كَلَامَ رَسُولِكَ»؟ قَالَ: {بل كَلَامي}.[١]

وفِي أثَرٍ آخرٍ أنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَام لمَّا ناجاهُ ربُّه ثُمَّ سمِعَ كَلَامَ الآدَمِيّينَ؛ مقَتَهم لِمَا وقَر فِي مسامعه من كَلَامِ اللهِ تَعَالَى.

ومثلُه فِي الآثَارِ كثيرٌ تناولَتهُ الأمة ولم يُنكِرهُ إلَّا مُبتَدعٌ لَا يُلتَفَتُ إلَيهِ.

---

[١] «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٦١/ ٥٠).

[شبهة أن الصوت يحتاج إلى أدوات]

فَإِن قَالُوا: فالصوتُ لَا يكونُ إِلَّا مِن هَواءٍ بَينَ جِرمَينِ.[١]

[الجواب] قُلنَا هَذَا من الهذيان الَّذِي أجبنا عَن مِثلهِ فِي الحَرفِ وقُلنَا: إِنَّ هَذَا قِيَاسٌ مِنهُم لرَبِّنَا تبَارَكَ وتَعَالَى على خَلقِه، وتشبيهٌ لَهُ بعبادِهِ، وحكمٌ عَلَيهِ بِأَنَّهُ لَا تكونُ صفتُهُ إِلَّا كصفاتِ مَخلوقاتِه، وهَذَا ضلالٌ بعيدٌ.

ثمَّ إِنَّه يلزمهُم مثلُ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ على مَا أسلفناهُ، على أَنَّ معتمدَنا فِي صِفَاتِ اللهِ عزَّوجلَّ إِنَّمَا هُو الِاتِّبَاعُ، نَصِفُ اللهَ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ ووصفَه بِهِ رَسُولُه ولَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ ولَا نتجاوَزُهُ ولَا نتأوَّلُه ولَا نفسِّرُه، ونعلَمُ أَنَّ مَا قَالَ اللهُ ورَسُولهُ حقٌّ وصدقٌ، ولَا نشكُّ فِيهِ ولَا نرتابُ، ونعلَمُ أَنَّ لِمَا قَالَ اللهُ ورَسُولُه معنًى هُو بِهِ عَالمٌ؛ فنؤمنُ بِهِ بِالمَعنَى الَّذِي أرادَه، ونَكِلُ علمَه إِلَيهِ،[٢] ونقولُ كَمَا قَالَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ وأئمتُنَا

---

(١) الجِرْمُ: هو المادَّة، والجُرمُ: هو الفعل الخبيث.

(٢) هذا كلام غير سليم، فظاهره أن قائله لا يفهم المعني وإنما يكله إلى الله، والصواب أن أهل السنّة يثبتون المعنى ويفهمونه كما يفهمون سائر الكلام العربي. والعجب من الشيخ كيف أنه اشتدَّ بالحقِّ في مسألة الحرف والصوت، وكان فيها صلبًا يصول ويجول على الجهميَّة الأشاعرة، ثم هنا يتوقَّف فيما

=

المُقتَدى بهم: «آمنا بِاللّه ومَا جَاءَ عَنِ اللهِ على مُرَادِ اللهِ، وآمنا بِرَسُولِ اللهِ ومَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ على مُرَادِ رَسُولِ اللهِ»[١] نقُول مَا قَالَ اللهُ ورَسُولُه ونسكُتُ عَمَّا ورَاء ذَلِكَ، نتَّبِعُ ولَا نبتَدِعُ، بذلك أوصانا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابه، وأوصانا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وأوصانا بِهِ سلفُنَا رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

فَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر:٥٥].

وقَالَ لرَسُوله عَلَيهِ السَّلَام: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

لا فرق بين إثباته على حقيقته وإثبات الكلام على حقيقته. وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في الكتابين السابقين، وسيأتي لاحقًا فلن أحشر الأقوال هنا.

[١] لم أجد أحدًا قاله من الأئمة، إلا أنه نُسِبَ للشافعي رحمه الله، ولم أجد مَن نسبه للشافعي قبل يحي بن إبراهيم السلماسي في «منازل الأئمة الأربعة» (ص١٤٦) وهو متوفى عام (٥٥٠هـ) ولم أجد له إسناد إلي الشافعي رحمه الله ولا نسبه إليه المتقدمون، ولا من نقل عقيدته كالهروي، ولا من ترجم له كابن أبي حاتم والبيهقي.

وقَالَ النَّبِي ﷺ: «عَلَيكُم بِسنتي وسنة الخُلَفَاء الرَّاشِدين المَهديين من بعدِي، عضوا عَلَيهَا بالنواجذ وإيَّاكُم ومحدثات الأُمُور فَإن كل محدثة بِدعَة وكل بِدعَة ضَلَالَة».[١]

وقَالَ عبد الله بن مَسعُود: «اتبعُوا ولَا تبتدعوا فقد كُفيتم».[٢]

وقَالَ عمر بن عبد العَزِيز-رَضِي الله عَنهُ- كلَاما مَعنَاهُ: «قِفْ حَيثُ وَقَفَ القَومُ فَإِنَّهم عَنْ عِلمٍ وَقَفُوا وبِبَصَرٍ نافذٍ كَفُّوا، ولَهُم كَانُوا على كشفها أقوى، وبالفضلِ لَو كَانَ فِيهَا أحرَى وإنَّهُم لَهُمُ السَّابِقُونَ، فلئن كَانَ الهدى مَا أنتُم عَلَيهِ؛ لقد سبقتموهم إلَيهِ، ولَئِن قُلتُم: «حَدَثَ حدثٌ بعدَهم» فَمَا أحدثَه إلّا من اتَّبَعَ غيرَ سبيلِهم ورغِب بِنَفسِهِ عَنهُم، ولَقَد وصَفوا مِنهُ مَا يَكفِي، وتَكَلَّمُوا مِنهُ بِمَا يَشفي، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، وَلَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ دُونَهُمْ أنَاسٌ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ آخَرُونَ عَنْهُمْ فَغَلَوْا،

---

[١] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) ورواه الترمذي بنحوه (٢٦٧٦) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ورواه الحاكم (٣٢٩) وقال «هَذَا حَديثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ» وكذلك قال الذهبي.

[٢] رواه الدارمي في سننه (٢١١) واسناده قابل للتحسين.

وإِنَّهُم مِن ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ»[١]

وقَالَ الأوزَاعِيّ رحمه الله: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ».[٢]

ولم يزلِ السّلفُ الصَّالحُ منَ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللهُ عَنهُم- والأئِمَّةُ بعدَهم يُعظمونَ هَذَا القُرآنَ ويعتقدونَ أنه كَلَامُ اللهِ ويتقربونَ إلَى اللهِ بقرَاءَتِهِ ويَقُولُونَ: «إنَّه غير مَخلُوق، ومن قَالَ إنَّه مَخلُوق فَهُو كَافِرٌ»(٣) ولما وقعتِ الفِتنَةُ وظَهَرتِ المُعتَزلَةُ ودَعَوا إلَى القَولِ بِخلقِ القُرآنِ؛ ثَبَّتَ أهلُ الحقِّ الخَلقَ حَتَّى قُتِلَ بَعضُهُم، وحُبِسَ بَعضُهم، وضُرِبَ بَعضُهم، فَمِنهُم مَن ضَعُفَ فَأجَابَ تقيَّةً(٤) وخوفًا على نَفسه، ومِنهُم مَن قَوِيَ إيمَانُه وبذَلَ نَفسَه

---

[١] رواه أبو داود (٤٦١٢) بنحوه. وقال الألباني: «صحيح».

[٢] رواه الآجري في الشريعة (١٢٧).

(٣) وردت عن السلف ألفاظ كثيرة بهذا المعنى، نقلها حرب الكرماني، وعبد الله بن أحمد، واللالكائي وغيرهم.

(٤) التقيّة هي إظهار خلاف الحقّ عند الضرورة، ليتّقي بذلك ما قد يصيبه مِن قتلٍ أو ما شابه.

وقوله «فَأجَابَ» يعني وافقهم، أي ذلك الذي سُجِنَ وعُذِّبَ وافقهم بالقول لينجوا مِن شرِّهم.

=

للّٰهِ واحتسَبَ مَا يُصِيبهُ فِي جنبِ اللّٰهِ، ولم يزِلَّ عن السُّنةِ إلَى أن كَشَفَ اللّٰهُ تَعَالَى تِلكَ الفِتنَةَ وأزال تِلكَ المِحنةَ وقمع أهلَ البِدعَةِ.

واتفقَ أهلُ السّنة على أنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللّٰهِ غيرُ مَخلُوقٍ، ولَم يكُنِ القُرآنُ الذي دعَوا إلَى القَول بِخَلقِهِ سِوى هَذِهِ السُّوَرِ الَّتِي سَمَّاهَا اللّٰهُ قُرآنًا عَرَبيًّا، وأنزلها على رَسُولهِ عَلَيهِ السَّلَامُ ولَم يَقَعِ الخلافُ فِي غَيرِهَا البَتَّةَ، وعند الأشعَرِيّ أنَّهَا مخلوقَةٌ، فَقَولُه قَولُ المُعتَزلَةِ لَا مَحَالَةَ، إلَّا أنه يُرِيدُ التلبيسَ فَيَقُولُ فِي الظَّاهِرِ قولًا يُوافِقُ أهلَ الحَقِّ ثُمَّ يُفسرُه بقولِ المُعتَزِلَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أنه يَقُولُ: «القُرآنُ مقروءٌ متلوٌ مَحفُوظٌ مَكتُوبٌ مسموعٌ» ثمَّ يَقُولُ: «القُرآنُ فِي نفسِ البَارِي قَائِمٌ بِهِ، لَيسَ هُو سورًا ولَا آياتٍ، ولَا

والتقيَّة أصلها في الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ومِن أعجَب كلام السَّلَفِ إليَّ فيها: ما رواه ابن أبي شيبة (٣٣٠٤٩) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «إِنِّي أَشْتَرِي دِينِي بَعْضَهُ بِبَعْضٍ مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ» وجاء عن أبي جعفر مُحَمَّد بْن علي: «التَقِيّةُ لَا تَحِلُّ إلّا كَمَا تَحِلُّ الْمَيْتَةُ لِلْمُضْطَرّ» فليست التقيَّة كما يفعلها الرافضة والأشعرية في إخفاء عقائدهم، وإنها لا تبيح أن يفعل صاحبها القتل وشرب الخمر. كذلك فإنَّها لا تبيح مداهنة الكفار لتحصيل المصالح الدنيويَّة، ولا تبيح دعوة الناس إلى باطل، ولهذا، عندما علم أحمدُ ابن حنبل أن الناس يتابعونه؛ لم يأخذ بالتقيَّة، لأنَّه لو أجاب لتابعوه على ذلك القول.

حروفًا ولَا كَلِمَاتٍ» فَكيف يتَصَورُإذًا قِرَاءَتَه وسماعَه وكتابتَه.

ويَقُولُونَ: «إن مُوسَى سمع كَلَامَ اللهِ مِنَ اللهِ» ثمَّ يَقُولُونَ: «لَيسَ بِصَوتٍ».

ويَقُولُونَ: «إن القُرآن مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ» ثمَّ يَقُولُونَ: «لَيسَ فِيهَا إلَّا الحبرُ والورقُ» فَإنْ كَانَتْ كَمَا زَعَمُوا؛ فَلِمَ لَا يَمَسَّهَا الا المُطهَّرُونَ، ومَا رَأينَا المُحدثَ يُمنَعُ من مسِّ حِبرٍولَا وَرَقٍ.

ولِمَ تجبُ الكَفَّارَةُ على الحَالِفِ بالمُصحَفِ إذا حَنثَ؟

ومَن قَالَ إنَّه لَيسَ فِي المُصحفِ إلَّا الحِبرُ والورقُ لَزِمَهُ التَّسوِيَةُ بَين المُصحفِ وبَين دِيوانِ ابن الحَجَّاجِ[1] لِأَنَّهُ إذا لمْ يكُنْ بَينَ كلِّ واحِدٍ مِنهُمَا غيرَ الحِبرِ والوَرَقِ؛ فقد تَسَاويا، فَيجبُ تساويهِمَا فِي الحُكمِ، هَذَا مَعَ ردِّهِمْ على اللهِ تَعالَى وعَلى رَسُولِهِ وخرقِهِم لإجمَاعِ الأمةِ فَإنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩

(١) هو الحسين بن أحمد ت٣٩١هـ شيعي، وله ديوان شعري سيِّء فاحش.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠] فأقسم اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهُ قُرآنٌ كريمٌ فِي كتابٍ مَكنُونٍ فَرَدُّوا عَلَيهِ وقالُوا: «مَا فِي الكتابِ إلَّا الحبرُ والورقُ» وقَالَ الله تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١﴾ [البروج: ٢١-٢٢] وقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣﴾ [الطّور: ١-٣] وقَالَ ﷺ: «لَا تسافروا بِالقُرآنِ إلَى أرض العَدو مَخَافَةَ أن تناله أيديهم»[١] يُرِيد المَصَاحِفَ الَّتِي فِيهَا القُرآنُ.

واتفقَ المُسلمُونَ كلُّهم على تَعظِيمِ المُصحَفِ وتبجيلِهِ وتَحرِيم مَسّهِ على المُحدِثِ، وأنَّ مَنْ حلفَ بِهِ فَحنثَ فَعَلَيهِ الكَفَّارَةُ، ولَا تجبُ الكَفَّارَةُ بِالحلفِ بمَخلوقٍ، وذكَرَ بعضُ المبتدعَةِ أنَّهُ إنَّمَا وجَبتِ الكَفَّارَةُ على الحَالِفِ لاعتقادِ العَامَّةِ أنَّ فِيهِ كَلَامَ اللهِ، وهَذِهِ غَفلَةٌ مِنهُ، فَإنَّ هَذَا الحكمَ منْ لدُنِ النَّبِيِّ ﷺ لم يَتَجَدَّدِ الآنَ.

فَإنْ أقرَّ أنَّ عَامَّةَ أهلِ عصرِ النَّبِيِّ ﷺ وصحابتَه كَانُوا يَعتَقِدُونَ أن فِيهِ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى وأقرَّهم عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وصوَّبهم فِيهِ؛ فَهُو الحقُّ الَّذِي لَا شكَّ فِيهِ ولَا يحِلُّ خِلَافُه.

---

[١] رواه مسلم (١٨٦٩).

وإن قَالَ إنَّهُم كَانُوا يَعتَقِدُونَ ذَلِكَ ولَم يعلَمْ بهم النَّبِيُّ ﷺ، فَكيفَ علِمَ هُو؟!

وكَيفَ علِمَ هُو مِن أحوالِ أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومِنَ اعتقاداتِهم مَا يخفى على رَسُولِ اللهِ-صلى الله عليه- وهُو بَين أظهُرِهِم وعنهُ يَأخُذُونَ وإلَيهِ يرجِعُونَ وبِه يقتدونَ وعنهُ يصدرون؟!

ثمَّ هَل كَانُوا مُصيبينَ فِي اعتِقَادِهِم أو مُخطِئِينَ؟ فَإن كَانُوا مُخطِئِينَ؛ فقدِ اعتقدَ أنَّ أصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا ضُلَّالًا ومَن بعدَهم، وأنه هُو أصَابَ بمخالفتِهم.

وكَيفَ يجوزُ أن يكونَ أصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ اتَّفقُوا على اعتِقَادِ الخَطَأِ والضَّلالِ والبَاطِلِ وأخطأوا الحقَّ وتبِعَهمْ مَن بعدَهم على ذَلِكَ إلَى أنْ جَاءَ هَذَا الجَاهِلُ بِزَعمِهِ فَعَرَفَ الصَّوابَ وعرف خطأ مَن كَانَ قبلَهُ؟!

ثمَّ هَذَا إقرَارٌ بِأنَّ مقَالَتَهُ بِدعَةٌ حَادِثَةٌ خَالفَ بهَا أصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ والتَّابِعِينَ بعدَهم. وهُو الَّذِي يَقُولُه عَنهُم ويدَّعيه[١] فيهم.

---

[١] في المخطوط «بقوله عنهم وبدعته» وليست تفهم في هذا السياق والله أعلم.

=

وإن زعم أنَّ أهلَ عصرِ النَّبِيِّ ﷺ لم يَكُونُوا يَعتَقِدُونَ هَذَا وإنَّمَا حدثَ بعدَهُم؛ فَلِمَ يثبُتُ هَذَا الحُكمُ فِي عصرِهم؟ ولِمَ وجَبت الكَفَّارَةُ على الحَالِفِ بالورَقِ والحِبر، ولَا خلافَ بَين المُسلمينَ أنَّه لَا تَجِبُ كَفَّارَةٌ بِالحلفِ بوَرَقٍ ولَا حِبرٍ ولَا مَخلُوقٍ؟

ثمَّ مَتى حَدَثَ هَذَا الِاعتِقَادُ وفِي أيِّ عصرٍ؟ ومَا عَلِمنَا الحَادِثَ إلَّا قَولَهُم الخَبيثَ المُخَالفَ للأمَّةِ وللكتابِ والسُّنةِ.

ثمَّ كَيفَ يحلُّ أنْ يُوهموا العَامَّةَ مَا يَقوى بِهِ اعتِقَادُهم الَّذِي يَزعمُونَ أنَّه بِدعَةٌ، من تعظيمِهمْ للمصاحفِ فِي الظَّاهِرِ واحترامِهَا عِند النَّاسِ، ورُبمَا قَامُوا عِندَ مجيئِها وقبَّلوها ووضعوها على رؤوسِهِم ليُوهموا النَّاسَ أنَّهُم يَعتَقِدُونَ فِيهَا القُرآنَ، ورُبمَا أمَروا من تَوجَّبَتْ عَلَيهِ يَمِينٌ فِي الحُكمِ بِالحلفِ بالمُصحَفِ إيهامًا لَهُ أن الَّذِي يحلِفُ بِهِ هُو القُرآنُ العَظِيمُ والكتابُ الكَرِيمُ، وهَذَا عِندهم اعتِقَادٌ بَاطِلٌ، فَكيفَ يحلُّ لَهُم أن يتظاهروا بِهِ، ويُضمِرونَ خِلَافَه، وهَذَا هُو النِّفَاقُ فِي عهد رَسُول الله ﷺ، وهُو الزندقةُ اليَومَ، وهُوأنْ يُظهِرَ مُوافقَةَ المُسلمينَ فِي اعتِقَادِهِم ويُضمرَ

ولعل قصده بـ«هو» أي القول بأنَّهم ضلُّوا.

خلافَ ذَلِكَ، وهَذَا حَالُ هَؤُلَاءِ القَومِ لَا محَالة، فهم زَنَادِقَةٌ بِغَيرِ شكٍّ، فَإِنَّهُ لَا شكَّ فِي أَنَّهُم يُظهرون تَعظِيمَ المَصَاحِفِ إيهامًا أَنَّ فِيهَا القُرآنَ، ويعتقدونَ فِي البَاطِنِ أَنَّهُ لَيسَ فِيهَا إلَّا الورقُ والمِدادُ،[١] ويظهرونَ تَعظِيمَ القُرآنِ، ويجتمعونَ لقرَاءَتِه فِي المحافلِ والأعزِيَةِ، ويعتقدون أَنَّهُ مِن تأليفِ جِبرِيلَ وعبارَتِه، ويُظهِرونَ أن مُوسَى سمِعَ كَلَامَ اللهِ مِن اللهِ، ثمَّ يَقُولُونَ لَيسَ بِصَوتٍ، ويَقُولُونَ فِي أذانِهم وصلواتِهم: «أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» ويعتقدون أنه انقَطَعَتْ رسَالَتُهُ ونُبُوَّتُه بِمَوتِهِ، وأنه لم يبقَ رَسُولَ اللهِ، وإِنَّمَا كَانَ رَسُولَ اللهِ فِي حَيَاتِه،[٢] وحَقِيقَةُ مَذهَبِهم أنه لَيسَ فِي السَّمَاء إلَه، ولَا فِي الأَرض قُرآن، ولَا أن مُحَمَّدًا رَسُول الله، ولَيسَ فِي أهل البدع كلِّهم من

---

(١) المِداد: هو الحِبر.

(٢) المقصود أنهم يرون محمدًا ﷺ كان رسولًا لله تعالى في حياته، وأما بعد مماته فليسَ رسولًا، وهذا نسبه ابن حزمٍ للأشاعرة، فقال: «حَدِيث فرقة مبتدعة تزْعم أَن مُحَمَّدا بنَ عبد الله بن عبد الْمطلب ﷺ لَيْسَ هُوَ الْآن رَسُول الله ﷺ، وَهَذَا قَول ذهب إِلَيْهِ الأشعرية، وَأَخْبرنِي سُلَيْمَان بن خلف الْبَاجِيّ -وَهُوَ من مقدميهم الْيَوْم- أَن مُحَمَّد بن الْحسن بن فورك الْأَصْبَهَانِيّ على هَذِه المسألة قَتله بالسم مَحْمُود بن سبكتكين» [الفِصَل ج١ص٧٥] وهنا ابن قدامة ينسبه لهم، ولكنني لم أجد في كتب القومِ هذا الكلام، والله أعلم، ونقل عن ابن الصَّلاح: «قال ابن الصّلاح: ليس كما زعم بل هو تشنيع عليهم» [أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ص٦٨]

يتظاهرُ بِخِلَافِ مَا يَعتَقِدهُ غَيرُهم وغيرُ من أشبهَهُم من الزَّنَادِقَةِ.

[مؤسس الطائفة الأشعريَّة]

ومن العجب أن إمَامَهم[1] الَّذِي أنشأ هَذِه البِدعَةَ رجلٌ لم يُعرَفْ بدينٍ ولَا وَرَعٍ ولَا شَيءٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ البَتَّةَ، ولَا يُنسبُ إلَيهِ مِن العِلمِ إلَّا علمَ الكَلَامِ المَذمومِ، وهُم يعترفونَ بِأنَّهُ أقَامَ على الاعتزالِ أربَعِينَ عَامًا ثمَّ أظهَرَ الرُّجُوعَ عَنهُ، فَلم يظهرمِنهُ بعدَ التَّوبَةِ سوى هَذِه البِدعَةَ، **فَكيفَ تَصورَ فِي عُقُولِهم أنَّ اللهَ لَا يوفِّقُ لمعرِفَة الحقِّ إلَّا عدوَّه، ولَا يَجعَلُ الهدى إلَّا مَعَ مَن لَيسَ لَهُ فِي عِلمِ الاسلامِ نصيبٌ ولَا فِي الدّينِ حَظٌّ.**

---

(١) يعني: أبو الحسن الأشعري ت٣٢٤هـوعاش معتزليًّا أربعين سنةً من عمره ثم خالَفَ شيخه فانقلب على المعتزلة، فحتَّى انقلابه عليهم لم يكُن عن دِراسة، بل لكون بدعة «وجوب فعل الأصلح على الله تعالى» لم توافق عقله. ولكنَّه بعد انقلابه عليهم بدأ حاله يعتدل شيئًا فشيئًا حتى مات بعد أربع وعشرين سنة من تلك الحادثة وحاله قريبة من حال أهل السنَّة، لكنَّ أتباعه يتبعونه على بدعه ولا يتبعونه على ما استقر عليه حاله أخيرًا وعلى مقالاته التي في آخر كتاب ألفه وهو «الإبانة».

[خطر هذه البدعة]

ثمَّ إن هَذِه البِدعَةَ مَعَ ظُهُورِ فَسَادِهَا وزِيَادَةِ قبحِها قد انتشرتْ انتشارًا كثيرًا وظَهَرت ظهورًا عَظِيمًا، وأظنها آخرَ البدعِ وأخبَثَها، وعَلَيهَا تقومُ السَّاعَةُ وأنَّهَا لَا تزدادُ إلَّا كَثْرَةً وانتشارًا، فَإن نَبينَا ﷺ أخبَرَنَا أنَّ فِي آخرِ الزَّمَان تكثُرُ البدعُ وتَمُوتُ السّنَنُ ويَغرُبُ الدّينُ،[١] وأن الدُّنيَا لَا تزدادُ إلَّا إدبارًا وأنَّهُ يصيرُ المَعرُوفُ مُنكرًا والمُنكَرُ مَعرُوفًا،[٢] وأنه يقِلُّ أهلُ الحقِّ،إلَّا أنهم مَعَ قلتهِم لَا يضرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّى يَأتِي أمرُ اللهِ،[٣] وأنه يعظُمُ ثوابُهم، ويكثُرُ أجرُهُم.[٤] وشبه النَّبِيُّ ﷺ الدّينَ فِي آخرِهِ

---

(١) روى مسلم (١٤٥) عن رسول الله ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

(٢) جاء عن رسول الله ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟» رواه نعيم في الفتن (١١١) والطبراني في الأوسط (٩٣٢٥) وروى ابن وضاح في البدع (٢٣٥) عن ابن مسعود: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ السُّنَّةُ فِيهِ بِدْعَةً، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا؛ وَذَلِكَ إِذَا اتَّبَعُوا وَاقْتَدَوْا بِالْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فِي دُنْيَاهُمْ» وأسانيدها غير صحيحة، إلا أن المعنى يوافق أحاديثَ أخرى صحيحةً.

(٣) قال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

(٤) قال ﷺ: «فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ» رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وقال الحاكم (٧٩١٢):

=

بِأولِ ابتِدَائِه فِي غُربتهِ وقلةِ أهلِه، فَقَالَ -عَلَيهِ السَّلَام-: «بَدَأَ الدّين غَرِيبا وسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ» ثمَّ جمع بَينهم فِي أن لَهُم طُوبَى، فَقَالَ: «فطوبى للغرباءِ»[١] ثمَّ فضَّل المُتَأَخّرين فِي بعضِ الأخبَارِ فَقَالَ فِي حَدِيثٍ: «يَأتِي على النَّاس زمَان يكون للقائمين بِالكتاب والسّنة مثل أجرِ خمسين شَهِيدا» قَالُوا: «يَا رَسُول الله منا أَو مِنهُم» قَالَ «مِنكُم».[٢]

وهَذَا فضلٌ عَظِيمٌ، وذَلِكَ والله أعلم لعظم نفعهم وصعوبة الأمر عَلَيهِم وكَثرَة أعدائهم وتألبِّهم عَلَيهِم وقلة أنصارهم.

وقد جَاءَ فِي خبرٍ: «يَأتِي على النَّاس زمَان يكون المتمسكُ بِدِينِهِ كالقابضِ على الجَمر»[٣] فَهَذِهِ الصعوبة هِيَ المُوجبَة لذَلِك الأجر. ثبتنا الله على الإسلَامِ والسّنةِ، وأحيَانا عَلَيهِما، وأماتنا عَلَيهِما، وحشرنا عَلَيهِمَا.

«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وقال الذهبي: «صحيح».

[١] رواه مسلم (١٤٥).

[٢] رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤) وفيه رجل لم أعرفه، وحديث «أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ» الذي خرَّجته سابقًا أثبت منه، وأسلم من حيث المعنى.

[٣] رواه الترمذي (٢٢٦٠) وقال الألباني: «صحيح».

[كثرة أهل البدع]

ومن العجبِ أن أهلَ البدعِ يستدلونَ على كَونِهم أهلَ الحقِّ بكَثرتِهم وكَثرَة أموالِهم وجاهِهِم، وظُهورِهم، ويستدِلُّونَ على بُطلَان السُّنةِ بقِلَّةِ أهلِهَا وغربتِهم وضعفِهم، فيَجعَلونَ مَا جعلهُ النَّبيُّ ﷺ دَلِيلَ الحقِّ وعلامةَ السُّنةِ؛ دَلِيلَ البَاطِلِ، فَإن النَّبيَّ ﷺ أخبرنَا بِقِلَّةِ أهلِ الحقِّ فِي آخرِ الزَّمَانِ وغربتِهم، وظُهُورِ أهلِ البِدَعِ وكثرتِهم، ولَكنهُم سلكوا سَبِيلَ الأُمَمِ فِي استدلالِهِم على أنبِيَائهِم وأصحَابِ أنبِيَائهم[1] بِكَثرَةِ أموالِهِم وأولَادِهم، وضعفِ أهل الحق. فَقَالَ قوم نوح لَهُ: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

وقَالَ قوم صَالح فِيمَا أخبر الله عَنهُم بقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

---

(١) يعني يستدلون على أنبيائهم بأنهم خير من هؤلاء الأنبياء، بأنَّ لهم مالا وجاها وأتباعا -وخسئوا-

وقالَ قوم نَبينَا ﷺ: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ: ٣٥].

وقالَ الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقالَ الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١] ونسوا قَول الله تَعَالَى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ [الرعد: ٢٦].

وقَوله سُبحَانَهُ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف: ٢٨].

وقَوله سُبحَانَهُ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢﴾ [الكهف: ٣٢] الآيَات كلهَا.

وقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣].

إلى قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٥].

وقد كَانَ قَيصرُ ملكُ الرّوم وهُو كَافِرٌ أهدى مِنهُم، فَإِنَّهُ حِين بلغه كتابُ النَّبِي ﷺ؛ سَأَلَ عَنهُ أبا سُفيَان، فَقَالَ: «يتبعهُ ضعفاء النَّاسِ أو أقوياؤهم» فَقَالَ: «بل ضُعَفَاؤُهُم» فَكَانَ هَذَا مِمَّا استدلَّ بِهِ على أنه رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «إنَّهُم أتبَاع الرُّسُل فِي كل عصر وزمان».[١]

وفِي الآثَارِأَنَّ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ لمَّا كلمهُ ربه تَعَالَى قَالَ لَهُ: {يَا مُوسَى لَا يغرنكما زِينَةُ فِرعَونَ ولَا مَا مُتِّعَ بِهِ، فإنني لَو شِئتُ أن أُزيِّنَكما

---

[١] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

بزينةٍ يَعلمُ فِرعَونَ أن مقدِرَتَه تعجَزُ عَن أقل مَا أوتيتما؛ لفَعَلت، ولكنني أضنُّ بكُما عَن ذَلِكَ، وأزوِيَه عنكُما، وكَذَلِكَ أفعلُ بأوليائي، وقديمًا مَا خِرتُ لَهُم إنِّي لأذودُهم عَن الدُّنيَا كَمَا يذودُ الرَّاعِي الشفيقُ إبِلَهُ عَن مَبَارِكِ الغُرَّةِ، وإنِّي لأُجَنِّبَهُم سَلوَتَهَا ونَعِيمَهَا كَمَا يُجَنِّبُ الرَّاعِي الشفيقُ غنمَه عَن مَرَاتِعِ الهَلَكَةِ، ومَا ذَلِك لهوانِهِم عَليَّ، ولَكِن ليستَكمِلوا نصِيبَهم مِنَ الآخِرَةِ سالِمًا مُوفرا، لم تكَلِمهُ الدُّنيَا، ولم يُطغِه الهوى}.[١]

وقد رُوِيَ عَن عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنهُ- أنه دخل على النَّبِي ﷺ بمشربة لَهُ، فَرفع رَأسه فِي البَيت فَلم ير فِيهِ إِلَّا أَهَبَةً ثَلَاثَةً، والنَّبِيّ ﷺ متكئٌ على رمِالِ حَصِيرٍ، ومَا بَينَه وبَينَه شَيءٌ، قد أثَّرَ فِي جَنبِه، فَقلتُ: «يَا رَسُول الله، أنتَ على هَذِهِ الحَالَ، وفَارِسُ والرومُ وُهم لَا يعبدُونَ اللهَ لَهُمُ الدُّنيَا» فَجَلَسَ النَّبِي ﷺ مُحمَرًّا وجهُه، ثمَّ قَالَ: «أفي شكٍّ أنتَ يَا ابنَ الخطابِ؟! أما ترضى أن تكونَ لَهُم الدُّنيَا ولنَا الآخِرَةُ؟»[٢] هَذَا معنى الخَبَر.

---

[١] رواه أحمد في الزهد (٣٤٢) عن وهب بن منبه، وكان ممن يروي الأخبار عن كتب أهل الكتاب.

[٢] رواه البخاري (٢٤٦٨) بألفاظ قريبة.

ثبتنا الله وإيَّاكُم على الإسلَام والسّنة، وجنبنا الكفرَ والبدعةَ، وحببَ إلَينَا الإيمَانَ وزينَه فِي قُلُوبنَا، وكرَّهَ إلَينَا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، وجَعَلنَا من الرَّاشِدينَ.

وقد أنشد أبو الحسن عَليُّ بنُ أبي بكرٍ الطرازي فيهم:

دَعُونِي مِنْ حَدِيثِ بَنِي اللّتيّا وَمِنْ قَوْمٍ بِضَاعَتُهُمْ كَلَامُ

تَفَارِيقُ الْعَصَا مِنْ كلِّ أَوْبٍ[١] إِذَا ذُكِرُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامُ

إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْجَبّارِ مَالُوا إِلَى التّعْطِيلِ وَافْتُضِحَ اللّئَامُ

وَإِنْ سُئِلُوا عَنِ الْقُرْآنِ قَالُوا: يَقُولُ بِخَلْقِهِ بَشَرٌ كِرَامُ

كَلَامُ اللهِ لَيْسَ لَهُ حُرُوفٌ وَلَا فِي قَوْلِهِ أَلِفٌ وَلَامُ

وَلَوْ قِيلَ: النُّبُوَّةُ كَيْفَ صَارَتْ؟ لَقَالُوا: تِلْكَ طَارَ بِهَا الْحَمَامُ

إِذَا قُبِضَ النّبِيُّ فَكَيْفَ تَبْقَى نُبُوّتُهُ، فديتك والسّلَامُ

فَهَذَا دِينُهُمْ فَاعَلَمْ يَقِينًا وَلَيْسَ عَلَى مُهَجَّنِهِمْ مَلَامُ

لَهُمْ زُجَلٌ[٢] وَتَوْحِيدٌ جَدِيدٌ أَبَى الْإِسْلَامُ ذَلِكَ وَالْأَنَامُ

---

(١) تفاريق العصا: قطع العصا عندما تكسر قطعا صغيرة. من كل أوب: من كل مكان.

(٢) زُجَل: طائفة.

وَزَمْزَمَةٌ وَهَيْنَمَةٌ وَطَيْشٌ ... كَأَنَّهُمْ دَجَاجٌ أَوْ حَمَامُ

وَإِزْرَاءٌ بِأَهْلِ الْحَقِّ ظُلْمًا ... وَتَلْقِيبٌ وَتَشْنِيعٌ مُدَامُ

وَقَوْلُ الْمُلْحِدِينِ وَإِنْ تَعَاوَوْا ... عُوَاءَ البَيْـنِ[1] لَيْسَ لَهُ نِظَامُ

فَصَبْرًا يَا بَنِي الْأَحْرَارِ صَبْرًا ... فَإِنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ

وَإِنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ لَا يُضَامُ ... وقَولُ الزُّور آخِرُهُ غَرامُ

آخِرُه

والحَمد لله رب العَالمين

وصلى الله على سيدنَا مُحَمَّد

وآله وسلم تَسلِيمًا

---

(١) البين: لعل المقصود به الموت.

بعض شبهاتهم والرد عليها

اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان.

قال رسول الله ﷺ: «اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا».[١]

أولًا: لا يمتنع أن يُنسب فعل لصفة مِن صفات الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»[٢] وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».[٣]

---

[١] رواه مسلم (٨٠٤).

[٢] رواه مسلم (٤٨٦).

[٣] رواه البخاري (٧٤٢٢).

فإذا كان رضاه يُستعاذُ بِه، ورَحمتُه تسبق غضبه، فلا يمتنع أن بعض كلامه يحاجُّ عن عِبادِه.

وأما المجيء، فالجهميَّة يحرفون حديث النزول إلى أن رحمة الله تنزل، فلا يستقيم أن يمتنع عندهم أن يجيء كلامه.

وأما كونهما كأنهما غمامتان، فوجه التشبيه هنا كونها وقاية وليس الهيئة.

فهذا نقض كلامهم.

ولشيوخنا الذين لا نخالفهم كلامٌ آخر، لكن بدأت بذلك لأفسد عليهم ما يزعمون أنه عقل.

وأما كلام شيوخنا:

فقال القاسم بن سلَّام: «وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: "تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ" أَنّ ثَوَابَهُمَا يَأْتِي قَارِئَهُمَا، حَتّى يُظِلّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَأْتِي ثَوَابُهُ الرّجُلَ فِي قَبْرِهِ، وَيَأْتِي الرّجُلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتّى يُجَادِلَ عَنْهُ».

قال أبو عيسى الترمذي: وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَتِهِ، كَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ.

قال: وَفِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا فَسَّرُوا إِذْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَأْتِي القُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا» فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ العَمَلِ.[١]

وهذا القول ما أخذه علماؤنا إلا من كتاب الله تعالى، قال ابن بطة: «إِنَّمَا عَنَى فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ = فِي قَوْلِهِ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ» وَ«تَجِيءُ الْبَقَرَةُ» وَ«تَجِيءُ الصَّلَاةُ» وَ«يَجِيءُ الصِّيَامُ» = يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨] فَظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَيْسَ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَإِنَّمَا ثَوَابَهُمَا وَالْجَزَاءَ عَلَيْهِمَا مِنَ

---

[١] سنن الترمذي (٢٨٨٣).

الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ٣٠﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

وَلَيْسَ يَعْنِي أَنَّهَا تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي عَمِلَتْهَا بِهَيْئَتِهَا وَكَمَا عَمِلَتْهَا مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا تَجِدُ الْجَزَاءَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ... أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ٨﴾ [سورة الزلزلة: ٨] أَفَتَرَى يَرَى السَّرِقَةَ وَالزِّنَا وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَسَائِرَ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي إِنَّمَا يَرَى الْعِقَابَ وَالْعَذَابَ عَلَيْهِمَا. انتهى كلامه.[١]

قلت: جادَّة مسلوكة معروفة في ما جاء الآخرة في مجيء الأعمال في هيئات مرئية، كما في الحديث الطويل الذي رواه أحمد [٢] وغيره في القبر وفيه: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ

---

[١]الإبانة الكبرى لابن بطة (ص٦ ج٢٠٣).

[٢] (١٨٨٣٢).

يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ» والكافر قال عنه: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ».

فزهق بهذا باطلهم والحمد لله.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾.

قالت الجهمية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١] قالوا: عيسى ﷺ كلمة الله، وعيسى ﷺ مخلوق، وكذلك القرآن مخلوق.

قلنا: جواب هذه الشبهة في القرآن، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] فعيسى ﷺ خلقه كخلق آدم ﷺ مِن تراب، وأما كلمة الله تعالى التي ألقاها هي قوله ﴿كُن﴾ وعيسى ﷺ ليس هو

كن، فهو بَشَرٌ وليس كلامًا، وهذا واقع لا يجادل فيه عاقل، فكان معنى قوله تعالى ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ هو ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾.

فزهق بهذا باطلهم والحمد لله.

كون القرآن في لوح محفوظ

وهذه شبهة لم أكن لأذكرها، فهي أقل مِن أن تُذكَرَ في كِتاب، أو ينظر فيها حتَّى، لولا أني وجدت عددًا مِن جهميَّةِ عصرنا يرددها.

فقالوا: إن الله تعالى قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة البروج: ٢١-٢٢] قالوا: واللوح المحفوظ مخلوق، وما كان في مخلوق فهو مخلوق.

قلنا: أليس الله عَلِمَ القرآن؟

فإن قالوا «لا»؛ كفروا.

وإن قالوا: «نعم»؛ قلنا: فهل علمُ الله مخلوق لأنَّ بعضه كُتب على

شيء مخلوق؟

فإن قالوا «نعم»؛ كفروا، لأنَّهم نسبوا الله إلى الجهل، وأنَّه كان جاهلًا ثمَّ خلق لنفسه علمًا.

وإن قالوا «لا»؛ قلنا: فكذلك القرآن، كونه كُتِبَ على مخلوقٍ فإنَّ هذا لا يعني أنه مخلوق.

فزهق بهذا باطلهم والحمد لله.

اللغة العربية مخلوقة

قالت الجهميَّة: اللغة العربية مخلوقة فكيف يتكلَّم الله بها؟

بيان:

أصل هذه الشبهة عندهم أنَّ الحروف مخلوقات ماديَّة، وجعلوا يروون في ذلك كلاما لا زمام له ولا خِطام، كما جاء الباقلاني الأشعري بكلام لا إسناد له، ولا يروج متنه إلا على من كان مثل الأشاعرة، فقال الباقلّاني: «ويدل عليه أيضاً ما حدث به أبو بكر النقاش في تفسيره عن

آدم بن أبي إياس قال: رأيتُ في يد بكر بن خنيس كتاباً فزدتُ فيه حرفاً أو نقصت منه حرفاً: فقال لي بكر بن خنيس: يا آدم من أمرك أن تفعل هذا؟ أما علمت أن الله تعالى لما خلق الألف انتصبت قائمة، فلما خلق الباء اضجعت، وقيل للألف لم انتصبت قائمة؟ قالت: انتظر ما أومر. وقيل للباء لم اضجعت؟ قالت: سجدتي لربي» وقال: «وأيضاً ما روى عن عبد الله بن سعيد[١] أنه قال: عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى وتقدس وهي تسعة وعشرون حرفاً فتواضع الألف من بينهما فشكر الله تعالى له فجعله قائماً، وجعله أمام اسمه الأعظم يعني الله، فإنه لم يسم به غيره ويدل عليه أيضاً: أن حروف التوراة مخالفة لحروف الفرقان في الهيئة والصورة والعد».[٢]

وقال أبو حنيفة: «والحروف مخلوقة وَكَلَامُ الله تَعَالَى غير مَخْلُوق»[٣]

---

(١) يعني ابن كلَّاب، الأب الروحي لبدعتهم.

[٢] الإنصاف (ص٩٧ ط. الأزهرية).

(٣) الفقه الأكبر (ص٢٦ ط. الفرقان).

تنبيه: قال الخطيب البغدادي: «أَمّا القول بخلق القرآن، فقد قِيلَ: إنّ أَبَا حنيفة لم يكن يذهب

=

والجواب:

قولهم بأن الحروف مخلوقات خلقها الله ومنها من قام ومنها مَن سجد؛ فهذا لا يعدوا كونه خرافة لا تستحق النظر فيها، بنوا عليها دينهم.

ولكن نقول إن أصل اللغة مسألة معلومة لا مسألة مادِّيَّة، فإن الإنسان قد يعلم معاني الكلمات دون أن يكون قادرًا على النطق بها، فإذا تكلَّم بها صارت كلامًا.

فنقول لهم: هل الله علِمَ العربيَّة وغيرها مِن اللغات؟

إليه، والمشهور عَنْهُ: أَنّهُ كَانَ يقوله واستتيب منه».

قال أبو الحسن الأشعري: «وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة رضي الله عنه شهرين حتى رجع عن خلق القرآن» [الإبانة ص٩١ ط. دار الأنصار].

وروى البيهقي عن أبي يوسف القاضي يَقُولُ: «كَلَّمْتُ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةً جَرْدَاءَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ أَمْ لَا؟ فَاتَّفَقَ رَأْيُهُ وَرَأْيِي عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ» قال البيهقي: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [الحاكم] رُوَاةُ هَذَا كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ.

وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن أَبِي يُوسُف، قَالَ: «ناظرت أَبَا حنيفة ستة أشهر، حَتّى قَالَ: من قَالَ: القُرْآن مخلوق فَهُوَ كافر» (ج١٥ص٥١٦) ونقله الذهبي في العلو (٤٠٩).

فإن قالوا: «لا»؛ كفروا لأنَّهم وصفوا الله -سبحانه- بالجهل.

وإن قالوا: «نعم»؛ قلنا: فقد أثبتنا أنَّ الله تعالى يتكلَّم بصوت، فما المانع من أن يتكلم باللغة[١] التي علمها قبل أن يخلق الخلق؟

فإن قالوا لأن الحروف مخلوقات لها كيان مستقل، تتكلم وتسجد كما قال الباقلاني نقلا عن شيوخه، فقد سبق وبيَّنَّا أن هذا كلام لا قيمة له في ميزان أهل النقل ولا في ميزان أهل العقل، حتى أنَّه نُقِل عن أحمد وقد حكى له سري السقطي: لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف قالت: لا أسجد حتى أؤمر، فقال: «هذا كفر»[٢]

هل صفة الله حلت في المخلوق[٣]

قالت الجهمية لأتباع الأنبياء: أنتم تَقُولُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ صِفَةُ اللَّهِ،

---

(١) الصحيح أن يقال «لسان» بدلًا من «لُغة» ولكن لكوني أعرف أن قسمًا مِن المخاطبين -خاصَّة الأشعريَّة- قد يذهب ذهنهم إلى اللسان العضو الذي في الفم؛ فاستخدمت المصطلح المعاصر «اللغة».

[٢] الروايتين والوجهين، مسائل العقيدة (ص٨١).

(٣) سأنقل جواب أحمد ابن تيمية من مجموع الفتاوى (ج١٢ص٢٨٣) بتصرُّف واختصار.

وَإِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا الذي نتلوه هو كَلَامِ اللَّهِ؛ فَقَدْ قُلْتُمْ بِالْحُلُولِ، وَأَنْتُمْ تُكَفِّرُونَ الْحُلُولِيَّةَ والاتحادية!

وَإِنْ قُلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ قُلْتُمْ بِمَقَالَتِنَا.

والجواب:

اختصارًا لما سنبرهن عليه أن الخلاف بيننا وبينكم في ثلاثة أصول:

الأول: هل الله يتكلَّم ويقول وله صوت، فأنتم تنفون ونحن نثبت.

الثاني: في منشإ هذا الكلام، فنحن نقول هو قولٌ قاله الله، وتكلَّمَ به، وأنتم تقولون خلقه في اللوح المحفوظ أو في جبريل.

الثالث: ماذا نسمي ما نتلوه في صلواتنا ونكتبه في مصاحفنا، فأنتم تقولون كلامٌ خلقه الله، وتقولون يجوز أن نسميه كلام الله على سبيل المجاز لا على الحقيقة، ونحن نقول هو كلام الله حقيقةً، وهذا الثالث هو ما لبَّستم به في السُّؤال.

والتفصيل:

صاحب الشُّبهةِ لم يفرِّق بين كلام الله إذا كَانَ مَسْمُوعًا مِنْهُ، وكَلَامُهُ مُبَلَّغًا عَنْهُ.

فلو افترضنا جُملَة قالهما رجلٌ وسمعتها أنت فقلت: «هذا كلام حكيم» ثم أخبرتَ بهما شخصًا آخرًا؛ فقال: «هذا كلام حكيم» فهذا الشخص عندما أشار إلى الكلام وَوَصَفَه بأنَّه حكيمٌ؛ أشار إلى كلام الأول الذي تنقله أنت، فقولك «هذا كلام حكيم» وقوله: «هذا كلام حكيم» في العبارتين إشارة إلى الكلامِ نفسِه.

ولو افترضنا شخصًا أنشَدَ لك شِعرًا؛ فقلت: «هذا صوت رقيق، وأداء سريع» ثم أنشدتَ الشِّعرَ لآخر فقال الآخر: «هذا صوت غليظ، وأداء بطيء» فالإشارة هنا اختلفت، فكانت إلى أداء المؤدي وصوته، لا إلى الكلام.

وإذا قلتَ كلامًا وكتبه عنك شخصان، فنظر رجل إلى كتابتهما، فقال: هذا خط جميل، وهذا خط رديء، وهذا كلام بليغ فصيح.

فإشارته إلى الخط هي إشارة إلى ما تختص به تلك الأوراق، وإشارته

إلى الكلام فهو يخص ما قلتَه.

فإذا ميَّزت هذا؛ تبيَّن لك أن قول المسلمين: «هذا القرآنُ كلامُ اللهِ، وكلامُ الله غيرُ مخلوق» فإن المشار إليه هو الكلام، مع قطع النظر عن وسيلة نقله إلينا مِن حركات العباد وأصواتهم، وفي قولنا: «صوت العبد وحركته مخلوقة»؛ لم يكن هذا فيه حجة على أن القرآن بحروفه ومعانيه مخلوق، بل هو كلام الله يتعلمه الناسُ بعضُهم من بعض، وهو الكلام المنزل من الله الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ، وبلَّغه محمدٌ ﷺ لأمته، وهو كلام الله الذي تكلم به سبحانه، وكلام الله يمتنع أن يكون مخلوقا، فإنه لو كان مخلوقا؛ لكان كلامَ المخلوق الذي خُلِقَ فيه هذا الكلام ولم يكن كلاما لله.

[شبهة] قال الجويني الأشعري: «ثم قالوا: إذا كُتب كلام الله تعالى بجسم من الأجسام،[1] وانتظمت تلك الأجسام رسوماً ورقوماً، وأسطراً

(١) يقصد الحبر أو ما شابه.

وكلاما، فهي بأعيانها كلام الله تعالى القديم،[١] وقد كان إذ ذاك جسما حادثاً، ثم انقلب قديماً».[٢]

وقال عز بن عبد السلام متهكما معترضًا على أتباع النبي ﷺ: «وَالعَجَبُ ممن يقول: القرآنُ مُرَكَّبٌ من حرف وصوت، ثم يَزْعُمُ أنه في المصحف، وليس في المصحف إلا حَرْفٌ مُجَرَّدٌ لا صوتَ معه» وقال بعدها: «فلا أكثرَ الله في المسلمين مِنْ أهل البدع والأهواء، والإضلال والإغواء».[٣]

قلت: آمين آمين آمين.

ومثل هذا الاعتراض إنما يدل على قلة الفهم، وفي الجواب عليه قلنا: عند إشارتنا إلى ما في المصحف وقولنا: «هو كلام الله» هذه مفهومها عند الإطلاق في فِطَر المسلمين أنه كلامه لا كلام غيره، وأنه لا زيادة فيه

---

(١) وقوله «قديم» يعني غير مخلوق.

[٢] الإرشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد (ص١٤٩).

[٣] رسائل العز بن عبد السلام في التوحيد ط. دار الفكر (ص٢١).

ولا نقصان؛ فإن من يكتب كلام غيره قد يزيد فيه وينقص.

قلت [محمد]: فإنك تجد في الحاشية في أول هذا الكلام أنني قلت أنني سأنقل كلام أحمد ابن تيمية بتصّرُّف، هذا لأنني لم أنقله كما هو، وتجد فيمن يذكر حديثًا نبويًّا لا يضبط ألفاظه يقول: «فيما معناه» ومن ينقل عبارة غيره كما هي يقول: «هذا كلامه بلفظه» أو «بحروفه» أو «هذا نص كلام فلان» يعني لم يزد فيه ولم ينقص.

وذلك معنى قولهم هذا كلامه بعينه وهذا نفس كلامه لا يريدون أن هذا هو صوته وحركاته وهذا لا يقوله عاقل ولا يخطر ببال عاقل ابتداء.

ونقول لهؤلاء: لو كان الله سبحانه كلما خلق كلاما كانَ كلامَه؛ لكان كل كلام المخلوقات كلامًا له، وهذا قول الحلولية الذين يقولون:

وكل كلام في الوجود كلامه سواءٌ علينا نثره ونظامه

فمن قال: القرآن مخلوق فهو بين أمرين:

إما أن يجعل كلَّ كلام في الوجود كلامه.

وإما أن يقول إن الله غير متكلم بشيء أصلا فيجعل العباد المتكلمين أكمل منه، ويشبهه بالأصنام أو بعِجلِ بني إسرائيل الذي قال الله عنه: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨].

فإذا قالوا: هل كلام الله فارقه؟

قلنا: اتباع الظن وما تهوى الأنفس يُلجئ أصحابَه إلى القرمطة والسفسطة، ولو تُرك الناس على فطرتهم لكانت صحيحة سليمة، فإذا رأى الناس كلاما صحيحًا؛ فإن من تكلَّم بكلامٍ وسُمِعَ منه ونُقِلَ عنه أو كَتَبَه في كتاب؛ لا يقول عاقل إن نفس ما قام بالمتكلم من المعاني التي في قلبه والألفاظ القائمة بلسانه فارقته وانتقلت عنه إلى المستمع والمبلِّغ عنه، ولا فارقته وحلت في الورق؛ بل ولا يقول إن نفس ما قام به من المعاني والألفاظ هو المداد نفسُه الذي في الورق؛ بل ولا يقول إن ألفاظَه نفسَها التي هي أصواته هي أصوات المبلغ عنه، فهذه الأمور كلها ظاهرة لا يقولها عاقل في كلام المخلوق إذا سُمِعَ وبُلِّغَ أو كُتِبَ في كتاب، فكيف

يقال ذلك في كلام الله الذي سُمِعَ منه وبُلِّغَ عنهُ أو كَتَبَه سبحانه كما كتبَ التوراة لموسى ﷺ، وكما كتبَ القرآنَ في اللوحِ المحفوظِ، وكما كتبه المسلمونَ في مصاحفهم.

وإذا قرأنا على الناس قصيدةً لحسَّانَ بنِ ثابتٍ؛ سيقولون: هذا كلام حسان بن ثابت، ويعلم كل عاقل أننا لم نسلب حسَّان - رضي الله عنه - صفته وحلَّت صفته بنا، فكيف يتوهم متوهم أن صفات الباري وكلامه فارقه وحل في مخلوقاته، ويعلم كل عاقل أنَّ نقل الكلام ليس كنقل الأجسام وتوابعها، فإن الجسم إذا نُقِلَ من موضع إلى موضع زال عن الأول، ومن هنا غلط من غلط فظن أن القرآن في المصحف كالأجسام في مواضعها، وهو عند العقلاء كلام يأخذه الثاني عن الأول، ولا يزول من الأوَّل.

فقول القائل: «إن قلتم: إن هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول» فهذا قياس فاسد، مثاله مثال رجل ادعى أن النبي ﷺ يحل في بدن الذي يقرأ حديثه فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: إن النبي ﷺ لا يحل في بدن غيره، فقال: «أنتم تقولون: إن هذا يقرأ كلامَ النبي ﷺ، فإذا قلتم ذلك فقد قلتم بالحلول» ومعلوم أن هذا في غاية الفساد.

والناس متفقون على إطلاق القول بأن «كلام فلان في هذا الكتاب» و«هذا الذي سمعناه كلام فلان» ولا يستجيز العاقل إطلاق القول بأن فلانًا نفسَه في هذا المتكلم أو في هذا الورق.

وإما قولهم بأننا إن لم نقل بالحلول فقد قلنا بمقالتهم؛ فجواب ذلك أن مقالاتهم المُنكَرة هنا تتضمن ثلاثة أمور فإذا زالت لم يبقَ منكر.

أحدها: من يقول إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما أحدثه غير الله كجبريل ومحمد والله خلقه في غيره.

الثاني: قول من يقول: «إن كلام الله ليس إلا معنى واحدا هو الأمر والنهي والخبر وإن الكتب الإلهية تختلف باختلاف العبارات لا باختلاف المعاني» فيجعل معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحدا، وكذلك معنى آية الدَّين كمعنى آية الكرسي.

الثالث: قول من يقول: «إن ما بلغته الرسل عن الله من المعنى والألفاظ ليس هو كلام الله، وإن القرآن كلامُ التالِينَ لا كلامَ رب العالمين».

فهذه الأقوال الثلاثة باطلة بأي طريقة عبر عنها صاحبها.

وأما قول أتباع النبي ﷺ: إن القرآن العربي كلام الله بلَّغه عنه رسول الله ﷺ، وأنه تارة يُسمَع من اللهِ، وتارة يُسمَعُ من رسُله مُبَلِّغينَ عنه، وهو كلام الله حيث تصرَّف، وقد تكلم به الله ولم يخلقه في غيره، ولا يكون كلام الله مخلوقا ولو قرأه الناس وكتبوه وسمعوه. وقال مع ذلك: إن أفعالَ العباد وأصواتَهم وسائرَ صفاتهم مخلوقة.

والحمد لله رب العالمين.

صور من المخطوطات



كتاب الحيدة والاعتذار الفريد دهره ووحيد عصره
الشيخ عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم
ابن ميمون الكناني المكي رحمه الله
تعالى آمين

المؤلف: الكناني

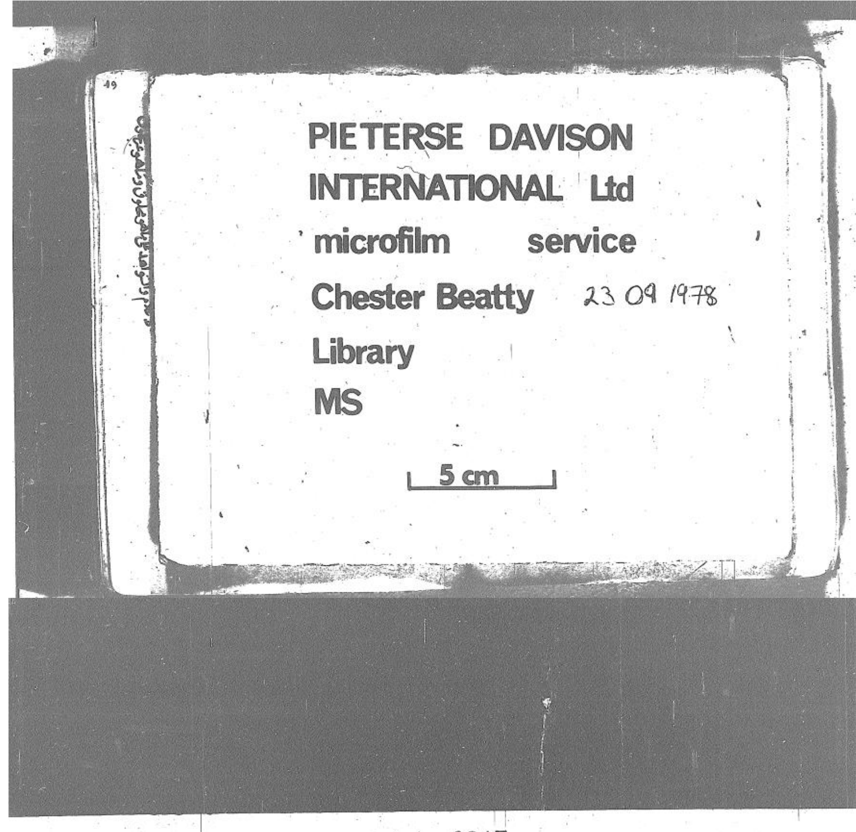
بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني رحمه الله اتصل بي وانا بمكة
حرسها الله تعالى ما قد اظهر بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القران ودعائه
الناس وما قد دفع اليه الناس من المحنة والأخذ بالدخول في هذا الكفر والضلالة وترك
الناس وتفزعهم من مناظرته واحجامهم من الرد عليه بما يكسرون به قوله ويدحضون به
حجته ويبطلون به مذهبه واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجمعات والجماعات
وهربهم من بلد الى بلد خوفا على انفسهم واديانهم وكثرة موافقة الجهال والرعاع
من الناس لبشر على كفره وضلالته والدخول في بدعته والانتحال لمذهبه رغبة في
الدنيا ورهبة من العقاب في الدنيا لسطوة الاكابر قال عبد العزيز فازعجني ذلك
من وطني واقلقني واسهر ليلي وادام فكري وغمي وهمي فخرجت من بلدي متوجها الى ربي
عز وجل اسأله سلامتي وتبليغي حتى قدمت بغداد فشهدت من تغليظ الأمر
واحتداده اضعاف ما كان يتصل بي ففزعت الى ربي ادعوه واتضرع اليه راغبا
وراهبا واضع له خدي وابسط اليه يدي واسأله ارشادي وتسديدي وتوفيقي
ومعونتي والأخذ بيدي وان يسلمني ولا يكلني الى نفسي وان يفتح لفهم كتابه قلبي
وان يطلق لشرح بيانه لساني واخلصت لله تعالى نيتي ووهبت لله تعالى نفسي فعجل الله
تعالى اجابتي وثبت عزيمتي وشجع جناني وفتح لفهم كتابه قلبي واطلق به لساني وشرح
به صدري فابصرت رشدي بتوفيقه اياي وانست الى معونته بنصره وتأييده لي
ولم أسكن الى مشاورة احد من خلق الله تعالى في أمري وجعلت أستر أمري واكتم
خبري عن الناس جميعا خوفا من ان يشيع خبري ويعلم بمكاني فاقتل قبل ان يسمع
كلامي فاجتمع رأيي على اظهار نفسي واشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق
والأشهاد والقول بمخالفة اهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم
وتبيين ضلالتهم وان يكون ذلك في المسجد الجامع يوم الجمعة وايقنت انهم
لن يحدثوا علي حادثة ولن يعجلوا علي بقتل ولا غيره من العقوبة بعد اشهار
نفسي والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق الا بعد مناظرتي والاستماع مني
وكان ذلك كله بتوفيق الله تعالى لي ومعونته اياي قال عبد العزيز وكان الناس

وتكلم معهم فيما شئت من الكلام فقد اجبتك الى ذلك واطلقته لك وقد زدت في رزقك
مثله فاحضر الدار واقعد مع المتكلمين اذا احضروا وناظر وتكلم بما تريد فليس لك عندنا
الا ما تحب قال عبد العزيز فاكثرت من الدعاء له وانصرفت على اجمل حال وكنت اقعد
للناس ويجتمع الي خلق كثير واحضر مجالس امير المومنين كلها ولا اخلو منها وانا ناظر
وارد عليهم في كل شيء يتكلمون فيه قال عبد العزيز بن يحيى المكي رحمه الله تعالى انما كتبت ما جرى
كما جرى والذي تركت ما لم احتج له ولم اذكره اكثر مما احتججت به وانما كنت ادرس درسا
ما يجريه الله تعالى على لساني فمن قرا كتابي هذا او قرئ عليه فلا تنسبني الى قلة الفهم ويقول
هذا مبلغ علمه فانه كان وقتا ملحوقا في مسألة الحيرة فمن احب ان يعلم انه ما بقي على
شيء الا قد اثبت عليه فليقرا رسالتي في فضل بني هاشم الكبيرة ويقرا كتاب السنن والاحكام
وكتاب الاعتذار فانه يقف على دقة فهمي وحسن انتزاعي وفضل علمي جعل الله جميع
ذلك خالصا لوجهه وفي سبيل مرضاته انه سميع الدعا فعال لما يشا لا اله الا
هو العزيز الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تم الكتاب
بعون الملك الجليل على يد العبد الضعيف عبيد الله بن المرحوم خليل [illegible] لستة وعشرين
مضت من شهر ربيع الاخر احد شهور سنة ثلاث وسبعين ومائة والف في اسلامبول
والحمد لله رب العالمين

بلغ مقابلة على النسخة [illegible]

آخر مخطوط الحيدة، جامعة الرياض (١٣٠٠)



3047

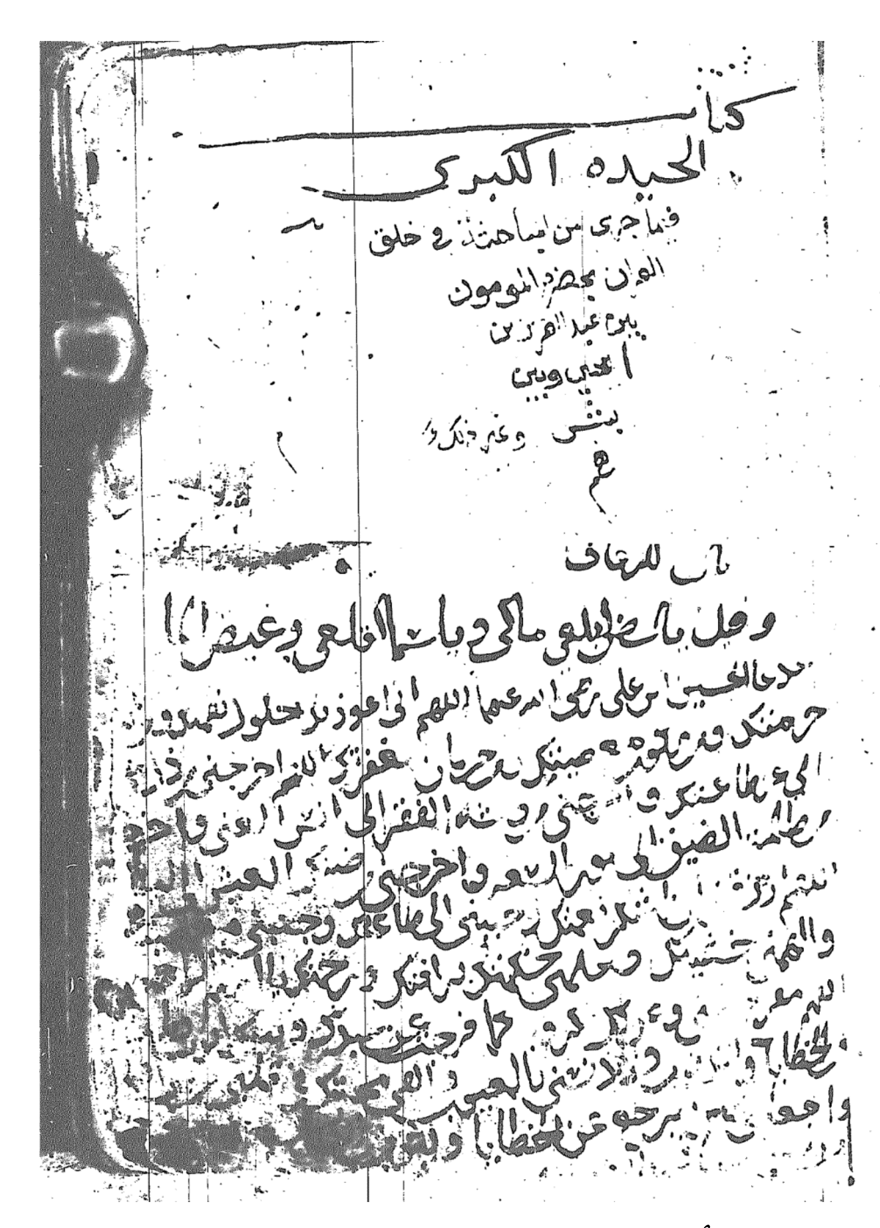
AL-ḤAIDA WA'L-I'TIDHĀR, attr. to Abū 'Abd al-Raḥmān Bishr b. Ghiyāth b. Abī Karīma AL-MARĪSĪ (d. 218/833).

[An account of an alleged disputation before al-Ma'mūn regarding the creation of the Qur'ān.]

Foll. 105. 17·5×9 cm. Clear naskh.

Undated, 8/14th century.

Brockelmann i. 193, Suppl. i. 340.



كتاب

الحيدة الكبرى

فيما جرى من المباحثة في خلق

القرآن بحضرة المأمون

بين عبد العزيز بن

يحيى وبين

بشر وغير ذلك

أول مخطوط الحيدة، شستربيتي

آخر مخطوط الحيدة، شستربيتي.

القيمة	حقل DC
خانقوري، عبد الأحد بن محمد حسن ناسخ	dc.contributor.adviser
ابن قدامة، عبد الله بن أحمد 541-620 هـ.	dc.contributor.author
2020-01-17T13:50:51Z	dc.date.accessioned
2020-01-17T13:50:51Z	dc.date.available
http://dorar.uqu.edu.sa//uquui/handle/20.500.12248/101468	dc.identifier.uri
11 ق(238-249)، 21 س، 17x29 سم. الخط: فارسي معتاد.	dc.description
أوله : بعد البسملة وبه نستعين، ما يقول سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام... فأجاب رضي الله عنه فقال : الحمد لله رب العالمين، أما القائل الأول الذي ذكر... آخره : وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية أحاديث صحيحة اتفق أهل العلم بالحديث على صحتها وتلقيها بالقبول والتصديق..	dc.description
ورقي د. م عبد الأحد بن محمد حسن خانقوري 1293 هـ.	dc.description
علم الكلام aucsh	dc.subject
علم الكلام aucsh	dc.subject
رسالة في كلام الباري تعالى (المناظرة في القرآن)- عبد الله بن أحمد بن قدامة	dc.title
b11489200	dc.identifier.id
1501-9	dc.identifier.callnum
مخطوطة	dc.type.format
Yes	dc.rights.hold
Yes	dc.rights.digital

أول مخطوط المناظرة في القرآن (أم القرى).

٢٣٨

رسالة لشيخ الاسلام الامام العالم الفقيه موفق الدين
بن قدامة في كلام البارى جل وعلا ....

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم الفقيه شيخ الاسلام اوحد الانام
موفق الدين ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد المقدسي رحمه الله
الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله
اجمعين اما بعد فقد تكرر سوال بعض اصحابنا
اياي عن حكاية مناظرة جرت بيني وبين بعض المبتدعة
في القران فخفت من الزيادة والنقصان
فرائيت ان اذكر ذلك على غير سبيل الحكاية كي
لا يكون الزيادة في الحجج والاجوبة عن شبههم
كذبا مع تضمن ذلك اكثر ما جرى ان شاء
الله تعالى والله الموفق المعين وهو حسبنا
ونعم الوكيل فنقول
موضع الخلاف انا نعتقد ان القران كلام الله تعالى

الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقال
عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا وقال تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وقال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين كفروا لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي
ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقال تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقال تعالى لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم فاخبر تعالى انهم طلبوا منه الاتيان بغيره او تبديله
ومرة انهم ادعوا القدرة على ان يقولوا مثله ومرة قالوا لولا نزل على
غيره علم يقينا انه هذا الموجود عندنا الذي هو سور وايات وحروف و
كلمات قال الله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلا وقال تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم
يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وهذا اشارة الى حاضر
والذي خرقت الاشاعرة انما هو هذا القران العربي الذي يعرفه الناس قرانا و
سماه الله تعالى عربيا وهذا انما يوصف به النظم الذي هو حروف دون ما
لا يعرف ولا يدرى ما هو قال الله تعالى كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
وقال تعالى وانه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربي مبين وقال تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا و
صرفنا فيه من الوعيد وقال تعالى انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
وقال تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا وهذه الايات واشباهها

لعله
صرفت الامثال

آخر مخطوط المناظرة في القرآن (أم القرى).

الله الحافظ

(توحيد)

كتاب مناظره الشيخ الامام العالم
الاوحد العامل الفقيه الورع موفق الدين شيخ الاسلام
ناصر السنه مفتي الفرق قامع البدعه سيد العلما
معين اهل الحق ابي محمد عبد الله ابن احمد بن محمد بن
قدامه المقدسي رضي الله عنه وارضاه
جرت بينه وبين بعض اهل البدعه في
القران العظيم وكلام الله القديم
رواية الفقير الى الله تعالى محمد بن الحسن بن سلمان ... عنه
... الله ... محمد ...

وقف بالضيائيه بسفح جبل قاسيون رحم الله واقفه ومنشيها

أول مخطوط المناظرة في القرآن (المكتبة الظاهرية)

٧٦

تفاريق العصا من كل اوب اذا اذلوا او ليس لهم امام ٥
اذا سيلوا عن الجبار مالوا الى التعطيل واقتحم اللئام ٥
وان سيلوا عن القران قالوا بقول خلقه بشر كرام ٥
كلام الله ليس له حروف ولا في قوله الف ولام ٥
ولو قيل النبوه كيف صارت لقالوا انك طاريها الحمام
اذا قبض النبي فكيف تبقى نبوته فدينك والسلام ٥
فهذا دينهم فاعلم يقينا وليس على مهجنهم ملام ٥
لهم رجل وتوحيد حديد ابا الاسلام ذا اللا والانام
ورمرمه وهينمه وطيش كما نهم دجاج او حمام ٥
وازروا باهل الحق ظلما وتلقيب وتشنيع مدلم ٥
وقول الملحدين وان تعادوا وادعوا الدين ليس له نظام
فصبرا يا بني الاحرار صبرا فان الظلم ليس له دوام ٥
وان الحق ابلج لا انصرام وقول الزور اخره غرام
اخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله وسلم تسليما ٥

آخر مخطوط المناظرة في القرآن (المكتبة الظاهرية)